ألسّياسة و ألأخلاق؛ مَنْ يَحْكُمُ مَنْ

Politics and morality; who rules who?

عزيز ألخزرجي

ألسّياسة و آلأخلاق؛ مَنْ يَحكُمُ مَنْ؟
Politics and morality; who rules who?

عزيز الخزرجي
Azez Al-Kazragy

ألسّياسَة و آلأخلاق .. مَنْ يَحْكُمُ مَنْ؟
مُقدّمة ألبحث؛

(ألسّياسة و آلأخلاق؛ مَنْ يَحْكُمُ مَنْ) ؛بحثٌ يُؤسّسُ لعالمٍ جديدٍ رحب سعيد, لكنّ إدراكهُ ثُمّ تصْديقهُ يحتاج لمعرفةٍ نظريّات عديدة و مُقدّمات حول ألرّؤى و آلأفكار ألفلسفيّة و آلأجتماعيّة و آلأقتصادية آلتي أبدعها آلفكر ألأنسانيّ و آلسّماوي منذ أول رسالة سماوية ثمّ آلعهد أليونانيّ ألقديم و إلى يومنا هذا و لو إجمالاً و كما ختمناها ب (آلفلسفة الكونية) .. كي يتحقّق آلألمام ألكامل بذلك و يُفهم روح البحث بشكلٍ جيّدٍ.

و بغيرها لن يصل القارئ ألكريم إلى نتائج مُرضيّة, لأنّها تتعلّق بأسّ ألمشكلة ألأنسانيّة ألمُعاصرة و آلنّظام ألعالميّ ألجّديد, و آلمظالم ألتي تجري في آلعالم على أسسٍ ["قانونية""ديمقراطية"] شرّعها آلمُستكبرون بدعمٍ من أنظمةٍ كبرى تسلّحتْ بقدرات تخريبيّة عاليّة على آلمستوى آلمالي والتكنولوجي وآلمدنيّ وآلحضاريّ لرفاه و شهوات 300 عضو يتحكّمون بمصير شعوب ألعالم وثرواتهم بظلّ ولاية (ألمنظمة ألأقتصاديّة ألعالميّة) ألمعادية(لولاية الفقيه).

من آلمؤسف جدّاً ألقول بأنّ هناك برامج خطيرة جدّاً لم تُعرف ألكثير من تفاصيلها وضعتها تلك ألعصابة ألأقتصاديّة ألتدميريّة للتّخلص من ¾ ألبشريّة على وجه ألأرض بأساليب علميّة متطورة تستخدم فيها الجوع والحصار والحرب و آلفايروسات ألفتاكة و أجهزة تكنولوجية معقدة و إشعاعات كهرومغناطيسية و ذبذباتٍ خطيرة تقتل ألأنسان لمجرد تعرّضه لها, و لم تكشف عنها تلك آلجّهات حتّى للمقرّبين من تلك آلدّوائر ألتي يقودها آلأستكبار ألعالميّ بقيادة تلك (آلمنظمة" ألأجراميّة)!

من هنا جاءت رؤيتنا في هذا آلبحث لتكون آلحدّ ألفاصل بين آلحُبّ وآلكراهية؛ آلحقّ و آلباطل؛ ألأخلاق و آلسّياسة؛ ألإعمار و آلتخريب؛ ألأصلاح و آلفساد؛ ألعدل و آلظلم, طبقاً للمنهج ألأسلاميّ ألعلوي ألعادل, ذلك آلمنهج ألذي تشوّه هو الآخر على أيدي طلاب ألدّنيا بعد وفاة ألرّسول(ص), لتستمرّ ألفوضى و آلحروب و آلدّمار و آلقتل و آلظلم على جميع ألبشريّة شرقاً و غرباً, و من آلمؤسف أن تكون آلسّلفية ألوهابية أليوم ألأداة ألطّيّعة لتنفيذ أهداف تلك ألرّاية ألشّيطانيّة في آلعالم ألعربيّ و آلأسلاميّ طبقاً لذلك آلبرنامج ألأستكباري آلأخطر في تأريخ ألبشريّة!

أنّ ما نعتقد به يتناسب مع كلّ إنسان سويّ سليم الفطرة يُريد ألخير و آلمحبّة و آلسّلام و آلرفاة و آلعدالة, آلتي تنطلق من مبدأ ألعدالة وآلمساواة في آلحقوق بين آلبشر خصوصاً في آلجّوانب ألماديّة وآلمنابع ألأقتصاديّة آلّتي هي بآلأساس عطاء ألطبيعة ألتي وهبها الله تعالى للجّميع دون إستثناء .. ألفطرة ألسّليمة ـ في نفس آلوقت؛ ترفض ألطبقيّة و آلفوارق ألمقزّزة بين آلأغنياء و آلفقراء لتعميم حالة الإذلال وألأستضعاف للبشر بشكل يقف صاحب ألقلب – حيرى أمام تلك آلفوارق ألتي تكبر و تكبر .. وآلّتي ما كانتْ لتكون لولا آلأتّجاه ألخاطئ ألشّيطاني لسياسَة ألمستكبرين في الإقصاد والمال و الأعلام و التكنولوجيا التي يتحكّمُ بها بضع مئات من آلمجرمين ألمحترفين!

أتمنّى على آلباحث ألكريم ألتّأني و آلدّقة أثناء مُطالعة آلحلقات ألسّبعة في بحثنا هذا .. لكونه يحتوي على عناوين كبيرة تخصّ ألنظريّات ألأربعة لعلاقة ألأخلاق مع آلسّياسة من خلال معرفة جذور ألأفكار ألّتي سبّبتْ ألمأساة ألأنسانيّة بعد تسلّط ألمُستكبرين على آلنّاس في أكثر بقاع ألأرض بغير حقّ مع بيان طريق ألعلاج بوضوح!

ففي ألحلقات ألأولى تطرّقنا لمسألة ألحُكام وأساليب تسّلطهم على آلناس من بداية آلتأريخ بوحي من أنفسهم عن طريق الدكتاتوريات و ألشّورى و آلدّيمقراطية و آلتّحالفات و وسائل ألبطش و ألأعلام ألمُزيّف و آلمدعوم بآلمال و آلوعود آلكاذبة, بإستخدامهم ألحبائل ألشّيطانيّة و آلمكر و إنتهاز ألفرص لتدويل ألحقيقة من أجل تسلّم ألحكم .. بدءاً بقابيل ألّذي قتل أخاه هابيل و مروراً بفترة ألرّسالات ألسّماويّة ألخمسة ألكبرى و التي لم يصلنا منها إلا القليل ثمّ محنة ألسّقيفة حتّى عصرنا هذا آلذي أشيع فيه بأنّ آلحُكمَ وآلسّياسةَ لا علاقة لهما بآلاخلاق وآلقيم ومبادئ ألسّماء!

حيث يعتقد ألبعض جهلاً أو تجاهلاً بأنّ ألسّياسة تستدعي ألتّخلي عن ألقيم وآللجوء الى وسائل وأساليب مختلفة تتحرّر من روابط ألقيم ألأخلاقيّة فكانت ألأخلاق وآلسّياسة بالنّسبة لهم مفهومان متناقظان! فهلْ هناك علاقة إيجابيّة أم سلبيّة بينهما, و بأيّ حقّ و مُسَوّغ إنسانيّ يُؤكّدون على هذا آلفصل!

و ما آلغاية من آلفصل بين (آلسّياسة و آلأخلاق) من قبل ألسّياسيين ألحاكمين؟

ألبعض كـ "أفلاطون" للأسف يعتقد أنّ غاية ألسّياسة هي آلمحافظة على آلدّولة و بذلك فهو يسمح بإستخدام كلّ ألوسائل ألمشروعة وغير ألمشروعة لإبقاء ألدولة قائمة و هنا فصلٌ واضح بين آلسّياسة و الاخلاق ولهذا يذهب "ميكافيللي" الى حدّ القول: [إنّ غاية ألسّياسة يجب إختيارها على آلمبادئ ألأخلاقيّة!].

فالأخلاق يجب إبعادها جانباً لكونها ألعائق ألوحيد أمّا تطوّر ألدّولة وأساس نظرة (ميكافيللي) هذه مشتقّة من نظرة ألفلاسفة الأوربيين ألّذين سبقوه, وجذور ألفكرة نابعة؛ [من أنّ ألأنسان يُعَدّ في تكوينه شرّيراً ولا يُمكن لايّة سُلطة أنْ تَحدّ مِنْ أنانيّته و طبيعتهِ ألشّريرة إلّا آلسّلطة ألسّياسيّة], و لهُ مقولة مشهورة [ألغايّة تُبرّر ألوسيلة] بمعنى؛ [إنّه إذا كانتْ ألغاية ألّتى تسعى إلى تحقيقها نبيلة بحدّ ذاتها, مثل توحيد إيطاليا, فإنّه من آلمُمكن؛ بلْ من آلضّروري ألّلجوء الى الوسائل ألتي تتنافي مع آلاخلاق كالقتل و آلسّجن و آلتّشريد ...الخ لتحقيقها لانّ الغاية كبيرة ويجب ضمانها بآلرّغم من الصعوبات الممكنة!].

إنّنا نرى و بحسب تعاليم ألسّماء أنّ سبب مشاكل ألعالم وآلفوارق ألطّبقيّة هو بسبب فساد ألسّياسة وأنظمة آلحكم وتدهور ألعمل ألسّياسي لتجرّدها عن ألأخلاق, بلْ الأسلام يُؤكد و يستوجب تبنّي وإعمال ألأخلاق في آلسّياسة ومن آلدّاخل وآلخارج طبقاً للأسس ألأخلاقيّة ألقرآنيّة ألتي إنتهجها آلرّسول(ص) وأوصياؤه من بعده!

لكنّ "ميكافيلي" و"فوكاياما" وأمثالهم ومَنْ إقتدى بهم؛ يرون للأسف أنّ هذه ألسّياسَة ألمبنيّة على آلأخلاق و آلعدالة ستنهار بسرعة .. و لا غرابة لرفض "ميكافيللي" للسّياسة ألمبنيّة على آلأخلاق لأنّه ينظر الى آلانسان بصفة عامة نظرة ماديّة سلبيّة و شرّيرة إنطلاقاً من آلواقع ألأوربي ألمسيحي ألّذي مرّ بمناسباتٍ مُختلفة!

و انطلاقا من هذه ألنّظرة – و آلّتي هي إنعكاس لحقيقة آلوضع في أوربا و آلغرب إبان آلقرون ألوسطى و إلى يومنا هذا - إعتبروا آلقوانين ألوضعيّة - هي آلوسيلة للحدّ من أنانيّة ألانسان و ميله الى آلنزاع و آلتّملك و آلسّيطرة كما يرى "ميكافيللي"!

و بحسب نظريّته؛ [فإنّه يجب على آلحاكم إستخدام ألمكر و آلخداع والظلم لتمكينه من فرض سيطرته على آلمحكومين و يجب أن تسود نفس ألصّفات في آلتعامل مع آلدّول في آلسّياسة ألخارجيّة].

إنّ هذه ألنّظرة ألميكافيليّة ألسّلبية ألتي تُدين طبيعة ألإنسان و تصفها بالشّر من خلال ألتعامل ألأحادي؛ لا تُعبّر عن طبيعة ألانسان تعبيراً صادقاً و دقيقاً و علميّاً, و بذلك فانّ نظريّة ميكافيللي ألسّياسيّة؛ قائمة على أساس نظرته تلك للأنسان و آلحياة و آلتي تتعارض تماماً مع فلسفة ألخلق و آلوجود و آلغاية من وجود ألكون و ألمجتمع ألذي هو عبارة عن مجموعة من آلأفراد غايتهم؛ ألتّواضع و نشر ألمحبة و ألمصالحة ألعامّة و آلخير ألعام و آلتّعاون على آلبرّ, و لا يُمكن تحقيق هذا آلأمر إلّا في إطار ألمبادئ ألأخلاقيّة.

لكنّ "كَانْت" كان منصفاً بعكس ألكثير من آلفلاسفة يرى؛ [أنّ غاية ألسّياسة هي آلحفاظ على آلأنسان لأنّهُ كائنٌ أخلاقيّ ومن هذا يجب أنْ تقوم آلسّياسة على أسس اخلاقيّة حتّى تتمكّن من آداء مهامها على آلوجه ألصّحيح واذا كانت (ألحريّة) ضرورة أخلاقيّة فانّ ألسّياسة أيضاً ضرورة أخلاقيّة وهدفها آلحفاظ على حريّة ألأفراد و آلمجتمع]!

أمّا "برنارد راسل" فأنّه يرى بأنّ [ألحوادث ألتّاريخيّة ناتجة عن تغيّرات سياسيّة مُعيّنة .. و حتّى يكون ألمُستقبل أكثر أماناً و إستقراراً؛ فلا بُدّ للسّياسة أنْ تقومَ على آلمبادئ ألاخلاقيّة ألّتي تفرض ألتّعامل ألأنسانيّ بين آلحاكم و آلمحكوم, فمصير ألانسانيّة واحد وعلى آلسّلطات ألسّياسيّة أنْ تُدرك أنّ مصير ألانسانيّة مُتعلقٌ برابط ألسّياسة مع ألأخلاق].

كما أكّد "كانت" ذلك آلمفهوم من زاوية أخرى بقوله؛
[أنّ ظاهرة ألأستعمار ألحديث تعود في مبادئها الى سياسة ألحُكم ألفرديّ ألمُطلق ألذي ساد أوربا] و بهذا مجّدَ "كانت" ألنظام ألجّمهوري وفضله على الدكتاتوري و الأقطاعي.

نحن لا ننكر ألدّور ألكبير ألذي تلعبها آلاخلاق في مساندة ألسّياسة؛ إلّا أنّها قد تكون في بعض ألأحيان خصوصا مع وجود الدول الإستكبارية؛ عائقاً لها على آلظاهر, لتداخل آلحقوق وأهميّة إجراء ألعدالة و آلتي قد تُعرّض بعض أو كلّ مفاصل ألدّولة للسّوء و الخطر, وآلسؤآل ألذي يسألهُ أهل (آلأخلاق) هو؛
[ما فائدة وجود آلدّولة ألتي بظلها يتعرّض المواطن فيه للظلم حتّى مرّة واحدة بإعتبار كرامة الأنسان أعلى مرتبة من الكعبة نفسها و إن هدر كرامة إنسان واحد, يعني هدر كرامة كلّ آلمنظومة الأنسانية في آلوجود].

لذلك وضع آلباري تعالى منهجاً لتلافي هذا آلأشكال ألذي يبدو من آلصعب جدّاً تلافيه .. حيث يتمّ تحديد ألأهم و المهم في حالات خاصّة من هذا آلقبيل – خصوصاً حين يتضارب حقّ فرد أو جماعة مع مصلحة عُليا تتعلق بمصير آلنّظام ألأسلاميّ - من خلال نظرية "ألتّزاحم" و آلذي يكون فقط من حقّ "ولي الفقيه" ألبتّ في تفاصيله و حيثياته لأنه يشمل دماء و ثروات و حقوق آلناس و مصيرهم و هذا آلأمر يحتاج إلى كثير من العلم و التقوى و التسديد الألهي لتحديد الموقف الشرعي العادل من ذلك الموضوع!

و ربّما كان أحد منشأ ألخلاف ألفكريّ و آلتّعارض بين آلمرجعيّة "ألتقليديّة ألنّجفيّة" مع مرجعيّة "ولاية ألفقيه" حتى زمن قريب من تلك آلنّقطة, حيث تغيير موقف الأولى مؤخراً بعض الشيئ بإتجاه ولاية الفقيه؟

لكن يبقى آلسّؤآل ألأهمّ في هذا آلوسط و آلذي يفرض نفسه في عقل كلّ مفكرٍ و مُثقّف و هو؛

هل تطبيق 99% أو أقلّ .. من آلعدالة ألأسلاميّة مع إحتمال وقوع آلأخطاء ألنسبية ألطّبيعيّة تحت ظل ولاية ألفقيه أفضل؟ أم آلقبول بآلواقع ألسّياسي وآلمظالم ألتي تتعرّض لها آلأمّة بسبب آلحكام و آلمُستكبرين بظلّ ألولاية ألتقليديّة ألّتي لا تهمها مصير آلمسلمين ناهيك عن ألأنسانيّة!؟

إنّ كلمة (ألسّياسة و آلأخلاق) يجب أن تكون بينهما علاقة إيجابيّة لكي تسير أمور ألسّياسة على أسسٍ عادلة, ولا يمكن سيادة العدل و الأمان و المحبة و التواضع إلا بتحقيق العدالة في الحقوق و الرواتب و الفرص بين آلجميع.

و يتّضح في نهاية هذا ألبحث في(ألحلقة ألسّابعة) و من خلال هذين ألموقفين؛ أنّ الصّراع بين "الفكر ألسّياسي" و "آلفكر ألأخلاقي" يتمثّل في آلصّراع بين ألوسيلة و آلغاية!

فتحقق ألأستقرار ألمُتمثّل في تأسيس ألدولة يُعتبر مكسباً هاماً للمجتمع و لا يُمكن أن تكون كذلك و بشكلها آلأيجابيّ إلّا عندما تكون وسيلة لتحقيق ألعدالة و آلأمن و آلتواضع داخل ألمجتمع و ليس لصالح ألفئة ألحاكمة!

و بذلك فقط يتّضح بأنّ ألدّولة هي مُجرّد وسيلة لتحقيق تلك ألمعاني ألأخلاقيّة ألسّامية و تُشارك ألسّياسة في إبطال ألافكار و آلتّصورات ألمتمثلة في إبراز آلنفاق و روح ألعداء بين مختلف المجتمعاات ألأنسانيّة لأجل الثراء و التسلط, و بذلك فأنّ ألسّياسة ألأخلاقيّة ألمُتوازنة تُبيّن و تكشف ألحدود ألواضحة بين دول ألأستكبار و آلقهر و آلتّسلط والتّوسع الذي طالما فرّقت وأثارت الحروب بين ألشّعوب وآلأمم و سبّبت ألكوارث و آلمآسي؛ و بين آلدولة العادلة ألتي تُريد رفع الطبقية و ثراء جماعة على حساب الأمة و ألمظالم عن ألشّعوب في كلّ ألأرض!
مع شكري و تقديري للمساهمين في طبع و إخراج و نشر هذا آلبحث بين آلمتعطشين للفكر لمعرفة فلسفة آلحريّة و آلكرامة و آلعدالة و آلمساواة و ألمحبة و التواضع و ألعشق للوصول إلى مدينة السلام الأبدية عبر الأسفار الكونيّة!
و دمتم أعزّاء بعون الله تعالى .. إنّه رؤوف رحيم.
ألفيلسوف الكونيّ

مدخل(1) لكتابنا؛ (ألسّياسة و آلأخلاق؛ مَنْ يَحكُم مَنْ)؟
جدليّة (الدّين و آلسّياسة):

سنقوم بإذن الله نشر كتاب آخر:[ألسّياسة والأخلاق؛ مَنْ يَحكُمُ مَنْ؟] لذلك نقدم لكم بتواضع هذا المدخل لعرض العناوين الأساسية فقط:
خلاصة ألكتاب الهامّ الموسوم أعلاه ضمن (السّلسلة الكونيّة) يضمّ سبعة بحوث مُكثّفة تمّ آلتركيز فيها على قضيّة جوهريّة مثّلت ولا تزال محنة الشعوب في العالم, خصوصا شعوبنا ألتي ضيّعت ألمشيتين(ألحضارة و المدنية) لفصلها الأخلاق عن آلسياسة, هذا أولاً.
وثانيا: لتشوّه وتبدل ألدّين نفسه لمصلحة دكاكين المُدّعين له, لينفرد السياسيون بآلحكم كيفما شاؤوا, ليضيع الحبل مع القارب.
إنّ آلدِين وحدهُ يُمثل منبع الأخلاق والقيم الكونيّة, وفصلها عن سياسة وإقتصاد الناس والحُكم بآلعدل بينهم؛ قد سبّب الظلم و الفساد و الفوارق الطبقية كإفراز طبيعي, لأنه لم يُركّز لا على إصالة الفرد ولا المجتمع؛ بل إصالة المجموعة التي بيدها مفاتيح المال وآلعلم.

لقد سعى الحُكام منذ أكثر من 10 آلاف عام وفي مختلف ألظروف ألتأريخية .. ليس فقط لفصل (الدِين) عن (السّياسة)؛ بل حتى سرقة تأريخ الأنبياء وأفكارهم وأدوارهم وتحويرها لأنفسهم و بطولاتهم وكما أثبتنا ذلك في قصص عديدة كقصة كلكامش و نبوخذنصر و حمورابي وسرجون وغيرهم من الفاسدين .. تلك الخيانة الأعظم من العظمى؛ كانت من أسوء أقدار ألبشرية في هذا الوجود وأكبر المفاسد ألتي إرتكبت بحقّ السّماء و الأرض, لأنهُ سبّب مع الزمن تقويض و تخريب أرواح و عقول الناس ومبادئهم ومسخ قلوبهم بفصل الأخلاق عن حياتهم وإشاعة الشّهوات بدلها, لدرجة أغرت حتى "آلأدباء و المثقفين وأهل العلم" مُعتقدين بأنّ الدّمج بينهما مفسدة, لسطحيّة فهمهم لقضية الأنسان وفلسفة الوجود وأسباب الخلق بشكل خاص, فتركوا الجوهر و تعلقوا بآلمظهر و البشر!

وقد أثبتنا من خلال تلك البحوث ألمُعمّقة وغيرها(2) تلك الحقيقة المرّة المؤسفة و الداميّة بنتائجها التي أهدرت الكرامة الأنسانيّة ومسخت الشعوب التي تحولت لقطعان من الماشية .. لِتَسيّد مجموعة مستكبرة على الحقّ والقيم بفعل حكومات 255 دولة فاسدة في العالم, لا ترى سوى جيوبها ومتعلقاتها مستخدمة الشهوة والمادة وإستغلال ألدّين لذر الرّماد في العيون كأفضل وأقصر وسيلة للأثراء والتسلط وإستحمار الناس من قبل المجموعة الحاكمة في (المنظمة الأقتصادية العالميّة) المُسيطرة على منابع المال والأقتصاد والزراعة في العالم بدعم وغباء المثقفين وعلماء الدّين الذين سكتوا ودعموا الحكومات لِدُنياً بلا كرامة ومعنى فاقدين فيها إختيارهم وسعادتهم.

والأكثر إيلاماً وأسفاً أنّ الفلاسفة عبر التأريخ, و منذ المرحلة الفلسفيّة الأولى – أيّ زمن فلاسفة الأغريق السّبعة(3) وإلى الآن قد تنكّروا لفضل آلسّماء والدّين وإشارات بعضهم كانت هامشيّة, بحيث لا نرى أيّ ذكر أو تأريخ لدور الأنبياء ألعظام في أنظمتهم ومؤلفاتهم بشكلٍ واضح, رغم إنّ أساس معلوماتهم بشأن القيم والأخلاق وفلسفة الخلق والغيب والعمران كانتْ مُستقّة من آلرّسالات السّماوية ألّتي سبقتْ المراحل الفلسفية بآلاف السنين, إلاّ أنّهم لم يشيروا لتأريخهم و للمصدر الأوحد للأخلاق والقيم و الأيمان بالغيب و أسرار الوجود التي تتصل مباشرة بكرامة الأنسان التي تعادل الوجود, لأسباب قد تكون بحتة تتمحور حول طغيان النفس, وهكذا ظلمَ الفلاسفة أيضاً بجانب الحُكّام والسلاطين؛ ألبشر)مادّية((أنانيّة) و ذاتيّه بتنكرهم لمبادئ ألدّين الذي عماده العدل ومن البداية و لحدّ اليوم وكأنّهم عين الشيطان, رغم توصّل الكثير من الفلاسفة العقلاء للحقيقة كشوبنهور و إسبينوزا و إبن سينا و الفارابي(4) و غيرهم بكون مصائب البشريّة اليوم إنّما ولدت بسبب (ذلك "الفصل" المُجْحِف بين الدين و السياسة), لعدم درك النّاس حقيقة الدِين وفلسفة الأسلام حتى يومنا هذا رغم وجود أكثر من ملياري مسيحي و نفس العدد من المسلمين تقريباً بضمنهم آلاف الأديان وأضعافها من الحركات و الأحزاب الأسلامية وأتباعهم بمئات الملايين المؤمنين بآلغيب الذين بدل أنْ يكونوا منطلقاً لنشر المحبة و السلام و التواضع و الأخلاق الكونيّة؛ باتوا منطلقاً لنشر الفساد و النفاق و الخبث وآلشهوة و المظاهر والعنف والحرب, و يكفيك فتح كتبهم أو دخول مراكزهم و كنائسهم و مساجدهم و معابدهم مرّة لترى تجليّ تلك الحقائق المُرّة, بحيث يُمكنك رؤية كلّ شيئ فيها إلا (الله) هو الغائب الوحيد فيها!

فكيف يُمكن للمحبة وآلسلام و الكرم و التواضع وآلأيثار أن ينتشر مع غياب موجدها و حضور مُعاديها!؟

في كتابه (مناهج الفلسفة)، كتب المفكر الأمريكي (ويليام جيمس) قائلاً: [إنّ هناك أكثر من ستين ألف مادة قانونية يتمّ إضافتها سنويًّا إلى "القانون" في أمريكا]، و هكذا كندا و بقية الدول الغربية والشرقية لعدم معرفتهم بفلسفة القانون ألأنسب و الأصح لإصلاح المجتمع لجهلهم بحقيقة تكوين الأنسان و مكامنه النفسيّة التي لا يعلم خلجاتها وأسرارها وعوامل تحقيق سعادتها أو شقائها, و كل تلك الدول و بنظرة عابرة تحتاج للأخلاق لا القانون لوقايتها, و(الوقاية خير من العلاج) ولا نحتاج سوى (الفلسفة الكونيّة) لوعي فلسفة القانون, والأهداف التي يجب تحقيقها, و لعلّ هذه الإشكالية تقارب الإشكالية التي أرّقت الفيلسوف (شيلر)، حين أراد العودة إلى سياسة الذّات، فعكف في: [الرسائل الأولى من التربية الجمالية للإنسان] على فكرة الدولة كما كانت تتشكل في زمانه، حيث كان شيلر روسي الطبع، "كانتي" الفكر والتطبّع، فكَتَبَ قائلاً حين رأى إنهيار القيم الإنسانيّة على أعتاب الفظائع الدموية الوحشية للحزب الشيوعي السوفياتي:
[لا يأتي البناء من السياسي ولا من رجل الدّين(5)، ولكن من القدرة على الإرتقاء نحو الروح والجّمال، فعندما يضع السياسي أو رجل الدّين ألتقليدي في الواجهة العليا على سبيل الشهرة والنجومية؛ فهو يُهين نفسه باستخدامه لوسائل الإكراه والقهر والأحتيال والإبتزاز والترهيب والترغيب و الأثراء، بيد أنهُ عليه أن لا يقود .. بل أن يُصاحب ولا يقول هؤلاء تحت وصايتي و سلطتي الممتدة من السّماء، بل يقول هؤلاء إخواني وبجانبي وكلنا سواسية في الحقوق، فلا يتكلّم بمنطق الفَوقيّة والتكبر, بل بمنطق المَعِيّة و المحبة].

صحيح أن الفيلسوف أو النبي الذي يعجز عن أداء رسالته من خلال تسييس ذاته ثم فلسفته في المجتمع؛ فإنّ هذا لا يعني عجزهما – أو بتعبير أدق عدم جدوى فلسفتهما – لإنجاح وإدامة الدولة العادلة, بل الخلل و كما أثبت التأريخ مرّات و مرّات هو بسبب ميوعة الشعب نفسه والذين يحثون الناس أي - الأحزاب و المنظمات - بطرق خبيثة نحو مسالك الشيطان من فوق و التي تتجسد اليوم من خلال (المنظمة الأقتصادية العالمية) التي تحكم العالم عن طريق الأقتصاد بمعونة الأساطيل و التكنولوجيا و المال(الدولار).

نحتاج لأنجاح ألمشروع الكونيّ لِثلاث عوامل تعمل معاً لتحقيق الغاية من آلخلق والوجود, والتي لا بد وأن يُنَفّذ من خلال نظام إجتماعيّ يتساوى بظله الرئيس والمرؤوس؛ القائد و الجندي؛ الموظف والعامل, لتتحقق السعادة للجميع وليس شعب واحد, والعوامل الثلاثة هي:
الأول: وجود عارف حكيم على رأس الأمة لتطبيق مبادئ (الفلسفة الكونيّة).
ألثاني: وجود الفلسفة ألكونيّة كمنهج يضم المفاهيم والأهداف وطرق التنفيذ.
الثالث: وجود النُّخبة ألمرتبطة بآلحكيم من جانب وبآلشعب من الجانب الآخر.
و على الجميع وعيّ و إدراك أبعاد (الفلسفة الكونية ألعزيزية) و فنّ تحقيقها.

و بذلك يمكننا القضاء بشكل طبيعي على ظلم وهيمنة الرأسمالية و الطبقيّة بقيادة (ألمنظمة آلأقتصادية العالمية) التي أسّست أسس الفلسفة الظلامية البراغماتية السياسيّة، التي عرّفَتْ الحقيقة بكونّها؛ (الفكرة التي تنجح) و(الغاية تُبرّر الوسيلة)، وليست الفكرة ذات القيمة الأخلاقيّة التي تريد تحقيق السعادة للجميع، فصارالتخطيط لسرقة أموال الفقراء مسألة شرعية و قانونية و ديمقراطية متطورة لا يحقّ لأحد إنتقادها، وهو بنظرها أنجح وسيلة للثّراء الذي يصاحبه الظلم والقهر والإستبداد كنتائج طبيعية للحرية بآلمفهوم الرأسماليّ و تلك هي أنجح وسيلة لتحقيق السلطة، فالعالم مجرّد سوق، والإنسان فيه مجرّد بضاعة و أداة للإنتاج والإستهلاك، ولذلك و بسبب فقدان مبادئ الفلسفة الكونية؛ فقد ركبتْ الكثير من الدول الإسلامية رغم تأريخها وعقيدتها في المنطقة العربية؛ موجة البراغماتية (الرأسمالية) بغطاء الديمقراطية و بشيئ من الأسلام و كان العراق سبّاقاً في هذا المصير الأسود بعد ماعلّقت دواليب الحكم بتلابيب أمريكا ومن معها، ما جعلها تربة خصبة لخنق المقاومة و للإبتزازات المالية و الجيوستراتيجية، التي تثري خزائن النظام الدّولي، ليستمر التكبر والطغيان و الحروب في العالم، بحماية الأنظمة الأجرامية في المنطقة و العالم، حتى أنعكست وإنمسخت المفاهيم, بحيث أصبح (المقاوم إرهابيا) و (الأرهابي إنسانياً)، لتتحقق ألمقولة ألمشهورة: [عصرالتجارة بالكلمات، التخدير بالشعارات، التنويم المغناطيسي بالعبارات، وقيادة الشعوب المتخلفة بهذا الحذاء الساحر..], وقد سبقنا رسولنا الكريم بقول حكيم أدّق لخصّ المحنة بقوله:
[(يُوشك أن تتداعى الأمم عليكم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها), قالوا : أَ وَ مِن قلّة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: (لا ، بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن), قيل: وما (الوهن) يا رسول الله ؟ قال: (حُبّ الدّنيا وكراهية الموت؟)].

و اليوم أخمدت حركة الشعوب من قبل أنظمتها و إنتفاضاتها بدأت كأفلام الكارتون التي تتحكم بها الأحزاب و الأئتلافات و المنظمات التي تريد المال لرؤوسائها الذين يوقعون على الصكوك البيضاء بإسم الوطن و المواطن مقابل ضمان السيولة النقدية و الأرباح و الرواتب لجيوبها الخاصة على حساب جيوب و حقوق الشعب والأجيال المسكينة اللاحقة, لتعيش شعوب العالم ألأمرّين من الأنظمة الإستبدادية تحت غطاء و شعارات الليبرالية و (الدّيمقراطيّة المستهدفة) التي تهدف لتحكم الفاسدين بآلأموال و الأقتصاد و الرواتب و الجيش و الشرطة، و هذا هو مأزق النظام الدولي العاري من القيم الأخلاقية اليوم!

لقد وصلت الصّلافة و فقدان الحياء درجة باتت أعتى الدّول الدّيمقراطيّة في العالم تدعم الحكومات الأرهابيّة لقتل الناس وآلشيوخ و الأطفال الأبرياء لتحقيق مصالح الفئة الأقتصادية .. بل وتحتفل سنويّاً في (دالاس) بآلحروب المحلية و الداعشية و العالميّة الدّمويّة التي راحتْ ضحيّتها الملايين من البشر, ممّا يعني تجاوز اللابشرية إلى الوحشيّة, بدل أن تخطط للأنتقال بآلناس من حالة (البشريّة) إلى (آلأنسانية) و من ثم إلى الحالة (الآدمية)(6) التي معها يتحقق التواضع و الفناء في الحق للخلود, وهو أسمى درجات العلو الكونيّ بحسب الفلسفة الكونية العزيزيّة الذي يؤمن بآلتغيير كصفة إنسانية .. لكن بتزكيتها للأعلى لا بدسّها للأسفل عن طريق شحن النفوس بالأخلاق الفاضلة التي يؤكدها ألدّين فقط لا المدارس الرأسمالية و السّياسية المختلفة التي تؤكد على الكذب وآلظلم و النفاق و التحالفات المشبوهة وقانون (الغاية تبرر الوسيلة) لأجل المال بسرقة الناس و ظلمهم! و لا حول ولا قوّة إلا بآلله العليّ العظيم.
الفيلسوف الكونيّ

---

(1) إضطررت وبسبب مشكلات الفهم والوعي الكوني لدى القُرّاء بمن فيهم المثقفين والأدباء والكُتّاب؛ جعل أكثر من مقدمة ومدخل للبحوث لكثافة المفاهيم وتداخل الرؤى الفلسفية لتبسيطها وسهولة فهمها وهضمها, وإنتقال مضامينها لتعميم الفائدة بسهولة و يسر, رغم ما يُكلّفني من جهد ووقت, فإسلوب (الكتابة) ألمنهجية يحتاج بلوغ قمته لشهادة دكتوراه. (2) بآلأضافة لكتابنا الموسوم بـ [ألسّياسة و الأخلاق؛ مَنْ يَحْكُمُ مَنْ], ألّفنا كتاباً آخر يضاهيه في المعنى و يعلوه في التمدن كمتمّم, حيث نظّرنا للمستقبل من خلال معطيات عديدة, بعنوان: [مُستقبلنا بين آلدّين و آلدّيمقراطية].
(3) حكماء الإغريق السبعة: سولون الأثيني، خيلون الأسبرطي، طاليس، بياس البرييني، كليوبولوس، بيتاكوس، بيرياندر.
(4) أبو نصر الفارابي قسم الدول لـ: الدولة الفاضلة و الدولة الجاهلة, و حدد مواصفات لهما.
(5) لقد قاس الأمر على أساس الدين المسيحي المحرف طبعا و ليس على أساس ألدين الأسلامي ألكامل الخاتم ألسّمح.
(6) فلسفتنا: تُقسم ألرّقي ألبشري لثلاثة مراحل: البشريّة و الانسانيّة والآدميّة.

آلسّياسة و آلأخلاق .. مَنْ يحكم مَنْ؟ ألقسم الأول
يوم آلأسلام بدل الحرب على ألأرض بعد آلذي كان؟

كلّ المنصفين يعترف اليوم بأنّ عبارات ألحزبي و آلقومي و آلوطني ألديمقراطي و آلرفيق و آلمناضل و آلثوري و آلمجاهد و ما في سياقها قد أصابها آلتشويه و أضحتْ مصطلحات للسّخريّة و التّهكم, و يعود كلّ ذلك بإعتقادي إلى إنحطاط الأخلاق وفقدان التقوى ألسّياسية و آلقيم ألانسانيّة في ألعالم و في آلوطن ألعربيّ خصوصاً ألذي أصبحت فيه الأمّة لا تدري عن ماذا تبحث و إلى أين تتّجه في خضم ألفوضى و آلأضطرابات وآلّلوبي ألوهّابي ألسّلفصهيوني ألذي يُحاول تحطيم أسس العدالة و موازينها و تثبيت الأستكبار في آلمنطقة بحسب 24 بروتوكول هرتزلي تمّ وضعها قبل 150 عاماً!

لذلك نرى أن آلأستكبار ألعالمي حاول ألألتفاف على آلصحوة العربيّة ألاسلامية ألتي عمّت المنطقة منذ أعوام بغض النظر عن إشكالاتها و آلأدوار التخريبية للعملاء في أوساطها .. و حين أرادت آلأمة قطف ثمار تلك النهضة سارعت تلك القوى و بأموال حكام آلخليج من ترتيب الأوراق بشكلٍ يتناسب مع طموحات المنظمة الأقتصادية العالمية, لذلك كانت الخيارات و المواقف تختلف من دولة لأخرى فثورة البحرين مثلاً يجب أن تخمد بكل انواع القمع و السلاح, لكن ثورة مصر لا بد من فتح المجال للعسكر فيها كي يسيطر على دفة الحكم و القرارات الأستراتيجية و هكذا في اليمن ولبنان و العراق وغيرها, ألشيئ الوحيد الأهم في كل تلك التحركات هو محاربة ألأسلاميين المواليين لشيعة اهل البيت(ع) و للدولة الأسلامية التي تمثل نهجهم من الوصول لدفة الحكم!

لقد مُسخت منظومة القيم الأنسانية في الأمّة الأسلاميّة عموماً وفي العالم خصوصا بسبب ضمور الفلسفة و سياسة و جشع ألمستبدين فيها إلى تغييرات جذريّة منذ القدم ثم مروراً بالسّقيفة و إلى يومنا هذا .. بل إنّ المفاهيم الاسلاميّة ألتي تحوي أمثل المنظومات الأخلاقية إنقلبتْ إلى الضّد من آلتعاليم الأسلامية الواضحة في مجال التربية و التعليم و العدالة و حقوق الأنسان و كرامة المواطن العربي و المسلم و العلاقات الاجتماعية, بمعنى صار الكذب و الفساد حلالاً و الصدق و الصلاح نشازاً ؛ و الحلال حراماً و الحرام حلالاً و المعروف منكراً و المنكر معروفاً, حتّى صارتْ مَعْلَماً من معالم الحاكم و ألسّياسي النشط لمنفعة المنظمة الأقتصادية في هذا العصر.

و قد لا أُجانب الحقيقة لو قلتُ بأنّ آلسّياسيون ألعرب تجاوزوا نظريّات ميكافللي الأيطالي ألذي نظرياته تعتمد بآلأساس على قوانين النظرية السياسية الواقعية المعروفة و آلأساليب الخادعة للوصول إلى السلطة و الحفاظ على المنصب بكل الوسائل الممكنة لأنّ الغاية تبرر الوسيلة, و آلمُطّلع على كتب ميكافيللي و غوبلز يرى أنّه شرّع نظريّاته آلتي في النهاية تضرّ بمجموعات و شرائح كبيرة من المجتمع لكنها تخدم و تصبّ لصالح شريحة أخرى عادّةً ما تكون مؤتلفة في القرار و الحكم و الأولويات.

بآلطبع ألأسلاميون .. و بما أنّهم يؤمنون بآلمبادئ الأسلامية العادلة و السّمحاء ألتي حدّدها أئمة أهل البيت الطاهرين لا يعترفون بأكثر القوانين ألتي توصّل لها أليكافيلليون و الغوبلزيون والفوكوياميون و أمثالهم من المفكرين الغربيون الذين إعتمد نظرياتهم المدمرة للفطرة و العدالة و المساواة جميع الأنظمة الغربية بقيادة أمريكا التي تقودها المنظمة الأقتصادية العالمية .. تلك المبادئ ألغير إنسانية التي ليس فقط لا تصب لصالح عوام الناس؛ بل تُعمّق وتزيد الطبقية!

إنّ مشكلتنا العظمى كانت تكمن في عدم إمتلاكنا لتجربة إسلاميّة واضحة المعالم في الحكم خصوصاً بعد الأحداث المأساوية في صدر الرسالة, و مع تقدم الفكر وتغيير وسائل الأنتاج و أنظمة البنوك و آلعلاقات و المعاملات الدولية المعقدة و حقوق الأنسان خصوصاً ما يتعلق بآلمرأة تعقدت الأمور أكثر فأكثر و إنتشر القلق و الأمراض النفسية و الخوف من المستقبل الذي شمل حتى الأطفال لمجرد فتح عيونهم على عالم اليوم, وإن دولة الأمام علي(ع) في الكوفة ألتي كانت صورة منسوخة طبق الاصل عن دولة المدينة المنورة ألتي أسسها الرسول الأعظم(ص) و التي إعترف بها كل علماء العالم و قررها رئيس هيئة الأمم المتحدة عام2002 كأفضل نظام على حكومات العالم إتباعها؛ حتى مثل هذه الحكومة وللأسف عدّها حتى الموالون لأهل البيت(ع) بأنها غير ممكنة التطبيق لأنها دولة مثالية لا طاقة حتى لنبي مرسل من إعادتها بنفس الكيفيّة التي طبقها الأمام عليّ(ع), ناهيك عن إنّ البعض حرّموا إقامتها في زمن الغيبة لانها من شأن الأمام المعصوم فقط!

أمّا دولة الخلفاء وبآلرغم من عمرها الطويل نسبياً و الذي تجاوز العشرين عاماً فأنّها لم تعطي الصورة الواضحة لماهية

الأسلام بسبب إختلال العدالة فيها أثناء تطبيقات عملية, بل ربما حدث العكس – أيّ الظلم - و في منعطفات كثيرة ومن البداية بحسب النتائج التي ظهرت من إراقة آلدماء البريئة كدم الصحابي ألجليل مالك بن نويرة وعشيرته و إغتصاب زوجته في نفس الليلة التي قُتل فيها و بإشراف الخليفة الأول ألذي أمر خالد بن الوليد بذلك, حيث بقي مدافعاً عن القاتل حتى وفاته, ثم بروز و نمو الطبقية الغنية و حالة الثراء الفاحش للمقربين من آلحكومة كعمر بن العاص والوليد و الزبير وغيرهم في ظل الخلفاء الثلاثة بعد وفاة الرسول(ص) و المظالم التي حدثت بحق أهل البيت(ع) كلها تُدلل عن نواقص وفساد تلك التجربة و بآلتالي عدم إمكانية إعتبارها نموذجاً للحكم ألأسلامي العادل مائة في المائة!

أما دولة الأمام علي(ع) ألتي إشتعلت فيها الفتن بسبب تلك التأسيسات الخاطئة و نمو أرتال المنافقين و المرتدين الذين تربوا على ثقافة الطبقية و آلثراء و الفوقية و الأستحواذ على حصة الاسد من بيت المال أمثال عمر بن العاص وأقرانه ممّن ذكرنا ليتحوّلو إلى جيوش من المارقين و القاسطين و الناكثين بجانب إنفصال معاوية الذي تربى في أحضان الخلفاء حتى عيّنوه والياً على الشام ضمن آلدولة الاسلامية المركزية لأنه كان إمتداداً و معتمداً من الخلفاء السابقين و من مدرستهم .. كلّ ذلك لم يترك مجالاً للأمام عليّ ألمظلوم الذي إضطرّ على دعوة مجموعة من المخلصين من اليمن لتثبيت أركان الحكم العادل كي يُغني التجربة الأسلامية و يستمر من خلال الحكم حتى إستشهد في محرابه, و على الرغم من كل تلك المحن؛ فأنّ ما قام به(ع) خلال فترة قياسية لم تتجاوز ألأربعة سنوات و ثلاثة أشهر قضى أكثرها في الحروب ألمفروضة عليه؛ يُعتبر نظامه أعدل نظام في الأرض, وما كتبه في نهج البلاغة يُمكن إعتبارها مبادئ أساسية للنظام الأسلامي في كل العصور, وإن قرار هيئة الأمم المتحدة عام 2002م كان عادلاً و في محله حين ألزم (كوفي عنان) حكومات العالم بضرورة الأقتداء بنهج الأمام كأعدل حكومة في التأريخ الأنساني.

و الحقيقة إن ما أراد قوله السيد كوفي عنان للعالم؛ هو أن الحاكم العادل لا بُد و أن يتّصف بالأخلاق و التواضع و مشاركة الناس همومهم و العيش مثلهم بل بمستوى معيشي أقل من الفقير في الدولة, و لا يتكبر على أحد من الرعية!
وهذه هي العناوين الكبرى لعدالة الحاكم و الحكومة و شرعيتها ألتي تمثلت في شخصية عليّ(ع) حصراً!

لكن و مع هذا التقرير و المقدمة و إعتماداً على النتائج ألعلمية التي توصلنا إليها عن طريق البحث الأستقرائي عن ماهية الديمقراطية ألمتبعة اليوم و نتائجها في العالم عموماً و الغربي خصوصاً, منذ عصر النهضة؛ تُبيّن نمو الفساد و الطبقية والبرجوازية ألتي بدأت منذ ثلاثة قرون – بعد النهضة الأوربية - كواجهة للرأسمالية ألتي تسلّطت بآلمال و التكنولوجيا فيما بعد على معظم منابع الأقتصاد العالمي و ثرواته؛ مع كل هذا فأنّ آلأخلاق السياسية – ألظاهرية منها على الأقل – و على الرغم من كلّ مساوئها التي بيّنتها تفصيلاً في بحوث سابقة منفصلة .. هي بمثابة الجّنة بآلنسبة لجهنم الأنظمة المُتّبعة في عالمنا الشرقي و آلأسلامي بإستثناء إيران اليوم, لأننا نقارن السيئ بآلأسوء مع الفارق!

إنّ أكثر سياسيّنا لا يعرف أنّ كلّ نظام إجتماعيّ سياسيّ يقوم على نظام أخلاقي وفلسفة أساسيّة .. وآلأخلاق الفاضلة توأم مع الحالة الأقتصاديّة التي هي المعيار الذي يتمّ على أساسه تقيّم الأنسان و المجتمع و صيانة كرامته بظلّ الحكومة بحسب آلظروف الزمكانية ليُمكننا تقييم الوضع الأجتماعي - الأقتصادي في بلد ما على أساسه, لمعرفة كونها من الدول المستقرة أو المضطربة.

إن إنتهاكات حقوق الأنسان ليس مستحدثاً في الأرض, بل هي آلسمة الغالبة لكل حكومات الأرض منذ زمن حمورابي و نبوخذنصر و الأكديين والسومريين و الفراعنة و السلالات الشاهنشاهية والأمبراطورية التي حكمت مختلف البلاد كفارس و آلصين و الهند وأوربا و غيرها, و لا فرق في ذلك بين فرس أو رومان و لا صينيين و لا تتار و لا صليبيين و لا إنكليز و لا أمريكان و لا يهود ولا مسلمين .. لأن الظلم واحد كما العدالة واحدة وهي النتيجة الحتمية لمبادئ الحاكم وماهية الأنظمة التي عادة ما تلجأ للقوة و الغدر و المؤآمرات لأجل الكرسي, وهكذا كان السياسيّون و الحكومات المعاصرة وإلى يومنا هذا حين تُنزع من قلوبهم الرحمة و التواضع و الايمان الحقيقي بآلغيب حدّ المسخ لفقدان الدّين من وجودهم وطغيان(الأنا) على تصرفاتهم!

و الذي يحزننا حقاً هو ما نراه مُتفشياً في بلاد المسلمين و العرب خصوصاً, على الرغم من أن الله تعالى أنعم آلخيرات و نعمة الأسلام عليهم و ألذي يفسره كل حزب و مذهب و مرجع كما يحلو له لضمان مصالحهم و إبقاء تجارة دكاكينهم(1), بعيداً عن حقوق الانسان و المجتمع, لهذا نرى قمة القساوة و الظلم و العنف في أوساط المسلمين كما المجتمعات آلأخرى في كل قارات العالم .. بينما نرى أن الأسلام الواضح و منذ أوّل آية نزلت تشعّ و تحثّ على الرحمة و المحبة و التواضع في كل

شيئ كسمة رئيسية خصوصا للحاكم المسلم, حيث قال تعالى: [وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين](2), والاسلام لا يقبل الظلم بأية صورة خصوصاً ما يتعلق بآلآخرين وقد قال تعالى:
[يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي, و جعلته بينكم مُحرّماً, فلا تظلموا](3).

و بنظرة للتأريخ نرى أنّ جميع الأنظمة التي قامت .. كانت لأهداف معينة؛ كآلقومية والوطنية و(ألدّين - مقراطية) و الديكتاتورية و الملكية و بغض النظر عن مدى نجاح تطبيقاتها في المجال المختلفة؛ ولعل افضلها مرتبة بإستثناء (النّموذج)؛ كانت تلك التي تقوم على أسس المواطنة .. بما هي فضيلة (الدولة الجمهورية), فآلاستبداد - الفردي - الجماعيّ - وحده إنتهاك لأساس المبادئ الأنسانية و للمنظومة الأخلاقية ككل وهو السبب في تفسخ القيم الأخلاقية و شيوع الأرهاب و الظلم و الطبقية, و هي إهانة كبرى واضحة للكرامة ألأنسانيّة ألتي لا تعادلها كل الوجود!

إنّ النقد الواضح ألذي وجههه آلأشتراكيون العقلانيون و كذا الفلاسفة الاسلاميون(4)؛ لعلاقات الأنتاج الراسمالية كان يتّجه مباشرة إلى ضمور المسألة الأخلاقية ألأنسانية و جفائها في تلك العلاقات, بل و أنعدامها و الذي معها ينعدم كرامة الأنسان, خصوصاً حين يغلب الأحتكار على المنافسة العادلة ناهيك عن العدالة بعينها, لهذا تجسد النقد الأسلامي في قيم الحرية و العدالة و المساواة(5), تلك القيم العالية التي وحدها ترفع البشرية إلى نيل الكمال مادةً و معنى.

و تلك قبل كل شيئ قيمٌ أخلاقية و أدبية منشأها ألدِّين بقدر ما هي إجتماعية و سياسية, و من الخطأ و الظلم فصل ما هو إجتماعي أو إقتصادي أو سياسيّ عن ما هو أخلاقي خصوصاً و نحن اليوم وريث تجارب تأريخية و حاضرة نعيشها اليوم و قد رأينا بوضوح ما آلت إليها مصير الشعوب بظل تلك التجارب؛ كالتجربة الغربية التي تقف اليوم أمام مفترق طرق, خصوصاً في الجانب العسكري والأقتصادي و المالي و أزمة البطالة و التفكك الأسري!؟

ومن الواجب علينا اليوم إستثمار ألجوانب الأيجابية منها و ترك السلبية منها, و التي أخطرها ما نشهده اليوم من سيطرة المجموعة الاقتصادية الظالمة على مقدرات العالم بآلقوة و بدكتاتورية السوق و تحديد أرزاق الناس ولقمتهم!

أن تلك الديكتاتورية المُقنونة و الملونة من الخارج بألوان زاهية بمسمى الديمقراطية والعلمانية من قبل حكماء صهيون ألتي تسلّحتْ بآلديمقراطية كسلاح بتار لا يعلم الناس من يمسك بقبضته من الخلف في الحقيقة؛ تلك المجموعة ما كانت لتتسلط و تستبد و تبلغ ما بلغتها من التكبر و العنجهية لولا إنتهاك النظام الأخلاقي للمجتمع و إزدراء النظام الأخلاقي العام, بحيث باتتْ لا تطيق أنْ ترى شعباً شريفاً أو أمة حرّة كـ (إيران) مثلاً تريد النهوض نحو السماء و الوقوف بوجه الظلم ألذي يأتي من مصادرهم و عملائهم, حتى وصل الأمر لأن تُعلن و بكل صلافة الحرب و الحصار عليها و على من يتبعها والعالم يتفرج و كأنّه معتوهٌ و مُعوّق بآلقيود و السلاسل و الحديد!

إن النظام العالمي المتكبر توحّد بإتجاه تدمير الأسلام ألذي هو الآخر تعرض للدّس و التخريب و التزوير كما أسلفنا للاسف من قبل أهل الخلافة و السّلطان, حيث كان يتطلب و من أجل الحفاظ على مناصبهم و أهوائهم تكذيب حتّى الرسول(ص) و إطلاق التهم ضدّه في حياته و حين طلب على فراش الموت قلماً ودواة؛ منعوها عنه للأسف الشديد كي لا يكتب كتابا يشخص فيه رأس العدالة الكونيّة, بل تمادى الأمويون و العباسيون و العثمانيون من بعدهم ليزوّروا مئات الآلاف من الأقوال والأحاديث التي كانت تصب لصالحهم, ممّا أوقعت تلك الخيانات تدميراً شبه كامل للأسلام و من الأساس وتركت إلى يومنا مخلفات مؤسفة يتمسك بها خطوط عديدة من السلفيين و الإخوانجية المتحجريين, و بات من الصعب تغيير معتقداتهم التي عادة ما أخذوها من مدارس أبائهم جيلاً بعد جيل! لذلك كان من السهل تجنيد السلفيين الأخونجية الراديكاليين من قبل المخابرات العالمية ألأستكبارية لأشاعة القتل والذبح بين المسلمين وتكفيرهم, والغريب أن السلفيين بعد ما مُسخت أخلاقيتهم؛ في الوقت الذي نرى أن بلدانهم و مواطن آبائهم و أجدادهم مستعمرة محكومة بعملاء الأستكبار و أساطيلهم؛ نراهم يفجرون أنفسهم و يقتلون عباد الله في بلدان أخرى كآلعراق و إيران و اليمن و لبنان و باكستان وأفغانستان بحجة تطهيرها من آلكفار و المستكبرين!

إن تلك المنظومة العالمية الموحدة آليوم بإتجاه تدمير الحق وبآلذات دولة ولاية الفقيه(6) ألتي وحدها تطبق المنظومة الأسلامية الأخلاقية الكاملة لتحقيق آلكمال والهدف من الخلق و السعادة الأنسانية من دون فرق بين رئيس ومرؤس وعالم وعاميّ, ويهودي ومسيحي وكافر, لذلك صَبّ آلأستكبار ثقله للقضاء على ولاية الفقيه ألتي هي بمثابة الرأس و المثل الأعلى للأخلاق والتقوى والعدالة و الأدب و التواضع و العلم و العرفان في آلأمة الاسلامية.

لذلك رأينا من الواجب تسليط الضوء على معنى و فلسفة هذا المبدأ الحيوي الأساس و ألأهم و الأكبر من كلّ الموضوعات و آلأحكام الأسلامية ألعبادية و الأحداث اليومية و التحليلية التجزيئية و التصريحات ألمتناقضة وألتي أفضلها قد تعالج موقف أو حادث أو إجتماع معين أو مؤتمر أو صفقة أو ما شابه ذلك من الموضوعات العادية التي لا تخدم مصير و كرامة الأمة بل قد تكون بضررها في النهاية لأنّها تسير من الأساس بالأتجاه الخطأ لفقدانها البوصلة الفكرية و القاعدة الأخلاقية ألمتمثلة بولي الفقيه ألذي يعلم أسرار و طرق تطبيق العدالة و نشرها(7), لأنه هو آلرّاسخ في العلم و في أحكام القرآن و الشرع .. و المُؤيد من قبل صاحب العصر و الزّمان(عج) طبقاً للنظام الالهي الذي شرعه الرسول(ص) و بيّن تفاصيله ألأئمة الاثني عشر الأوصياء من بعده(ص) ليتحدّد مسؤولية تطبيق الاسلام من خلال من أوصانا ألألتزام بنهجهم و خطّهم كنواب صالحين لصاحب الأمر(عج), و هذا ما يجهله أكثر العراقيين و عموم العرب للأسف بسبب الجهل والتقليد والتعتيم الأعلامي الموجّه من قبل المتسلطين بآلحديد و النار.

فمن هو ولي الأمر؟
و ما هي مواصفاته في هذا العصر؟
و هل واجب على المسلمين إتّباع أوامره؟
و من هو المرشح لنيل هذا المنصب الالهي الحساس لخلاص الأمة و العراق بآلذات من المحن؟
و هل هو الوحيد ألذي يُمكّن ألأخلاق للتحكم في السياسة!؟
و لماذا يخاف بعض السياسين ألمغرضين من ولاية الفقيه بما فيهم ألكثير من الأسلاميين الذين وجدوا حلّاً بتصورهم حين إعتبروا آلداعية حرّاً في إنتخاب مرجعه و يكفي ذلك لرفع الأشكال الشرعي في العمل السياسي كيفما كان في محاولة لأقناع المغفلين ألبسطاء ألذين يفصلون الدِّين عن السياسة و هم لا يعرفون فلسفة الدِّين ولا السياسة!؟
لهذا حان يوم الأسلام بدل الحرب على الأرض بعد كلّ الذي كان.

هذا ما سنتاوله في الحلقات القادمة أن شاء الله و أسأله تعالى أن يوفقنا للألتزام بنهج ولي الأمر ألرّاسخ في العلم و التقوى لنكون من الفرقة الناجية أن شاء الله يوم لا ينفع مال و لا بنون, و لا حول و لا قوة إلا بآلله العلي العظيم.

---

(1) حين يكون القرآن حمّالٌ ذو وجوه؛ فكيف بآلأحاديث!؟ بل هل من الصعب خلق حديث جديد او تبديل قديم وكما حدث!؟
(2) حديث قدسي.
(3) الأنبياء / 107.
(4) للاطلاع على المزيد راجع كتاب: [إقتصادنا] و [فلسفتنا] للأمام الفيلسوف محمد باقر الصدر.
(5) للأطلاع على المزيد راجع كتاب: [مستقبلنا بين الدين و الديمقراطية] للكاتب.
(6) سنُبيّن النصوص التي وردت في أولوية و شرعية إقامة الحكومة الأسلامية التي بها يمكننا تطبيق آيات الله على الأرض بدل حصرها في غرف الدرس و المساجد فقط و كما هو المعمول به في بلداننا بعيدا عن حياة المجتمع.
(7) بآلأضافة إلى أولوية وجود الحاكم الأسلامي من عدمه, يعتبر الرأس الحاكم و كما يؤيد العقل السليم ذلك؛ يعتبر دوره بمثابة الرأس من الجسد, فإذا صلح الرأس – الفقيه العادل – صلح الجسد – الأمة – و إذا فسد الرأس – أي حكمه بعثي أو قومي أو عشائري – فإن الجسد – أي الأمة – كلها ستفسد.

ألسّياسة و آلأخلاق .. مَنْ يحكمُ مَنْ؟ ألقسم ألثاني
جهلٌ و تجاهل لحقيقة ألأسلام من ألعلمانيّين و ألأسلاميين

من آلعبث و ضعف ألايمان بلْ من الجنون أن نترك المستكبريين يعبثون و يتحكمون بمصير الناس في الأرض, و من الغباء و آلسّخرية أن نَفصل الدين ألأسلامي عن سياسة وإقتصاد وتربية الناس و إدارة شؤونهم؛ ذلك الدّين ألقيّم ألوحيد ألذي هو مبعث آلأخلاق و آلقيم و آلعدالة و آلمساواة؛ وهو ألوحيد ألذي يقف أمام جشع ألمستكبرين ألمستغليّن و عبث ألسّياسيين بمقدّرات و مصير ألأمم و آلشعوب في آلارض من خلال 300 شخص حاكم في آلمنظمة الاقتصاديّة ألعالميّة و آلتي ما إسْتطاعت أن تصل إلى ما وصلت إليه من آلثراء إلّا بسرقة قوت الشعوب و جهود ألمستضعفين من خلال فصلها للأخلاق و آلقيم ألكونيّة عن ألسّياسة والحياة الأجتماعية ليسهل سوقهم كقطعان آلأغنام بإتجاه تحقيق مصالحهم!

أ تَذَكّر جيّداً خلال آلستّينيات و آلسّبعينيات و حتى إنتصار الثورة الاسلامية في إيران 1979م كيف كان ألعلمانيّون و آلقوميون و آلبعثيون وأصدقائي الشيوعيين و من ورائهم من القوى الأستكباريّة يَعيبون علينا و على آلدِّين(ألأسلام) بكونه أطروحة بالية تختصّ ـ كما آلمسيحيّة – بآلعلاقة مع الرّب فقط و هي تقاليد تُذكّرنا ـ على رأيهم ـ بآلقرون ألوسطى و لا فائدة يُرتجى من آلدّين كونه – أيّ الأسلام ـ بحسب نظرتهم؛ لا يمتلك نظريّة للسّياسة و آلحكم, وكانوا يرفضون ألادلّة ألنّصيّة و آلعقليّة ألتي كنّا نحْتجُّ بها على ذلك بآلأضافة على رحمة الأسلام و عدالته كنظام قرّره الخالق للبشريّة و لم تكن تنفع كثيراً بياناتنا لهم بدعوى أنّها مُجرّد نظريّات على آلورق ولا حقيقة لها في واقع المسلمين ألأجتماعية ناهيك عن غيرهم!؟ و شاهدهم ودليلهم – كما كانوا يقولون ـ هو وضع ألمرجعيّة الدّينيّة في آلنّجف حيث لا تُؤمن بآلسّياسة وآلحُكم بما أنزل الله وأنتم تُقلّدونهم.

لكن عندما إنتصرت الثورة ألأسلامية في إيران, إرتدوا و صُدموا, لكنّهم و للأسف و بَدَلَ أنْ يُؤمنوا بذلك آلبرهان العملي آلواقعي و يُحكّموا آلعقل و آلضمير للأعتراف بعدالة و إنسانيّة رسالة تلك آلثّورة نراهم – ألأكثرية منهم ـ قد بدؤا بمُحارتبها و آلكيد بها و بدور قيادة ولاية الفقيه ألتي كانتْ هي آلسّبب في تحقيق إنتصار تلك الثورة التي هزّت عروش المستكبرين و كما تبيّن على لسان رئيس وزراء إسرائيل قولهُ: [لقد حَدَثَ زلزال خطير ستصلنا هزاته], وتحققّ على أرض الواقع لكونها – الثورة ـ تريد تحكيم ألسلام و التواضع بَدَلَ التكبر, و ما ذلك كلّه إلاّ بسبب الجهل و العناد وآلأميّة الفكرية التي إنتشرت في أوساط "السياسيين" و "الأسلاميين" العرب خصوصاً!

وتوصلت لنتيجة مفادها أنّه حتّى أصدقائي ألأسلاميين – ليس كلّهم بآلطبع – و معهم ألشيوعيون لا يُريدون إبراز مثل تلك القيادة ألربانية(ولاية الفقيه) لتطبيق أحكام السماء لأنه يمنع فسادهم؛ بمعنى لا يُريدون تطبيق المثل و القيم و العدالة وآلمساواة في الحكم بين الناس بآلتّقيد عمليّاً بمبادئ ألأسلام بل يُريدون تفصيل ألأمور حسب أهوائهم ومقاساتهم وشهواتهم, بمعنى أفصح؛ لا يُريدون رقيباً على أعمالهم و سرقاتهم و فسادهم!

أما آلعلمانيّون كالبعثيّن و القوميّين و الوطنيين؛ فلا محلّ لهم من آلأعراب في هذا آلبحث ومسألة تطبيق أو عدم تطبيق مفاهيم القيم و المثل ألأنسانية و العدالة لأنهم أساساً لا يُدركون ولا يمتلكون عقيدةً فلسفية ولا يؤمنون إلّا بآلارهاب و القتل و آلمؤآمرات وآلعنصرية وآلطبقيّة, لهذا كنتُ أ تَعَالى عليهم ولا أتعرض ألنّقاش معهم إبتداءاً أيام شبابي ببغداد ومدن ألعراق, إلا مع آلذي كان يبدو على محياه الحياء لنكون سبباً لهدايته إلى طريق الحقّ بإذن الله, رغم كونها كانت مجازفة كلّفتنا الكثير حين كان يُجزينا مُحاورنا بوشاية لدى المتسلطين.

في القسم ألأوّل من مقالنا هذا تطرّقنا لمقدّمات ضروريّة كان لا بُدّ من بيانها لمعرفة هدف و روح ألاسلام وفرقه عن الحكومات والأنظمة التي تعاقبت علينا عبر التاريخ لكونه – أيّ ألأسلام ـ نظاماً للحياة والحب في كلّ أبعادهِ, والذي يُحاول فصل ألأسلام عن شؤون آلمجتمع, فانّهُ مُغرضٌ يُريد تعطيل قيم ألعدالة وآلمثل وآلمساواة وآلحرية و ينوي حصرها بيد أهواء آلسّياسيين لمنافعهم وللمنضوين في أحزابهم بآلدرجة آلثانية, وفي هذا المقال سنُبيّن جواب ألأسئلة ألمحوريّة التي أوردناها في المقال الأول إن شاء الله, و تتعلّق جُلّها بمكانة ودور ولاية الفقيه التي يُعاديه أصحاب ألنّوايا ألشّيطانيّة من آلذين يُريدون آلتّسلط على آلناس عبر آلمؤآمرات و الدّجل و آلنفاق و آلكذب ليحكموا بحسب أهوائهم و شهواتهم ومصالح أحزابهم و إنتماآتهم العشائرية و القبلية و آلحزبيّة.

و آلنقطة ألأهم قبل الدخول في تفاصيل الموضوع؛ هي أننا إنّما نُحاول التأكيد على "ألولاية" لكونها ضمان لتحكيم المبادئ

الأنسانية ألتي أشرنا لها وأختصرها بالعدالة و الحريّة و المساواة طبقاً لتعاليم الخالق الذي هو أدرى بعباده, و عدم إعطاء ألشّرعية لمن هبّ و دبّ من الذين يُفسّرون آلأحداث و القضايا بحسب أهوائهم ومصالحهم!

فآلفقية المجتهد الجامع للشرائط هو وحده ألموّهل لتحقيق الرسالة, و تجارب ألبشريّة قد بيّنتْ بما فيها الكفاية؛ عبثيّة الاعتماد على المُدّعين ألّذين يُفرّقون بين الناس بآلفيئ على أساس القربى والمذهبية والقوميّة وآلعشائريّة والحزبيّة والوطنيّة .. وكل النظريات الوضعية!

فهل هناك عقل سليم يُجرّب ألخطأ مرّتين و المثل يقول:[ألمُجرّب لا يُجرّب]؟

خصوصاً تلك آلأخطاء ألّتي تكرّرت آلاف آلمرّات عبر آلتاريخ, لأن تجربة ألخطأ يؤدي لا محالة إلى الخطأ و الظلم بدون شكّ و لا حل لها سوى يوم القيامة إن لم يقام الحدّ على الجناة!

و قد بيّن الباري تعالى الخطوط التفصيليّة لنظرية الحكم في الاسلام على لسان نبيّه آلخاتم(ص), و طبّقه ألأمام عليّ(ع) إلى أبعد ألحدود و يُحاول تطبيقه أليوم زعيم ألأمّة ألأسلاميّة على أرض ألأسلام في إيران و هذا ما سنعرضه للقُرّاء الكرام من أولي ألألباب.

و قبل التعرّض لبيان حقيقة آلأمر في وجوب حكومة "ولاية الفقيه" لا بُدّ من توضيح مسألة "ألشورى" ألتي قد يعتقد ألبعض بفاعليتها و ليست شرعيتها؛ لعدم وجود نصّ قرآني أو حديث من آلرّسول(ص) بصرح بوجوب الشورى في الحكم, هذا بجانب ثبوت عدم جدواها كما تبيّن من خلال تجارب ألسّابقين .. بل بآلأضافة لذلك تعتبر – أي الشورى - هي ألواقعة آلّتي سبّبتْ تفريق المسلمين و تمذهبهم و تشتتهم و دمارهم إلى يومنا هذا.

فما هي حقيقة ألشّورى أولاً؟

و لماذا على المسلم ألإعتقاد بآلمرجعيّة ألدينيّة بقيادة ولي الفقيه ثانياً؟

في العالم 255 دولة ذات عَلَمْ تَتَحكّم فيها أنظمة و حكومات إختلطت فيها آلأفكار و آلمتبنيات ألتي توصّل لها عقل آلأنسان وهواه, أو فرضتها ألمنظمات وآلأحزب التي تُريد تحقيق مصالح ماديّة أو بلوغ لذّات و شهوات أو إطفاء غيظ, لكن آلبارز فيها كما أسلفنا في ألبدء هو وجود نظامين؛

ديمقراطي غربي .. تضم ولايات و دول أمريكا و أوربا و أستراليا مع دولٍ في آسيا و أفريقيا.
إسلامي شرقي .. تضمّ 55 دولة ألأكثرية فيها من آلمسلمين بالقياس مع آلأديان و آلمذاهب ألأخرى, و تقع في آسيا و أفريقيا ثم آلقارات ألأخرى تباعاً, إلّا أنّ مُعظمها لا تُطبق ألشّريعة ألأسلاميّة كنظام للحكم, بل تداخلت في أنظمتها قليلاً من آلأحكام ألأسلامية مع كثيراً من الأحكام آلعلمانيّة بشكلٍ واضحٍ في مناهجها الأقتصادية والتربوية.

ففي دولة آلحُجاز مثلاً ألتي تضم قبلة ألمسلمين, و رغم إنبثاق الرسالة الأسلاميّة منها و وجود ألمعالم آلأسلامية على أرضها و في بعض قوانينها و عَلَمِها .. إلّا أنّنا لا نرى أيّة تطبيقات للمفاهيم ألأسلامية في سُلوك آلحاكمين و وزرائهم و حتى آلمؤسسة ألدينية ألتابعة لملكها, قد كفروا جميعاً بسنة الله و رسوله بعد إصدارهم لفتاوى آلتكفير و القتل و التعاون مع الظالم ضد شيعة أهل البيت و كلّ مُعارض لسياستهم, و قس على هذا بقيّة الدول الأسلامية!؟

و لكون غالبية آلدول ألأسلامية تحكمها قيادات متعصبة للمذاهب "ألسُنّيّة" التي قفلت على نفسها باب آلأجتهاد في آلفكر ألأسلامي - لذلك فقدتْ ألقدرة على آلأستمرار و آلتأقلم مع مُتطلبات آلعصر ألذي تطوّر فيه آلعقل و آلعلوم و آلعلاقات و آلرّوابط آلأجتماعية و ألسياسيّة و آلدوليّة وآلزّمكاني, و كأنّها تعيش خارج آلتأريخ ألأنساني(1).

كما إنّ تابعي "مذهب" أهل بيت آلرسول(ص) من ألشيعة ألّذين يُؤمنون بالأجتهاد كأصل للحفاظ على روح آلأسلام و ديمومتهِ مع إستمرار الزمن؛ مُتّهمون من قبلهم و يتعرّضون على آلدّوام للملاحقة و آلسّجن و آلقتل و هضم الحقوق, ممّا يعني أنها – أي حكومات آلدول ألأسلامية و ألعربية ألجاهلية - ذات طابع علماني دكتاتوري خاص لم نشهده في أيّ نظام -

تتحكّم فيها ألسلفييون و الوهابييون برعاية آلملك و آلأمير, أو وزراء لا يحترمون حقوق الأنسان, لأنهم لا يُحْكمُون آيتين من كتاب الله, وليس لتعاليم آلقرآن وسُنّة ألرّسول(ص) وجوداً في سلوك وشخصية آلحُكّام وآلوزراء وأجهزتهم ألأمنية وآلعسكرية آلتي يتصدّى لقيادتها عناصر تمرّست على آلقسوة وآلقتل وآلأرهاب و لا تفقه من فلسفة آلحياة عنوانها, خصوصاً في مسألة آلتعامل مع آلمعارضة و آلمذاهب ألأخرى!

بخلاف ألجمهوريّة ألأسلاميّة في إيران و آلتي يتصدى لقيادتها مرجع فقيه زاهد مُقتدر يتولّى آلأشراف شرعيّاً على آلرئاسات الثلاث "القضائية – ألتنفيذية – ألأجرائية"و التي تضم في رئاساتها مئات آلمجتهدين في آلفقة وآلأصول وآلقانون وآلحدود والدّيات, بالأضافة إلى مُمَثّل مُجتهد خاص للقائد(2) في كل آلوزارات و آلمؤسسات ألحكوميّة في آلدولة, بالأضافة لمُمثّلين عنه في دول وبلدان آلعالم عبر مؤسسة أهل آلبيت(ع) ألعالمية!

لقد تعرّضت دولنا آلأسلامية من قِبَلِ المنهج ألديمقراطيّ آلغربيّ إلى آلنقد وآلرّفض ألصّريح حتى آلهجوم ألعسكري لسياسة آلحكومات ألدكتاتورية ألتي أفسدتْ كثيراً فيها, و كانت صادقة في موقفها رغم إنّ نقدها وهجومها لا يخلو من آلنفاق و الخلط و آلتّشبث وآلنوايا ألمبطنة للسّياسة ألغربيّة للسيطرة على منابع النفط وآلأقتصاد, لذلك حاوَلتْ ضمن مخططها في "المنطقة الكبرى" في آلشرق الأوسط تطبيق "ألديمقراطية" في العراق فقط بعد زوال النظام الدكتاتوري لتكون نموذجاً لبقية الحكام في الدول ألأسلامية, ليكون عصا تهديد لتنفيذ ما تبقى من برامجها بالضمن!

لكننا نرى أنّ تلك "الديمقراطية" أو "آلشورى" رغم إجرائها طبقاً للمواصفات العالميّة و بإشراف آلأمم ألمُتّحدة, أفضل بكثير حتى من نظام آلشورى(ألأسلامي) الذي وقع بعد وفاة الرسول(ص) و آلذي عَمِلَ به بعض – و ليس كلّ آلصحابة في سقيفة بني ساعدة - نرى أنّ آلحكومة آلعراقية آلحاليّة و آلتي أنتجتها الديمقراطية ألحديثة ألعالية المواصفات قياساً للشورى - في مجتمعنا آلعراقي ألمسلم لمْ تُحقّق ألغايات ألأنسانية - نعني العدالة والحرية و آلمساواة – طبقاً لمنهج ألرّسالة الأسلامية إلا في حدودٍ ضيقة, حيث لم تتمكن ألحكومة بقيادة إنسان مؤمن وداعية نصف مثقف كرئيس الوزراء نوري المالكي من إلغاء ألمحسوبيّة والمنسوبيّة والحزبيّة والطائفيّة وآلعلاقات ألشخصيّة و آلعشائريّة بل زاد الفساد و الظلم, وعمّقته بإطار و لون مختلف, أي إنّ آلشعب آلذي إنْتَخَبَ مُمَثّليه بكامل إرادته و إختياره و وعيه - و لأنهُ غير معصوم عن الخطأ - لم يُحقّق آلمطلوب و آلهدف آلمنشود في آلرّسالة الأسلاميّة, و لعلّ آلسبب ألرئيسي يعود إلى عدم إنتخاب آلأفضل و آلأتقى و الأعلم بكتاب الله و سُنّة نبيه بآلأضافة إلى عدم وجود دعم مباشر من المرجعيّة آلتقليدية آلتي أساساً لا تؤمن بالحكم الأسلامي, و هذا بالضبط ما حدث من قبل؛ بعد رحلة ألرّسول الأكرم(ص)!

فمن هو آلأتقى و آلأفضل و آلأعلم و آلأقدر لهذا الأمر؟ و من آلذي يُحدّد تلك المواصفات كي ينتخبه آلشعب أو ألأمة ليكون له بمثابة الرأس من آلجسد؟

إنّ "ألدّيمقراطيّة" أو "آلشّورى" آلتي تجري في العالم والتي أجريت في آلعراق - حتى مع تلك آلمواصفات ألسّلبية و آلمواقف ألمبتورة للمرجعية الدينية - لا واقع لها في آلمجتمعات ألعربية و ألأسلامية آلأخرى! حيث لا ينتخب آلرؤوساء فيها على أساس آلأنتخابات آلتشريعية, و جميعها ذات أنظمة ملكية أو سلطانية أو جمهورية علمانية أو رئاسية من نوع خاص! حيث لا يُغادر رئيس آلجمهورية أو آلملك أو الأمير منصبه إلا بعد آلموت, و يُوصي من بعده بالزّعامة و الحكم لأبنه أو ولي عهده, و يتلاعبون بالقانون حسب أهوائهم و مصالحهم!

و ليس هذا فقط بل آلمشكلة ألكبرى هي أنّ سياسات تلك آلدول خاضعة للغرب و تعمل ضمن مخططاتها و مصالحها ألأستراتيجية, بحيث وصل آلأمر بالحكومات العربيّة لنن تعقد إتفاقيّات أمنيّة و عسكريّة و إقتصاديّة ستراتيجيّة مع أمريكا و الكيان الصهيونيّ و لحقوق آلأمة وآلأنسانية, وهذه بذاتها تمحي عملية الديمقراطية!

و يظهر بوضوح مصداق ما أشرنا له في آلوضع ألعراقي حتّى بعد عام 2003م عندما قرّر آلشعب قلب صفحة جديدة بعد دكتاتورية نظام صدام الجاهل؛ رأينا مُحاولات مُستمية من آلدول ألعربيّة و أجندتها و بالأخص ألسّعودية و دول آلخليج لأفشال ألعملية ألديمقراطيّة ألتي جرت في العراق تحت إشراف ألأمم ألمتحدة, لتخوّفها من تكرار تلك آلتجربة في بلدانها - على نواقصها و عيوبها! و لك أنْ تتصوّر مدى فساد و ظلم و تخلف تلك آلأنظمة!؟

لقد إختلف آلمسلمون حول مفهوم "ألديمقراطية" أو "ألشورى" منذ عهد آلسقيفة, حيث لم يرد نصاً من آلرسول ألكريم

بجعلهِ معياراً للخلافة من بعده(3), و لذلك لم يُعد أصلاً للزعامة و لم يتقبّله أهل آلبيت ألمعصومين خصوصاً .. و معهم بني هاشم و جمعٌ من آلصحابة ألكبار ألمقربيّن, و آلذين إستقاموا و أحسنوا إسلامهم كأبي ذر آلغفاري و سلمان آلفارسي و آلمقداد و عمّار بن ياسر و مالك بن نويرة و غيرهم, بل تعاطى آلمسلمون مع هذا آلمفهوم في حياة آلرسول بشكل ثانوي لتنظيم بعض ألمسائل ألفرعية ألمتعلقة بالخطط ألعسكرية أو آلمناورة مع آلعدو أو آلهجرة أو آلتجارة لا أكثر, هذا هو كلّ ما وَصَلَنا من مصاديق أمر آلشورى في آلحياة آلسياسية ألأسلامية, و لم يكن من ضرورات آلدّين و أركانه و أصوله, حتى في مدرسة ألخلفاء أنفسهم حيث لم يعمل به حتى الخليفة أبو بكر نفسه و لا عمر و لا عثمان ناهيك عن آلأمام علي(ع) ألذي عارض و قاوم موضوع آلخلافة وآلشورى من آلأول و آلأساس كنظريّة للحكم في الأسلام بحسب ما تبيّن من إستجوابه للمسلمين في شهادتهم للغدير بجامع الكوفة.

إنّ آلذي حدث بعد (السّقيفة) ألذي غاب عنه بنو هاشم وهم أصل وأهل الرسالة ومنبع الوحي وعماد قريش؛ هو أنّ كلّ خليفة كان يوصي بالخلافة لمن سيخلفهُ, وإخيراً حصروها بجماعة خاصة ممّن إرتضاهم على هواه, بل تَحَدّدَ مفهوم الخلافة ضمن إجتهادات وأهواء شخصية, بحيث كانت أقرب إلى الوصية منه للشورى أو الديمقراطية في المفهوم الغربي, وإن الخليفة الثالث عثمان ألذي ثارت عليه الأمة بسبب الفساد الأداري و المالي و الأخلاقي ترك الموضوع نهائياً و لم يُوص لأحدٍ من بعده, كما إن آلخلفاء الأمويون و من بعدهم ألمروانيون ثم العباسيون ثم العثمانيون .. ليس فقط لم يعملوا بالشورى بل جعلوها وراثية مَلكيّة, ممّا يعني عدم وجود إصالة لمنهج آلشورى كعقيدة في آلفكر والواقع ألأسلامي حتى لدى آلمدرسة ألسُنية نفسها ناهيك عن مدرسة أهل آلبيت(ع)!

لذلك نرى أنّ آلمسلمين تعاطوا مع آلوضع "الأسلامي" بعيداً عن هذا آلأسلوب منذ عصر "ألخلفاء" أنفسهم, و إستمرّ كلّ من تولّى آلرئاسة بعد آلرّسول(ص) بأنْ يُسمي نفسهُ خليفة للمسلمين, بل إنّ مصطلح "الخليفة" لم يكن معروفاً أو متداولاً إلا بعد مرور آلوقت وتنصيب أبي بكر في الحكم, من جانب آخر كان رجال آلخليفة يرتكبون الفواحش و المنكرات و هدر كرامة الناس و إرتكاب المعاصي و حتى قتل آلنفس المحرمة, و تجلّى ذلك بوضوح منذ آلأيام آلأولى في عصر الخليفة الأول أبو بكر حيث قَتَلَ خالد بن الوليد(4) ألشيخ مالك بن نويرة ألصحابي الجليل ألذي كان بمثابة وزير مالية آلرسول ألكريم في قومه لجباية الأموال والزكاة, لأمتناعهِ عن دفع آلزكاة لحكومة أبي بكر بإعتبارهِ غصب الخلافة, ولم يكتفي خالداً بذلك! بل زنى بزوجته "ليلى بنت سنان" في نفس الليلة بينما دماء الشهيد مالك تسيل حول خيمتهِ, و لم يقُم ألخليفة أبو بكر بحقه حدّ آلأسلام ألذي هو آلقتل و دفع دية المقتول لذويهِ, بلْ و عذّرهُ على فعلته التي لم يفعلها العرب حتى في زمن الجاهلية! و بما أننا جعلنا العدالة و الحرية و المساواة ألمعيار الأساسي لشرعية و إستقامة أية حكومة في الأرض فيما مضى؛ و لكون آلعدالة تعرّضت للطعن الواضح , و الخلافة الأسلامية إلى نكسات و إنشقاقات مازالت إرتداداتها آلسّلبية قائمة في أمّتنا؛ فأن نظرية الخلافة "ألشورى" آلمبتدعة لا يمكن أن تكون صالحة لقيادة الأمّة وإجراء العدالة الألهية و تحقيق الكمال و السعادة و التواضع في المجتمع, حتى و إنْ تبجح وإفتخر آلحكام العرب السّنة الظالمين و معهم أشباه المثقفين ألمتعصبين بتلك الشورى.

إنّ منهج الشورى ألذي إبتدعه رجال ألسقيفة – هو منهجٌ يقترب إلى الوصيّة آلمشروطة أكثر منهُ إلى نظام الشورى أو "الديمقراطية" في المفهوم الحديث – كما أنّ الموقف المعارض و المُنابذ لهذا النوع من الشورى من قبل ألمُشيرين ألأصليين أنفسهم بقيادة أهل البيت(ع) و بني هاشم, لم تكن مجرد معارضة و إحتجاج على حقّ مغصوب؛ بل كان ينطلق و يُساير بآلأساس موقف آلرّسول(ص) نفسه بشأن آلخلافة من بعده, فقد ورد في تأريخ "إبن هشام" بأن شيخ بني عامر جاء إلى الرسول في بداية آلرسالة آلأسلامية, بينما كان الرسول منشغلاً و مهموماً بأمر الدعوة ألسّرية لكسب آلمناصرين للأسلام في بداية آلدعوة .. و رغم إنهُ كان بأمسّ الحاجة إلى آلمؤيّدن ولكل مجاهد يعاضده لأداء رسالتهِ؛ إلّا أنه رفض طلب شيخ بني عامر بجعله خليفة من بعد وفاة ألرسول مقابل وضع أكثر من ألف فارس و مقاتل من بني عامر تحت زعامتة لنشر الدعوة الأسلامية(5)! لكن آلرسول (ص) رفض آلعرض وقال: إن مسألة الوصي من بعدي ليست بيدي بل يتعيّن من قبل الله تعالى!

لقد قدّم الأمام آلفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس) ألذي إستشهد مظلوماً على أيدي حزب البعث عام 1980م تحليلاً تأريخياً علميّاً عميقاً حول آلخلافة و سير خط الخلفاء(أبو بكر وعمر وعثمان) وإفرازاتها آلسلبية ألمدمرة للأسلام وآلمجتمع آلأسلامي(6), حتى إنّ أمام المتقين عليّ(ع) لم يعمل بسنة آلخلفاء, و رفض آلبيعة آلمشروطة لبعض الصحابة كطلحة والزبير و عبد الله بن الزبير و عمر بن العاص بالعمل على سنة الشيخين - يعني التفريق في آلفيئ بين المسلمين كالذي كان سائداً في عصر آلخلفاء قائلاً لهم؛ "سأعمل بكتاب الله و سنة نبيّه أو ما آراه برأي"(7).

و بسبب موقفه العادل هذا نراه قد واجه جيوشاً من ألقاسطين و ألمارقين و ألناكثين من المسلمين لخلافته بسبب تلك التربية و المفاهيم الخاطئة التي توارثها ألمسلمون .. برعاية ألخلفاء الذين سبقوه, و لذلك طالما رجاهم الأمام علي(ع) بعد مقتل عثمان بإعفائه من زعامة المسلمين في بداية ألأمر .. ليقينه بأن إجراء العدالة الأسلامية مع تلك التركة ألتي إستجمعت كل فنون النفاق و المتناقضات في ذلك الوسط الفاسد ألذيْ تبدّلت فيه نوايا الناس, و إنشغالهم بالملذات و بأموال و غنائم كسرى و ألشام و ألروم .. سيُكلّفه و ألمسلمين .. ألكثير من ألدماء و الحروب و ألخسائر و الويلات قائلاً لهم: "إتركوني فأنا لكم وزير خير لكم مني أمير", فكان سلام الله عليه على يقين بأن ألنفاق و ألركون للدنيا قد دبّ في نفوس ألمسلمين بعد ما أستهلكت تلك ألطاقة ألأيمانية ألتي إكتسبوها مباشرةً من رسول الله (ص) في فترة زمنية قصيرة بالأحتكاك المباشر بدون وعيّ كامل لمضامين و أهداف الرسالة الأسلامية في عقول و نفوس المسلمين, بعد نفاذ تلك الطاقة و إنشغال المسلمين بالغنائم و الترف المادي بعد فتح ألعراق و بلاد فارس و ألشام و ألروم ألغنية, لم يعد للأيمان الحقيقي وجوداً في نفوسهم, بل ألكل بات يقيس ألأمور بمنظار ماديّ دنيويّ, مِمّا سبّب هذا الوضع مقتله في محراب عبادته لأنهُ كان لا يُفرّق بين المسلمين وغيرهم في عطاء بيت المال(8), و ليس هذا فقط, بل قتل ألمسلمون فيما بعد حتى إبناء سيّدي شباب أهل الجنة (ألأمام ألحسن و الأمام الحسين) الذي قال عنهما جدّهما(ص):[الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا], و أبنائه التسعة على يد آل أبي سفيان و آل مروان و آل عباس , و كان قتلهم بالنسبة لأكثرية أوْلئك "ألمسلمين" بمثابة ألتقرب لله تعالى .. و لَكَ أنْ تتصوّر إلى أيّ مدى وصل ألأنحطاط ألفكري و ألأخلاقي لدى ألمسلمين بسبب تلك الخلافة!؟

و بعد إصرار ألقوم على إنتخاب للأمام علي(ع) قبلها مكرهاً وعلى مضض بعد مضي ربع قرن على وفاة ألرّسول(ص) وسط تلك المأساة و التركة الخطيرة التي ورثها من ألخلفاء و هو يرجو المسلمين قائلاً:
[دعوني و إلتمسوا غيري و إعلموا أنّي إنْ أجبتكم, ركبتُ بكم ما أعلم, و لم أصغ إلى قول القائل و عتب ألعاتب, و إنْ تركتموني فأنا كأحدكم, و لعلّي أسْمَعَكُم و أطوَعَكم لمن ولّيتموهُ أمركم, و أنا لكم وزير خيرٌ لكم مني أميراً](9)؛ بعد ذلك الاصرار و الألحاح وحتى بكاء عامة المسلمين إتّخذ ألأمام علي(ع) ألكوفة مركزاً لخلافته بعد ما ملّ ألنفاق و ألتذبذب ألذي إنتشر بين أهل مكة و المدينة و خذلانهم لحقّه طيلة ربع قرن بسبب لقمة الحرام و روح القسوة و ألعنف و ألسنن الخاطئة التي تربوا عليها بسبب ألسياسات التي شرّعها من كان قبله من الخلفاء في الحكم, و لم يستلم الخلافة رسمياً إلاّ بعد أوّل خطبة له في مسجد الكوفة ليُتمّ ألحُجّة ألشرعيّة من خلالها على المسلمين بكونه مُعيّن من قِبَل الله لا من قبلهم, بتذكيرهم لحقّهِ ألمغصوب ألذي أقرّهُ ألرسول (ص) بأمر من الله تعالى في واقعة غدير خم بحجة الوداع في 12 ذي الحجة سنة13 للهجرة(10), حيث قال سلام الله عليه مُتسائلاً :

[أنشد الله كلّ إمرءٍ مسلم سمع رسول الله(ص) يقول يوم غدير خم ما قال .. إلّا قام فَشَهِدَ بما سَمِعْ, و لا يَقُم إلّا من رآهُ بعينهِ, و سمعهُ بأذنيهِ]- إنما قَصَدَ ألأمام بذلك إثبات حقّه ألمغصوب للتأريخ و للمُسلمين, بعد ما بدأوْا بنسيانه و تناسيه و منهم من توفى, لأنها – أي ألحكومة على الناس - قضية وأمانةٌ إلهية وليس من شأنّ أحد تعيّنها لأنها تُحدّد مصير وعاقبة الناس في هذا الوجود(11) فقام لذلك 30 صحابياً, منهم 12 بدرياً, و شهدوا أنّ رسول الله أخذ بيد عليّ وقال: [أ تَعْلَمون مَنْ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا بلى, قال(ص): منْ كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه...].
و كان من بين ألحاضرين "أنس بن مالك" ألذي أقعدهُ ألحقد وألعصبية عن الشهادة, لأن علياً قتل والداهُ مع ألمشركين في بدر و جعل نصيبه من بيت المال كأيّ مسلم .. حيث تعذّر بالقول : [لقد كبرتُ و نسيتُ]!
فقال له عليّ(ع): [إنْ كنتَ كاذباً فأسأل الله أن يضربك ببياض لا تواريها العمامة], و ما خرج أنساً من المسجد, إلّا إبيضّ وجهُ برصاً, و كان يُردّد بعدها و يقول: [أصابتني دعوة العبد ألصالح لأني كتمتُ شهادته](12).

إنما أراد ألأمام(ع) أن يُذكّرهم و يؤكد لهم بأنّ ألخلافة ألأسلامية أو "ألأمامة" هي أمرٌ الله تعالى و إرادته و لا تتحدّد بألشورى و مجالس الحل و العقد, و لا حقّ للأمة فيها إلّا بمقدار ما يتمّ تعينهُ و بيانهُ كمنهج من قِبَلَ من إختارهم آلله تعالى و كرّمهم بالعصمة .. فالسّلطة وسيلة لتحقيق العدالة و الحرية و ألمساواة و الله وحده من يعرف تداخلاتها و تعقيداتها و طرق تطبيقها, و هي من أصعب الأمور ألتي بظلّها تتحقّق ألغاية من خلق الأنسان و ألكون و فلسفة الوجود .. و هي لله تعالى و لرسوله و لأولي الأمر من المسلمين(13) و بهذا ألطريق فقط تتحقّق عملية ألأستخلاف ألألهي لنيل الكمال و ألسّعادة الأنسانية, لهذا لا بُد أنْ يكون ألأمام (ألخليفة) قدوة ذات مواصفات خاصّة لتحقيق ألعلّة ألغائية في ألخلق و ألوجود! و إنّ إعلان و بيعة غدير "خم" للوصيّ من بعد ألرّسول هي ألوثيقة التي أمضتْ تلك ألحقيقة بما لا يقبل ألشّك و ألتزوير و التدليس؛ فألأمّة عندما بايَعَتْ ألأمام(ع) بألخلافة من بعد ألرّسول (ص), وبَخبَخ له ألصحابة و كان أوّلهم أبو بكر وعمر وعثمان وبايعه كلّ ألمُسلمين بقولهم:

[بخٍّ بخٍّ لك يا عليّ أصبحتَ مولاي و مولى كلّ مؤمنٍ و مؤمنةٍ] ـ من هذه الواقعة ألّتي هي أشهر من علم بين آلمسلمين نرى إنّ آلتعيين ألألهي في نظرية الحكم في الأسلام سبق بيعة ألنّاس لكونه – ألتعين ألألهي ـ ألأصل في إقامة آلنظام ألأسلامي, و من هنا نعتقد بأنّ ألولاية ألشرعية و آلخلافة على آلمسلمين لا تجوز إلّا بإذنٍ و تعينٍ من الله تعالى عن طريق رسوله ثم آلأمام آلمعصوم ثم الفقيه طبقاً لمواصفات خاصة حدّدها ألأئمة الأطهار في زمن الغيبة الكبرى التي نعيشها اليوم!

إنّما تأتي أهمّية موقع ألخلافة و حساسيتها من بعد آلرّسول(ص) كونها رأس آلأمة و هاديها, و "إذا صَلَحَ آلرأسُ صَلَحَ آلجسد" و آلعكس صحيح أيضاً, وإن الله تعالى يزع بآلسّلطان ما لايزعه بآلقرآن, و بما أنّ آلناس ألعادييون (ألعوام) لا يُمكنهم أن يكونوا بمستوى ألمُنْتَخَبين ألمُسَدّدين من قبل الله تعالى؛ لذلك لا نعتقد ـ لعظمة ألرّسالة ألألهية و خاتميتها و لعدالة الله و رحمته و منّهِ ـ أن يترك هذا آلأمر ألمصيري بيد أناسٍ لم يُدركوا غاية آلرّسالة ألأسلاميّة و فلسفة ألوجود(14) كونهم لم يتطهّروا من قبل الله تعالى, حيث حُصرت آلطهارة و آلقدسية و آلعصمة و آلعلم في أهل بيت رسول الله(ص) بنص القرآن (15), و ما يُحقّق هذه ألقضية كمصداق عمليّ لإستدلالنا ألعقلي بجانب ذلك آلنص ألأهم في النظرية ألأسلاميّة؛ هي مواقف ألخلفاء و أفعالهم قبل خلافة آلأمام علي(ع) حيث إرتكبوا آلكثير من آلأخطاء و الجرائم و السّنن ألّتي سبّبت إنحرافات خطيرة في آلأمة و أريقَتْ بسببها دِماءَ آلكثير من آلمسلمين في حرب آلجمل و آلنهروان و صفين أثناء خلافة ألأمام علي(ع) ألقصيرة!

إن إصرار ألشّيعة و إعتقادهم بمسألة ألوصيّة في تعيين الحاكم دون آلشّورى, ليست مسألة عاديّة بدأت من غدير خم أو حتى قبلهُ ثم وصلت آليوم بالتّقادم إلى حكومة ولاية الفقيه للتمهيد إلى آلأمر ألألهي ألعظيم بتأسيس ألدولة ألعالمية ألعادلة؛ كما إنّ آلقضية لا تنحصر في خلافات شخصيّة أو مذهبيّة أو قبليّة أو قومية أو طائفية؛ و لا حتى نزاع سياسيّ؛ أو عداوات شخصية مع بعض الذين خالفوا منهج الرسول و إتخذوا منهج الأنتخاب و الخلافة بدل التعين الالهي؛ بل ألقضية تتعدّى تلك آلآفاق ألمحدودة لتشمل مصير آلأنسانية و مُستقبل ألرّسالة و آلكون, و لعلّ ألكثير – حتى من آلعلماء ـ لا يُدركون عمق آلموضوع و آثاره و أبعاده آلخطيرة التي ولدت كل آلمحن التي نعيشها اليوم بسبب تلك السنة الخاطئة, فآلقضية لم تكن بتلك البساطة ألتي تصورها أمثال ابن إبي الحديد المعتزلي و لم يكن منصفاً حين قال: [لا ضرر في تقديم الفاضل على الافضل]!

إنّ إخواننا ألسنة ألمُعتدلين و معهم كلّ المسلمين .. وحتى البشرية جمعاء؛ ما زالوا يدفعون للأسف جهلاً أو تجاهلاً ضريبة ألنتائج ألمدمرة لمدرسة الخلفاء و إفرازاتها ألخطيرة التي تتعمق يوما بعد آخر, و آلسنة تضرّروا أكثر من آلشيعة بموقفهم ألسّلبيّ ألبريئ من موضوع الوصيّة و عدم مُبالاتهم لواجباتهم حيال قضية إمامة أهل آلبيت(ع), لقلّة معرفتهم بحقيقة آلأمر وأسرار آلرّسالة وغايتها, و أوضح مصاديق هذا آلأستنتاج هو إنقطاع حبل آلولاية ألعملية ألتي تربطهم و توصلهم أليوم عقائدياً و بشكلٍ منطقيّ وحيويّ بالسماء.

ألشيعة رغمَ كلّ ما جرى عليهم من آلتنكيل و آلذبح يمتلكون آليوم بفضل آلله و أهل بيتهِ على آلأقل مرجعيّة دينيّة حيّة إتّخذتْ على عاتقها مسؤولية قيادة آلأمة سواءاً داخل نظام آلدولة ألأسلامية ألمعاصرة و آلمتمثلة بالجمهورية ألأسلامية تحت ظل ولاية الفقيه .. أو في إطار ألمرجعية ألدينية ألتقليدية ألتي تأقلمت مع قضايا آلدولة ألأسلامية ألستراتيجية, كونها – أيّ ألدولة ألأسلامية ـ أصبحتْ حاضنة للعلم و آلعرفان و آلتقوى و آلجهاد و آلأبداع و آلعلم و آلنهضة لمواجهة المستكبرين الذين تسلطوا أو يحاولون التسلط على كل مقدرات البشرية لتكون لقمة الخبز بأيديهم و بآلتالي ليستعبدوا آلأنسان, إنّ ولاية الفقيه اليوم تُمثّل ألعمق ألأستراتيجي لكلّ آلمسلمين ألمُوحدين و حتى آلمستضعفين في آلعالم, عبر دعمها لهم ضد آلمصالح الاستراتيجية للمستكبرين و آلصهاينة, خصوصاً عبر دعمهم للمجاهدين في لبنان و فلسطين و العراق و آلدول العربية و آلأسلامية و غيرها!

إنّ إخواننا ألسنّة رغم كونهم يُشكّلون آلأكثرية(ثلثي آلمسلمين)؛ إلّا أنّنا نرى تشتّتاً و اضحاً في مسيرتهم و وحدتهم و عقيدتهم و مواقفهم لفقدانهم و إنقطاعهم عن ولاية الله لعدم إيمانهم بمرجعية ولاية الفقيه بإستثناء الواعين منهم في الحركات الأسلامية في بلاد الشام و العراق, و لهذا نرى أنّهم – أيّ إخواننا ألسنّة ـ يتعاملون سلبياً مع مجمل آلقضايا ألأنسانية وآلأسلامية آلستراتيجية بإتجاه خدمة مصالح الأستكبار العالمي وآلصهيونية في منطقتنا, بسبب رضوخهم لمواقف و سياسات حكوماتهم ألدكتاتورية ألغير إنسانية المرتبطة بآلأستكبار العالمي, و كذلك فقدانهم للمنهجية العقائدية في مدارسهم ألتي أغلقت باب الأجتهاد و حرّمتهُ كما أسلفنا! فإنحصر و تقوقع المؤمنون منهم ضمن دائرة تحوي سنناً جامدة و أكثرها خاطئة و مُزوّرة و متناقضة لا تجدي نفعاً و لا تتناسب مع حركة الوعي و تقدّم العلم و آفاق الفكر آلأنساني في

عصرنا هذا, و سيسوء حالهم أكثر فأكثر مع مرور الزمن حدّ الموت, إنْ لم يُحطّموا تلك الشرنقة آلتي أحاطت بهم فقتلت روح آلأبداع و آلأجتهاد وآلتعقل وآلتفكر في وجودهم كدودة القز.

إنّ آلمنطلق الصحيح و آلخطوة ألأساسية لخلاصهم هي؛ تمزيق تلك آلشرنقة و آللوبي الوهابي ألمُسيطر على ساحتهم وتجاوز ذلك آلواقع ألأليم ثمّ إندماجهم مع حركة أهل البيت(ع) ألحية الناهضة من خلال آلمرجعيّة ألدينيّة ألمتمثلة بولاية الفقيه التي تريد العزة للأسلام و المسلمين .. لأنها تمثل إصالة الأسلام ألممتدة مع حركة آلزمان و آلمكان و آلفكر و آلتقدم ألحضاري و آلمدني, بسبب آلأجتهاد, وقد قد جعل آلرّجسَ على آلذين لا يعقلون(16)!

و مدرسة أهل البيت(ع) إنّما يُؤكدون على ألوصية (ألأمامة و آلولاية) كأصلٍ من أصول آلدِّين ألخمسة(17) .. بإعتبارها من ضروريّات آلنظام ألأسلاميّ ألضّامن لتحقيق آلتكامل الأنساني و آلفلاح في آلدارين, فبدونه ينقطع حبل آلوصال و آلمودة مع آلسماء, لأنّ مودة أهل البيت(ع) و إمامتهم جعلها الله تعالى معياراً للتفاضل بين آلخير و آلشر, بين آلحق و آلباطل, للحصول على الأجر و آلفوز بالجنة, حيث قال تعالى:" قُلْ لا أسألكم عليه أجراً إلّا آلمودة في آلقربى"(18), كما إنّنا لا ننظر للموضوع كونه مُجرّد إطاراً للحكم و للنظام على أهميتهِ, بل كلّ نظام عقائدي صحيح لا بُدّ و أنْ ينطلق أساساً من خلال رضا الله و رسوله و ذوي آلقربى ألذين هم آلمعيار و آلعلة في خلق آلكون و فلسفة آلوجود و مسألة آلثواب و آلعقاب في آلدارين, و بغير هذا آلشرط ألقرآني ألذي وضعه الله تعالى لا تُحقّق ألرسالة ألأسلامية سواءاً داخل منظومة آلمجتمع أو داخل ألتكوين ألنفسي ألعاطفي للأنسان المسلم منفرداً أهدافها في طريق الكمال و ألعبودية إلّا عن طريق ربط آلمجتمع بالله و ليس بالمُستكبرين وألظالمين!

لذلك فأنّ ما يعتقده مدرسة آلخلفاء؛ من أنّ إجماع آلأمة ـ ألغير معصومة عن آلخطأ لقصور معرفتها – على شخص مُعين حسب إعتقادها ـ هو آلمعيار و آلمراد من مفهوم آلشورى كمنهج أمثل يُمكن من خلاله تحقيق معنى ألخلافة الألهية وآلكمال الأنساني؛ هو منهج خاطئ و باطل, يُخالف نصّ ألقرآن وآلسّنة وعلى لسان ألرّسول(ص) و تقريراته وموقفه من هذا آلأمر, وآلدليل ألعملي؛ هو ما حدث من إنتكاسات و إراقة للدّماء في آلمسيرة ألأسلامية و إفرازاتها ألخطيرة على كل صعيد بسبب خلافة دنيوية منقوصة إبتدعها أقرب شخصيّات من آلدائرة آلتي كانت تحيط بالرّسول(ص) للأسف, غير مُبالين بحقّ ومكانة أهل بيت ألرّسول(ص) آلّذين هم محور ألرّسالة وأساسها و مودع أسرارها, وآلمؤسف أيضاً أنّ آلرّسول(ص) رغم إشارتهِ و تنبيهاته لتلك آلفتنة بصراحةٍ مراتٍ و مرات(19)؛ إلّا أنّ آلقوم لم يحترموا رأيه حتى الموت, ولهذا آلتنكر سوابق من قبل بعض آلصحابة حتّى في حياة ألرّسول لا مجال لبحثها هنا, وإن أربعة عشر قرناً من المظالم والمحن التي سبّبتها مدرسة الخلفاء لتكفي لأن لا يُعيد اخواننا السُّنة خصوصاً علماؤهم هذا الأمر, فآلعوام عادةً لا يملكون تصورات و لا أساس لمثل هذا الأمر المصيري.

كما أنّ موضوع آلشورى لا مجال و لا أهمّية لهُ في عقل ألمفكرين و آلفلاسفة ألأسلامين ألواعيّن على آلأقل .. لأستدلالهم ألعقلي بأهميّة رأس آلنظام و عدم آلأطمئنان لرأي آلأمة لمستواها ألفكري ألمتدني .. لتحقيق أهداف ألمنهج ألأسلامي كونهُ – أي آلرأس ـ يُمثّل ألمؤشر و آلدال على آلهداية و آلخير و آلحقيقة جملةً و تفصيلاً, لذلك لا يُمكن لأيّ كان حتى لو تمّ إنتخابه من قبل ألأمة آلقاصرة أنّ يقوم بدور آلمُرشد و آلقائد آلرسالي ألهادف ما لم تجتمع فيه صفات تمّ تحديدها من قبل خاتم آلأئمة ألطاهرين ألذين إختارهم آلله تعالى على لسان رسوله آلصادق ألأمين, حيث فصّل آلأمام الثاني عشر(ع) في روايات مُتواترة لا تحتاج إلى كثير عناء لفهم وإدرك تلك آلمواصفات و آلعلامات, و نشير هنا إلى رواية واحدة مُتواترة .. على أمل ألتوسع في آلبحث في آلحلقة آلقادمة إن شاء الله و هي: [من كان من آلفقهاء صائناً لدينه .. مُحافظاً لهواه .. مُطيعاً لأمر مولاه .. فعلى آلعوام أن يُقلّدوه], حيث بيّن لنا الأمام(ع) ملامح هامّة و تفصيليّة لشخصيّة ألمتصدي(ألولي الفقيه) لأمور آلمسلمين, بينما آلمذاهب ألأخرى تُجيز حتّى طاعة ألحاكم ألظالم, وهذه لعمري من آلمفارقات آلكبرى بين (مدرسة آلخلفاء و مدرسة أهل آلبيت) ألطاهرين ألمظلومين, و يتجلّى مصداق ذلك من خلال مواقف آلأزهريين و آلمؤسسات ألدينية في آلسعودية والمغرب وغيرها من المؤسسات في آلدول ألعربيّة كونهم موظفين يتقاضون رواتبهم من آلحكومات ويتّبعون سياسة حكوماتهم!

إنّ جميع آلحكومات ألتي مرّت خلال آلتأريخ ألأسلاميّ بعد وفاة آلرسول(ص) بإستثناء حكومة ألأمام عليّ(ع) ليستْ فقط .. لم تُحقّق ألعدالة و آلحرية و آلمساواة ألتي أشرنا لها كمعيار لتحقيق آلتقدم و آلكمال ألأنساني في ألمجتمع؛ بل سبّبت ألمآسي و ضياع آلدولة ألأسلامية و إسالة دماء آلمسلمين, و هُدِرَتْ تحت ظلّها حُقوق و كرامة ألكثير من آلمُتّقين, و في مُقدّمتهم حقوق و دماء أهل بيت رسول الله(ص) و أبنائهم و شيعتهم و الموالين لهم, و إستمرّت تلك آلحكومات حتى آليوم في بلادنا ألعربية تُلاحق و تَقْتُل كلّ من لا يُطيع أوامرها, حتى أعلن الناس آلحرب عليهم بعد صحوتهم(20) و إنتشار الظلم و الفقر

بينهم, و ما جرى و يجري في ألبحرين و آلسعودية و آلعراق و اليمن ودول الخليج و مصر وغيرها بحق آلأنسان و شيعة أهل البيت(ع) بآلخصوص لدليلٌ على ذلك(21)!

خلاصة ما توصّلنا إليه في هذه الحلقة هي أنّ (آلشورى) سبّبت تعطيل برنامج ألسّماء – الذي هو برنامج أهل آلبيت ألمظلومين ألذين إنْزووا وحوصروا وقُتلوا و مَنْ والاهم بعد رحلة آلرّسول ألأكرم(ص), و تفرّق آلمسلمون و تشتّت شملهم إلى مذاهب و فرق و دعوات مختلفة, و في آلنهاية قتلوا جميع آلأئمة المظلومين بإستثناء ألأمام ألثاني عشر محمد ألمهدي(عج), حيث غاب عن آلأنظار بأمرٍ من آلله تعالى ريثما تتهيأ آلظروف ألمناسبة لظهورة آلمبارك مُجدّداً لتمكين آلعدالة ألألهية في آلأرض عبر حكومةٍ عالمية كريمةٍ تُعِزّ بها آلأسلام وأهله و تُذّلّ بها آلنفاق و أهله .. لكن صاحب آلزمان ألأمام ألحجة(عج) لم يترك هذا آلأمر آلكوني سُدىً! و إنّما كلّف آلمسلمين و فقهائهم بأنْ يُطيعوا و يُقلّدوا في زمن غيبته آلكبرى هذه - من آلفقهاء من كان صائناً لدينه مُطيعاً لأمر مولاه مُخالفاً لهواه كي يتمكّن من تمهيد آلأرضية ألمناسبة لظهوره آلمبارك, و سنفصل آلموضوع ما شاء آلله في منهج وليّ آلفقيه الذي عناهُ صاحب آلأمر(عج) في ألحلقة آلقادمة .. إنّهُ نعم آلمولى و نعم آلنصير, و لا حول ولا قوة إلا بآلله ألعلي ألعظيم. ألفيلسوف الكونيّ

---

(1) يؤمن ألمسلمون ألسُّنة بالمذاهب ألأربعة و التي تشكّلت بعد قرنين تقريباً من رحلة آلرسول ألأكرم(ص) و هي ألشافعية و آلمالكية و آلحنبلية و آلحنفية, و رؤساء تلك المذاهب الذين إنفصلوا عن دين أهل البيت(ع) كلّهم من بلاد فارس(إيران) و تتلمذوا على يد الأمام الصادق(ع), و إنّهم لم يَدّعوا أبداً بأنهم أصحاب دين جديد مقابل دين أهل البيت(ع), حيث لم أحصل على نصٍّ بتصريحهم – و لو ضعيف – يَدُلّ على ذلك – و حتى لو فرضنا وجود ذلك الأدّعاء منهم فأنها لا تبرّر كونها مذاهب مُؤيدة من قبل شرع الله و رسوله و أهل بيته الطاهرين, يعني أنّ إبتداع المذاهب ليس من حقّ أحدٍ , حيث لا يُوجد نصّ في القرآن أو في السنة أشار إلى تلك المذاهب, أو حتى لغيرها من المذاهب آلأسلامية آلكلامية و الفلسفية كالجبريون و التفويضيون و المرجئة, بل القرآن الكريم أكد على الوحدة من خلال التمسك بخط و حب أهل البيت و ولايتهم, و عدم آلتفريق في صفوف الأمة, و نبذ الرّسول جميع الفرق الأسلامية - في حديث متواتر: "ستفترق أمتي إلى إثنان و سبعون فرقة ..." - بإستثناء واحدة .. و هي الفرقة آلناجية التي تلتزم بولاية و حبّ عليّ و أهل بيتهِ, ألذين هم ذوي القربى كما عبّر عنهم القرآن بـ "أهل آلبيت"(ص), و هم خمسة أهل الكساء؛ (محمد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين) , كلّ ما في الأمر أنّ آلخلفاء ألأمويون و ألعباسيون و من شايعهم هم آلذين أبدعوا تلك آلمذاهب و التيارات للمسلمين لبغضهم لعلي و لبني هاشم, بل إنّ منشأ ألعلوم الكلامية و الفرق الفلسفية و الصوفية و المذهبية في الكوفة و البصرة و غيرهما كانت نتيجة لإمتدادات آلسقيفة ألتي شوهت صورة أهل البيت الحقيقة بمرور الزمن بعد ما سُلب حقّهم في الخلافة و فدك و غيرها .. كل ذلك من أجل تضعيف خط أهل البيت(ع) لإضفاء صفة آلشرعية من قبل الحكام – بتبنيهم للخلافة و لتلك آلمذاهب - على سلطانهم لأستمرار تسلطهم و سياستهم مُقابل حقّ أهل بيت الرسول(ص) ألمتمثل بالأئمة آلمعصومين و آلموالين لهم من الشيعة, كونهم كانوا يُمثّلون آلأمتداد الطبيعي و آلشرعي للخلافة بعد الرسول(ص)! فكيف يُمكن لتلامذة ائمة الشيعة كالحنفي و آلمالكي و آلبصري و الجهني و غيرهم أن يُقدّموا آرائهم و تقريراتهم على رأي أساتذتهم من أئمة أهل البيت(ع) كآلأمام عليّ(ع) و الحسن و الحسين و آلسجاد وآلباقر وآلأمام الصادق و آلكاظم وآلرضا والجواد وآلهادي والعسكري وآلمهدي(ع), وهؤلاء هم ألخلفاء ألاثني عشر بعد الرسول(ص) لأمامة المسلمين!؟

(2) معنى ولي الفقيه؛ هو "ألولي" يعني من يتولى أمراً و يقوم به, فلان وليّ هذا آلأمر, أيّ ألقائم بشؤون هذا آلأمر, و يمكن القول؛ ألأب وليّ, و الجار وليّ, عليّ وليّ – يأخذ على عاتقهِ أمر شيئ مُعَيّن, أو كما يقال: " تولّى القيادة".

أما "ألفقيه" فإنها مشتقة من مصدر فقه – أي علم غاية الشيئ, و وقف عليه و على ما يدور حوله أو ما يناقضه من أمور.

يقول الأمام الخميني(قدس): "ولاية الفقيه" هي من أهم آلأمور في آلنظام الأسلامي, و هي شوكةٌ في عيون آلأعداء ألذين يُدَبّرون المؤآمرات ضدّها, كي يُصرفوا الناس عنها ليخلو لهم الجو و يفعلوا ما يشاؤونُ, و إنما حربهم ضد ولاية الفقيه هو كي يجعلوا الناس من جهة أخرى لا يُبالوا بهذا آلقانون ألأساسي ألذي يريد تحكيم آلأسلام و نشر العدالة و العبودية لله, إنهم يعتبرونها رجعيةً .. لأنهم يخافون من حكم الأسلام على مصالحهم, و للأسف يصدر هذا من بعض الذين يدّعون العلم .. و لكونهم لا جُرأة لهم بالنطق بها صراحةً؛ لهذا يُعبّرون عن نواياهم بما يدُلّ على ذلك جهلاً أو تجاهلاً! و آلتعريف السائد للفقيه يعني؛ ألعالم الذي حصل على درجة الأجتهاد (ما فوق الدكتوراه) في علوم الفقه بالأضافة إلى أمور و قضايا المجتمع السياسية و الأجتماعية و الاقتصادية, و بهذا لا بُد أن يكون المتصدي لولاية الفقيه(في الأمور الحسبية و القضائية و غيرها) أن يكون جامعاً للشرائط مُحيطاً بجميع قضايا الأمة بالأضافة إلى علوم الفقه و الأصول و التفسير و ما إلى ذلك من العلوم الأسلامية و الأنسانية و آلنفسية, كما إنّ الفقيه يجب أنْ يتّصف بصفات شخصية نوعية راقية تؤهله لنيل منصب ولاية الفقيه كقدوة لبناء الأنسان الكامل و تحقيق المجتمع السعيد في هذا العصر ألذي هو عصر الغيبة الكبرى – عصر التمهيد – لظهور صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف, و في زماننا هذا لا يتصف بتلك المواصفات سوى قائد و زعيم آلأمة الأسلامية و الأنسانية ألأمام الخامنئي دام ظله و أعزّ الله به الأسلام و المسلمين, فهو الوحيد ألذي رفع راية الجهاد ضد المستكبرين في آلأرض عبر حكومة إسلامية عصرية مؤيدة من قبل مئات المجتهدين و العلماء و المتخصصين بالأضافة إلى تأييد عامة الشعب الأيراني آلمسلم أو غيرهم من المسلمين. و الحكومة الأسلامية أو بتعبير آخر "ولاية الفقيه" من ضروريات آلتمهيد للدولة الأسلامية العادلة بقيادة الأمام الحجة(عج), ذلك أنّه و كما يقولون: " أول ما يضيع في الأسلام ألصلاة و آخره الحكم".

(3) لم يرد نصاً من آلرسول (ص) و لا في القرآن يؤكد على جعل الخلافة عن طريق الأنتخاب, و أما آية "الشورى"؛ "و أمرهم شورى بينهم" فهي إشارة إلى آلأمور الثانوية و القضايا الفرعية ألتي تختص بالأمور الأقتصادية و الأجتماعية و آلعسكرية و خطط و برامج العمل و البناء في آلمشاريع و المجالات آلمختلفة في النظام الأسلامي, كون المسلمين يفترض أنهم سوف لا يختلفون على مسألة الخلافة بعد إعلان الرسول(ص) ألصريح و الواضح عنه في مناسبات مختلفة و أشهرها واقعة الغدير .. نظرياً عبر آية التبليغ , و عملياً عند رفعه ليد عليّ(ع) وسط المسلمين, و من قبله ألمؤآخاة بينه و بين علي في المدنية المنورة عاصمة الدولة الأسلامية أنذاك, مع بيان مقدمات و تفاصيل كثيرة عن ذلك من قبله(ص) شخصياً, حيث إمتلئت كتب الفريقين بذلك و لا حاجة لبيان نصوصها هنا.

أما آية آلأستخلاف الألهي" إني جاعلٌ في الأرض خليفة" فهي الخلافة العامة, و هو من حق كل إنسان أن يكون خليفة الله من خلال نيله للكمال و ما

يقدمه من العمل الصالح في الوجود في طريق نيل مرضاة الله طبق تعاليم الأسلام , و لا دخل لها بالخلافة الخاصة و التي تختص بأنبياء آلله و أوصياءهم.
(4) لقد كانت لخالد بن الوليد سوابق من هذا النوع قبل و بعد إسلامه نهاية السنة السابعة للهجرة , أيّ قبل وفاة الرسول بعامين, و قد تبرأ منه الرسول في قتله لبني جذيمة, للمزيد راجع: إبن حجر في الأصابة(5/755) حيث يقول؛ "فقدم أخوه متمم بن نويرة على أبي بكر و أنشده مرثية أخيه, و ناشده في دمهِ و في ردّ أبي بكر السبيّ! و ذكر الزبير بن أبي بكّار؛ أنّ أبا بكر أمر خالداً أن يفارق إمرأة مالك ألمذكورة, و أغلظ عمر لأمر خالد, و لكن أبو بكر عذّرهُ".
حتى إنّ عمر أرادَ أن يقيم على خالد حدّ آلقتل لسفكه الدّم آلحرام و للزنا .. لكن أبو بكر تعذّر قائلاً : إنه تأوّل فأخطأ! من هذه الحادثة نستدل على عدم آلعدالة في الحكومة التي أنتهك فيها دم و شرف و كرامة أفضل آلصحابة لكن خليفة المسلمين يدافع عن المجرم السفاح, بل و يُكرمه بزعامة الجيش!
(5) ذكر إبن هشام في سيرته تفاصيل تلك الحادثة, للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة ذلك.
(6) راجع آلصفحات الأولى من كتاب ؛ أئمة أهل البيت(ع) تنوّع أدوار و وحدة هدف, للأمام آلفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس).
(7) بعد وفاة الرسول ظهرت شيئا فشيئا طبقة ثرية بين المسلمين كان منهم الصحابي عمر بن العاص الذي كان يأخذ حصة خاصة من بيت المال بختلف عن الكثيرين, لهذا قال بآلبيعة المشروطة, و حين رفض الأمام ذلك, قال عمر بن العاص: أتجعل حقي من بيت المال كحق خادمي)؟
(8) يقول جبران خليل جبران ألمسيحي المذهب:" إنّ علي بن أبي طالب (ع) لمن عمالقة الفكر و آلروح في كل زمانٍ و مكانٍ, إنهُ كلام الله الناطق, وقلب الله الواعي, نسبته إلى من عداه من الأصحاب شبه المعقول إلى المحسوس, و ذاته من شدّة آلأقتراب ممسوس في ذات الله, قتل في محراب عبادته لشدّة عدله, مات الأمام عليّ و شأنه شأن جميع الأنبياء الباصرين .. ألذين يأتون إلى بلدٍ ليس ببلدهم, و إلى قومٍ ليس بقومهم, في زمنٍ ليس بزمنهم"! و نحن إذ نستشهد بأقوال هؤلاء آلمفكرين ألمحايدين ألذين لا هم من السنة و لا من الشيعة, فالخير ما شهدت به الأضداد, و قد حاولنا حجب أسانيدنا و أدلتنا المعتبرة و الكثيرة جهد الأمكان لئلا يتّهموننا بالتطرف و التحيّز.
(9) نهج ألبلاغة, ألخطبة 91 ص262, مطبعة الفيض, و آلخطبة92, ص126, ضبط و فهرسة ألدكتور صبحي الصالح.
(10) واقعة الغدير المعروفة لدى جميع العالم خصوصاً ألمسلمين, حيث أوقف الرسول(ص) في طريق عودته من آخر حجة له في منطقة غدير خم في الجحفة قبل أن يتفرقوا منهُ .. ذلك الحشد الهائل(120) ألف صحابي, في 12 ذي آلحجة سنة 13 للهجرة, لماذا أوقفهم وسط الشمس, و هم يتألمون من آلحرارة و من ألم المسير, ليسمعوا تلك الخطبة عند ذلك المفترق؟ لماذا لم يقل ما قاله في حجة الوداع بمكة المكرمة؟ هل نسى رسول الله ذلك؟ و حاشاه ذلك و هو المعصوم! هل هو عملٌ منه؟ ثم لماذا أمر آلجمع بالألتزام بخطبتهِ؟ هل الأمر رغبةٌ شخصيةٌ(و ما ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌ يوحى)؟ و آية التبليغ مدنية و ليست مكية, و لذا لا يمكن القول بنزولها في بداية آلدعوة, و إنّما خُصصت لمكانة الأمام حتى يُوصي الرّسول(ص) بهِ! كما أنّ إيقاف ذلك آلجمع آلكبير - لعله كان أكبر تجمع للمسلمين في حياة الرسول(ص) – في ذلك القيظ لا يُمكن أنْ تكون لأمرٍ عادي و بسيط, و إنّما كان أمراً إلاهيّاً.. و ليست مُجرد عواطف أراد الرسول(ص) أنْ يظهرها و يوصى بعلي خيراً من بعدهِ بسبب محبتهِ لهُ و قرابته منهُ أو مصاهرتهِ بزواجه من الزهراء(ع), و قد سبق أن أعلن مكانة علي, و المسلمين يعلمون ذلك على أحسن وجه و بأطيب ذكر و وصف .. و حاشا آلرسول الكريِ(ص) أنْ تتحكم به هوىً أو عاطفة؛ و حسب القرآن:"ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فأنتهوا و إتقوا الله إن الله شديد العقاب" و بناءاً على ذلك ألزم الرسول(ص) ألمسلمين بولايته و نصرته و عدم خذلانهِ و معاداتهِ و إعتباره مرجعاً لهم بعد النبي(ص), كما أن جميع المسلمين خصوصاً آلصحابة قد هنئوا و بايعوا علياً بعد أن تمت تلك الخطبة آلكونية! و "لو وقع الغدير ما إختلف سيفان", و قد ذكر جميع المؤرخين تلك الحادثة حيث لم يستطيعوا آلتلاعب به كثيراً لكثرة الشهود عليه.
(11) بإعتبار الولاية أهم ركن و أصل في الأسلام حسب رواية الأمام الصادق(ع): [بني الأسلام على خمس ؛ على آلصلاة والصوم و الحج و الزكاة و الولاية و ما نودي بشيئ مثلما الولاية].
(12) إبن الأثير, أسد الغابة.ج3 , ص35. كما ذكره إبن كثير ج5, ص211, و لم يختلفوا في اصل القصة و فحواها.
(13) إستناداً إلى الآية آلشريفة: " إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا, الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون"(ألمائدة / 55). و قد إتفق المفسرون بأنها نزلت في حقّ عليّ(ع).
(14) عندما أشرف المسلمون على فتح مكة في آلسنة الثانية للهجرة؛ صاح عمر بن آلخطاب في جموع المسلمين قائلاً: " أليوم يوم الملحمة .. أليوم تسبى الحرمة", لكن آلرسول(ص) قال لهُ: " ما هكذا يا عمر, إنما آلحق هو آلعكس مما إدّعيت؛ " أليوم يوم المرحمة .. أليوم تُحمى آلحرمة". تصوّر إنّ أقرب أصحاب آلنبيّ(ص) و بعد مرور أكثر من عشرين عاماً على إسلامهم لم يفهموا أهداف الرسالة الأسلامية و آلغاية منها .. كيف يمكن لمثل هؤلاء أنْ يقودوا أمةً و يُحقّقوا العدل و الحرية و الكرامة و المساواة في أوساطها!؟ من جانب آخر لك أن تتصور حال الأمة و مستواها آلفكري و العقائدي خارج دائرة الصحابة ألمقربين للرسول(ص)!؟
(15) " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً" (ألأحزاب / 33). و هذه إرادة الله آلتي طهر أهل البيت(ع), وهي حالة تختص بمن إختارهم الله لرئاسة الأمة, و اهل الاختصاص يفهمون لماذا سبقت (عنكم) كلمة (الرجس) و لم تأتي بعده في آية التطهير!؟
(16) قال تعالى: "و يجعل آلله آلرجس على الذين لا يعقلون"(يونس / 100).
(17) أصول الدين في مذهب أهل البيت(ع) هي: "ألتوحيد, ألعدل, ألنبوة, ألأمامة, ألمعاد".
(18) ألشورى / 23. و أسباب نزول الآية هي أن قريش رأت رسول الله (ص) محزوناً كئيباً في أواخر أيامه, و ظنت قريش أن الرسول يريد منهم أجراً أو تكريماً لجهوده و مساعيه مقابل آلرسالة الأسلامية التي تحمل عبئها و إيصالها إليهم! فبدأ آلناس بتقديم ما يمتلكونه من المال و المتاع للرسول, لكن آلرسول تلى عليهم بعد ما نزل عليه الوحي تلك الآية:" قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا...".
(19) قال رسول الله: " بنا يختم الله كما بنا فتح, و بنا يستنقذون من ضلالة الفتنة, كما إستنقذوا من ضلالة الشرك, و بنا يؤلف الله بين قلوبهم في الدين بعد عداوة الفتنة, كما ألف الله بين قلوبهم و دينهم بعد عداوة الشرك".
ذكره الحميري, كما في سند الأمامة و التبصرة, ص92 ب23 ح81, عبد الله بن جعفر الحميري, عن محمد بن الحميد, عن منصور بن يونس, عن عبد الرحمن بن سليمان, عن أبيه, عن أبي جعفر عليه السلام. عن الحارث بن نوفل, قال: "... بل منا الهداة إلى يوم القيامة, بنا إستنقذهم الله من ضلالة الشرك, و بنا إستنقذهم الله من ضلالة الفتنة, و بنا يصبحون إخواناً بعد ضلالة الفتنة, كما أصبحوا إخواناً بعد ضلالة آلشرك, و بنا يختم الله, كما بنا فتح الله".
- كمال الدين؛ ج1, ص230, ب22, ح31.
- آمالي المفيد؛ ص288 – 289, مجلس 34, ح7, قال: " أخبرني ابو الحسن علي بن بلال المهلبي, قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسين البغدادي, قال: حدثنا الحسن بن عمر المقري, عن علي بن الأزهر, عن علي بن صالح المكي, عن محمد بن عمر بن علي, عن أبيه, عن جده(ع), قال:{ لما نزلت

على النبيّ(ص)؛"إذا جاء نصر الله و الفتح ..." قال(ص) لي: (يا علي إنه قد جاء نصر الله و الفتح ... يا عليّ إنّ آلمهدي هو إتباع أمر الله دون الهوى و الرأي, و كأنك بقومٍ قد تأوّلوا القرآن و أخذوا بالشبهات, و إستحلوا الخمر بالنبيذ و البخس بالزكاة, و السحت بالهداية, قلت: يا رسول الله؛ ألعدل منا أم من غيرنا؟ فقال بل منا, بنا يفتح الله, و بنا يختم الله, و بنا ألف آلله بين القلوب بعد آلشرك, و بنا يؤلف الله بين القلوب بعد الفتنة, فقلت: ألحمد لله على ما وهب لنا من فضله)}.

و قد ورد في ملامح بن طاووس: ص84 – 85, ب 191- عن إبن حماد, و قال فيما ذكره نعيم عن النبي (ص)؛"أن المهدي و أئمة الهدى من أهل بيت النبوة و بهم يختم".

كما ورد آلنص في مصادر عديدة أخرى من آلفريقين, نكتفي بذكر ما أوردنا.

(20) نعني الأنتفاضات الجماهيرية في البلاد العربية التي بدأت عام 2011م.

(21) بإعتقادي على وجوب وجود الحاكم الأسلامي العادل الذي يتّصف بمواصفات خاصة بعكس الحاكمين,هو: إن الأول يندر خطأه لأنه مسلح بآلفكر و الفقه و العلماء من حوله, بينما الثاني يفتقد ذلك و تسلح بآلعسكر و الأمن و الحرس و الأسلحة, لهذا تكثر الأخطاء ولا من أحد يستطيع معارضته لأنه سيواجه القتل, وإن أي خطأ صغير من الحاكم يسبب الكثير من الخسائر التي قد تصل لأراقة الدماء و إراقة دماء برئ واحد يعادل إراقة دماء جميع الناس, من هنا لا بُدّ للفقيه فقط أن يحكم.

ألسّياسة و الأخلاق .. من يحكم من؟ ألقسم ألثالث
كيف و من يُمثل ألقيادة ألرّبانيّة لتحقيق مكارم الأخلاق؟

تعليقات عديدة وردتنا عند نشرنا للحلقتين ألسّابقتين من خلال موقع القانون وصوت العراق وغيرها, يُمكننا تبويبها في ثلاث مجموعات:
ألأولى: إيجابية دلّلتْ على وعي أصحابها و حُبّهم لمعرفة ألمزيد عن الموضوع لأهمية و شرعية دور الفقيه ألمتصدي ألمباشر و الفعال في إدارة شؤون الناس بإتجاه تحقيق الحرية و الأمان و السعادة والعيش الكريم بظل الحكومة الأسلاميّة.

ألثانية: سلبيّة رفضت و بتوتر و عصبيّة غير مبررة قيادة ألمرجع الفقيه بآلتصدي لأمور و شؤون الوطن و الأمة, معتقدةً بأنّ ألأمور السياسية و قضايا الحكم بين الناس بآلعدل ترجع للسياسيين, و لمستُ تقارباً من هذه المجموعة مع رأي بعض المجموعات من الأخوان الذين يؤمنون بالمنهج العثماني ألشوروي ألسقيفي ألسّلفي كمنهج للحكم, بمعنى وعلى رأي العلمانيين :[ما لقيصر لقيصر و ما لله لله], ولا ندري للآن؛ كيف ومن أين حدّدوا هذا الحكم؟

ألثالثة: تشبه الأولى وتلهّفتْ و تعاطفت أكثر مع طرحنا و دعوتنا لتطبيق الحكومة الأسلامية(ولاية الفقيه) لهداية الناس, وقد أبدت هذه المجموعة الطيبة ألمُحبة لروح الأسلام إخلاصها و تفانيها للدّعوة إلى تطبيق هذا المشروع الألهي في العراق الجديد والأمة الاسلامية التي من المستحيل جمعها وتوحيدها بظل نظريات القومية والوطنية والديمقراطية التي كانت هي السبب في تفريقها وتدميرها والحكم الأسلامي فقط هو الضامن لتوحيدها وسعادتها.

و هناك بعضاً من آلذين إتّهمونا بـ (آلصّفوية) و (التّبعية) و (آلتقليد ألأعمى) و غيرها بلا دليل و بيّنة, وجهلهم ذاك بحقنا لم يكن جديداً علينا, فقد سمعناها كثيراً من القومجية والبعثية و أمثالهم من السبعينات وللآن من آلذين لا يعرفون حتّى هذه اللحظة معنى و أصل (الصفويون) و مسألة (التقليد) و(الأبداع) و(التجديد) وحتى(الأسلام) نفسه, وهم ليسوا ببعيدين من الدوائر ألمشبوهة التي تعاملت مع آلظالمين ضد المؤمنين, و مستعدة اليوم أيضا التعامل مع الشرق و الغرب و كل من هب و دبّ لإجهاض الثورة الاسلامية في إيران والعراق و كل بلاد أمتنا المهضومة.

ألمهم أننا نعتقد بأنّ آلقُرّاء أحرار و لهم الحقّ في إبداء رأيهم, لكننا نُعير أهمّية خاصّة لأصحاب الآراء ألمنهجية العلمية و المنطقية و نقدس آلآراء التي تستند إلى النّصوص الشرعية بإعتبارنا نؤمن بآلثقلين؛ كتاب الله وأهل البيت المعصومين.

فقط أتمنى من آلجّميع؛ ألتّرفّع عن الأساليب ألدّونيّة وآلسّب, خصوصاً عند التعامل مع الفكر والمفكرين, لأنّ الفكر هو الأساس الأنسانيّ للبشريّة, والتكبر والأقصاء يمنع الحكمة – وهو الخير كله - عن صاحبه, ومن الحيف تدنيسه بكلام خارج حدود الأدب و العلم و اللياقة, و هذا أقرب للتقوى وأقوم وأفضل للعاقبة الحسنى.

إننا إعتمدنا على المنهج العقلي و التحليل العلمي و النّصي في بحثنا هذا ألذي أفضى إلى نتائج مقنعة و منطقيّة لبيان الأهداف الكامنة من خلال تطبيق النظرية الاسلامية على أرض الواقع و التي تريد تحقيق مكارم الأخلاق ألتي تستبطن آلخير و السّعادة و الرّفاه و آلتقدم و الأنعتاق من أسر المستكبرين, أو النظرية الرأسمالية الديمقراطية بآلمقابل و التي تستبطن محو الأخلاق و الشرف و الكرامة الأنسانية في نهاية المطاف, لتجعل الأمور كلّها – خصوصاً ألأقتصادية منها - بيد المجموعة الأقتصادية التي يتحكم فيها من لا دين و لا ضمير و لا إنسانية في وجوده, بعكس نظرية ولاية الفقيه الذي يسانده الفاضلة و العدالة و المساواة و الحرية .ألمئات من المجتهدين ألأفاضل .. إن لم نقل ألآلاف منهم في سبيل نشر الاخلاق الحقيقية بين أبناء المجتمع

إنّ إنقطاع عامل الغيب من فكر السياسي أو الأعلامي أو الإقتصادي وغيره؛ يعني لجوئه لتحكيم هوى النفس والحزبية والعشائرية و القومية و (الأنا) بدل أحكام الله, و من هنا يبدأ الفساد و التضارب و الكذب في آلأقوال و التصريحات و الأحكام بين الناس, فآلمؤمن ألمُحصّن بولاية الفقيه دعاؤه الدائم هو :[اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين] لأن الغفلة تؤدي بآلانسان إلى الميل نحو آلشهوات و مطالب النفس التي لا تنتهي حتى آلموت, لهذا فأن وجود آلرقابة الالهية ألمباشرة من قبل الفقيه عليهم تُحصّن المُجاهد المؤمن و تجعله قوّياً بحيث تتعدى قوّة ضميره و وجدانه فاعلية القوانين الوضعيّة وعدسات الكاميرات ألاليكترونية و الحاسبات الصّماء التي عادة ما لا تستطيع ضبط كلّ شاردة و واردة, وآلأنسان بإمكانه

التّحايل على إبليس نفسه حتّى لو وضعته في زنزانة إنفرادية.

فأي عاقل و شريف يرفض حكومة ألفقيه ألتي تريد تحكيم شرع الله و عدالته و حفظ كرامة الأنسان و المجتمع و نبذ الفساد و الظلم!؟

ذلك الله الذي لا إله إلا هو آلملك القدوس العزيز الحكيم .. ألرّؤوف الرحيم .. ألأقرب إلينا من حبل الوريد .. ألذي يريد إحياؤنا و نجاتنا من العبودية و من شر الشيطان و أتباعه في آلسماوات و الأرض.

إن رفض حكم الله ألذي لا يستطيع تدبيره و تطبيقه سوى الفقيه ألمُتصدى, ألعالم بآلزّمان و المكان الذي لا تهجم عليه اللوابس و بمعونة المجالس الشرعيّة التي يتحكم فيها آيات الله العظام كمجلس الخبراء و مجلس صيانة الدستور والمجلس الفقهائي و مجلس البرلمان و آلقضاء و الحكومة و المؤسسات و الدوائر العلمية الأخرى التي يشرف عليها الآلاف من كبار المراجع و الفقهاء و الفلاسفة كأذرع علمية فقهية واعية للولي الفقيه؛ يعني في حالة رفض ذلك - لا سامح الله – يُمهّد لإستمرار و تخبط آلناس في أتون الفوضى و القهر و العنف و الطبقية و الغبن و آلأستحمار و الأستعمار, و الجميع قد شهد بأنّ الشعوب العربية و الأسلاميّة قد واجهت حكّامها و جاهدت عبر إنتفاضات كبيرة لكن دون جدوى لفقدانهم الأصل الأهم من بين الأحكام الذي نحن بصدد بيانه إن شاء الله.

إن فقدان الأمة للقيادة الرّبانية الصالحة ألّتي حملتْ همّ تطبيق النّظرية الأسلامية في عالمنا الذي إمتلأ بآلظلم و الجور و الفساد والطبقية لهو: بسبب السياسيين ألذين لا يُراعون حرمة و كرامة الانسان و يفرقون في الفيئ .. لتشوّه القواعد و المنطلقات الصحيحة في رؤآهم و مُتبنياتهم العقائدية ألمختلطة مع القوانين ألوضعية عادةً و بآلتالي إختلاط الفهم عند آلأسلاميين منهم .. للنصوص الشرعية بشكل صحيح, تلك النصوص ألتي تُشخّص و تُحدد معالم القيادة الرّبانية ألتي على .الجماعة الاسلامية ألأنقياد و الطاعة لها في كل عمل يُراد منه التقرب لله تعالى
فمن آلذي يُحَدّدُ و يُمثّلُ تلك آلقيادة ألرّبانيّـة في عصرنا الرّاهن؟
و كيف آلسبيل لأتّباعِها؟
هل رأي الأمة يُحَدّد ذلك؟
أم هو أمـرُ آللـه تعـــالى؟
أم ألأمر واقعٌ بَيْنَ آلأمة و آلله تعالى في تَعْيّن تلكَ آلقيادةِ؟
و يُمكنُنا تَحْدِيدُ جميع آلأسـئلة بسـؤآلٍ جامـــعٍ واحد هُو:
هلْ قيادة ألأمة في عصرنا الرّاهن تكونُ بآلأنتخابِ .. ألشّورى(ألديمقراطية) أمّ ألنّصِ ألذي يُحدد بموجبه من قبل الامام المعصوم(ع) لإطاعة ولي الفقيه للحكم بين الناس بشرطها و شروطها, و منها مواصفات الفقيه الحاكم التي وردت في تفسير الأمام العسكري(ع) لولاية الأمر و الحكومة في زمن الغيبة بقوله؛ [فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه مخالفا على هواه، مطيعا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم، فان من ركب من القبايح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئا ولا كرامة، وإنما كثر التخليط فيما يتحمل عنا أهل البيت لذلك، لأن الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه بأسره لجهلهم ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلة معرفتهم، وآخرون يتعمدون الكذب علينا الحديث] وقد ورد هذا النص أيضا في ألأحتجاج للطبرسي مع إختلاف في اللفظ.

بتعبير آخر؛ هل بالشورى(ألأنتخابات وحدها) يُنتخب ألقائد ألأمين؟ أم من خلال ألنصوص المقدسة قبل كلّ شيئ؟
وهذا ما سنُجيب عليه و سنُبيّنهُ في الحلقة القادمة إن شاء الله, و لا حول و لا قوّة إلا بآلله العلي العظيم.
ألفيلسوف الكونيّ

ألسّياسة و آلأخلاق .. مَنْ يحكم مَنْ؟ ألقسم ألرّابع
ألنظام ألأسلاميّ بين ألوصيّة(ألنّص) وألشّورى(ألدّيمقراطية)

قبل بحث موضوع (ألولاية) نكمل لكم ما تبقى من نظرية ألشورى و مدى شرعيتها و موقعها في الفكر الأسلامي لتعيين القائد الأعلى و هو آلأهم والرأس في منظومة الدولة كإحتمال و نظرية ما زال آلبعض ربّما يعتقد بأنّها ليست (ولاية الأنسان على الأنسان), بل هي (ولاية الله على الأنسان), والحال أنّ آراء الناس فقط هي التي تحدّد تلك (آلقيادة) و لا إرتباط لها بحكم السماء, و سنُوضّح هذا آلأمر أن شاء الله.

ألشورى هي ولاية الأنسان على الأنسان:
لقد تَطَرّقنا لمسألة الشورى تفصيلاً في كتابنا (مستقبلنا بين الدّين و الدّيمقراطية) بآلبَحثِ و آلتّمحيصِ, و توصّلنا بشكلٍ قاطعٍ و عَمَليّ إلى فسادِ ألنظام ألدّيمقراطي(ألشّورى) و تناقضهُ معَ أصلِ ألولاية ألألهية في آلعقيدة ألأسلاميّة آلتي تَخْتَصُّ بالله و رسوله و أُولي آلأمر, و برْهنّا عدم تناسبهِ – أيّ ألشّورى (ألديمقراطية) - مع طبيعةِ و فطرةِ ألأنسانِ و كرامتهِ و حُرّيّتهِ و عِلّة وجُودهِ على الأرض, كما أنّ هُناك دائماً قِسم من آلناس لا يُؤمنون بمبدأ آلأكثرية, و لا يُمكن إخضاعهم لقانون ألأكثريّة ألغير معصومة بآلأضافة إلى القاصرين الذين ليس لهم الحق في الأنتخاب وعليهم قبول المرشح .. على أساسِ ألقهر و آلأجبار, و هذا هُو عَينُ آلظلمِ و آلدّيكتاتورية, بالأضافة إلى عدم وجودِ نصٍ عليهِ في آلشّريعة ألأسلاميّة .. و هو ألأهم بآلنّسبة للمُؤمنين بآلغيب.

و يُؤكد ما توصّلنا إليهِ من آلنتائج, جميع فقهاءَ و مُفكّري ألأسلام ألكبار مُنذُ قرونٍ كآلشيخ ألكليني و ألطوسي و آلعلّامة ألحلّي وآلسيد السبزواري و آلشيخ أحمد النراقي(ت1829م) ألذي أثْبَتَ أنّ للفقيهِ ما هو للنبي و آلأمام ألمعصوم – إلّا ما أخرجهُ آلدّليلُ من إجماع أو نصٍ أو غيرهما – و كانَ يدعو إلى آلولاية ألمطلقة(1), و آلسيد آلخوئي و كذا ألأمام ألخميني(2) و آلسيد ألسيستاني و آلفيلسوف ألمظلوم محمد باقر آلصدر و آية آلله محمود ألهاشمي و آية الله كاظم ألحائري ألذي قال مُبَيّناً ظُلم آلشورى و بُطلانهِ: "هناك قسماً من آلناس هم أطفال أو أشخاص لم يبلغوا ألسن ألقانوني ليسمح لهم بالأشتراك في الأنتخاب, فما يقولون لهم بعد أن تصل أعمارهم إلى آلسن ألقانوني, و قبل أن تنتهي ألفترة ألمحددة للشخص أو آلنظام ألمنتخب؟ كون الأنتخابات لا تجري كلّ يوم, و لكن في كلّ يوم ألكثير من آلأشخاص تصل أعمارهم إلى ألسن ألقانوني, و عليهم أنْ يخضعوا قهراً للشخص أو آلنظام ألمنتخب(ألحاكم)"(3).

و آلأنتخاب كما وضّحنا سابقاً تُؤثّر في نتائجها ألأموال و آلمصالح آلحزبية و العشائرية وآللّوبيّات لما لها من تأثيرٍ على مجاري ألأمور وحياة آلناس, كما نشاهد مصاديقها كلّ مرّةٍ في مُعظم - إنْ لمْ نقلْ كلّ ألأنتخابات ألتي تجرى في دول ألعالم, حيث يفوز بالرئاسة أيّاً كان بفعل تلك المؤثرات ألفاعلة, و آلأخطر ممّا شاهدناه و نشاهده في نتائج هذا المنحى هو ركوب موجة آلأنتخابات من قبل ألأنتهازيين بعد إستغفال ألناس ألبسطاء و تثوير مشاعرهم بإسم آلدّين أو آلدّيمقراطية أو آلوطنية أو آلقومية لضمان آلفوز .. لذلك لا يُمكن ألأطمئنان بأيّ حال من آلأحوال لرأي آلناس فقط مهما كانوا – ناخبين و مُنتخَبين بمعزلٍ عن تأيّيد ألمرجعية ألدينية ألتي وحدها تعرف أسرار الشريعة الأسلامية و لكونها صمّام أمان و ترشيد .. من قبل من إختارهُ خالق آلكون بالنّص ألمتوالي .. كما سيأتي بينابهُ!

و كما جاء في بحثنا سابقاً فأنّ فكرة ألأنتخابات(ألدّيمقراطية)؛ بمعنى حُكم آلنّاس لأنفسهم بأنفسهم – إذْ حاول آلبعض تنسيبها للكِتاب و آلسنّة – فإنّهُ لم يَرِدَ فيهُما نصّاً يُؤشر للموضوع بهذا آلمعنى, و قد حاول هذا آلبعض حشر ألآيات ألقرآنية كآيتي ألشورى: "و أمرهم شورى بينهم"(4), و "شاورهم في آلأمر"(5) و غيرهما للأستدلال على فكرة ألدّيمقراطية أو آلشورى في آلحكم بَدَلَ "ولاية ألفقيه".. و ما تلك المحاولات؛ إلّا إفتراءٌ نتيجة العصبية والحقد و قلّةُ درايةٍ و معرفةٍ بحقيقةِ ألقرآن و رُوح ألأسلام وجهل مبين بآلرّوايات الخاصة بالأمر, و أهميّة و مكانة ألولاية و دورها في تَحقيق غاية ألرسالة ألألهية بين الناس و علّة خلق ألكون و آلأنسان(6), و من أبرز و أهمّ ألملاحظات ألتي أشارَ إليها هذا آلبعض في موضوع ألشورى هي :
أولاً: ما ورد في بعض آلآيات ألقرآنية ألمباركة من نسبة آلخلافة إلى آلمجتمع و ليس لوصيّ مُعيّن بالنّص بعد آلنبي, و عندئذٍ قد يحلو لكاتبٍ أو مُثقّفٍ مُعيّنٍ أنْ يتصوّرَ أنّ آلأسلام جاءَ بفكرةِ ألدّيمقراطية (ألشورى), حينما نُسبتْ ألخلافة كلّياً إلى رأي آلأمة, و إعتبروها حلّال ألمُشكلات و آلخلافات.
ثانياً: ما أوردهُ ألبعض من روّاة إخواننا آلسُنّة عن ألرّسول(ص)؛ و هي: " أمّتي لا تجتمعُ على آلخطأ " و في روايةٍ أخرى

" ... لا تَجْتَمعُ على ضلالةٍ "(7), حيث جعلوها دليلاً على صحّة ألأنتخابات و آلشورى لِتَعيّن ألأمام بإجماعِ ألمُسلِمينَ!

أما بآلنّسبة للأحتمال ألأول فيما يَخُصّ "آيات ألشورى"؛ فهناك قصورٌ واضح و بيّن في فَهْمِ مَدلولِ و فلسفة ألآيات و أسباب نُزولِها!
ففي سُورة (ألبقرة / 30)(و إذْ قالَ رَبّكَ لِلمَلائِكَةِ إنّي جاعلٌ في آلأرض خليفة قالوا أ تجعلُ فيها من يُفسد فيها ...) للآية مدلولٌ عامّ يستبطن آلتخصيصَ, ويَتبيّن ذلك من خلال ألحِوارِ ألهادئ ألذي جرى بينَ آلله تعالى و ملائكته آلمقربين وكما ورد في آلآيات آلعَشر ألّتي جاءت بعد آلآية ألآنفة في سورة ألبقرة, حيث يظهر من سياقها آلموضوعي .. بأنّهُ كانتْ هُناكَ خلافةٌ عامّةٌ من قِبلِ ألباري في خلائقَ سَبَقَتْ مرحلة خلق أبينا آدم(ع) في أزمانٍ مُتفاوتة, و لكنّها فَشَلَتْ في آلأمتحان و قامتْ قيامتها و تَبيّن أكثرهم من آلفاسدين إلا آل الله, و لذلك لمْ يرتاح آلملائكةُ لأوّل وهلةٍ عند سماعهم للخبر مرة أخرى و بنفس ألشاكلة, و كان ظنّهم ألتّشاؤمي ألسلبي بهذا آلمخلوق آلجّديد "آدم"(ع) في محلّهِ .. تأسيساً على آلخيانة و آلفساد في تلك آلخلافة ألعامة, بناءاً على آلتجارب ألسابقة, أما في سلسلة أبينا آدم(ع) فقد إختلف آلأمر بجعلهِ تعالى لِخلافةٍ خاصةٍ مُرافقة تُرشدُ ألخلافةَ ألعامّة كشاهدٍ عليها في آلبشرية(8), لتكونَ بمثابة ألحُجّة لتحقيقِ ألتكامل ألأنساني, بتخصيصهِ تعالى لتلك آلخلافة ألقدوة "بمُحمّد و أهل بيته ألكرام و إمتداد ولايتهم في ألأمة", و لهذا عندما عَلّمَ آدم(ع) ألملائِكَةَ و بأمرٍ مِنَ آلله(يا آدم أنبئهُم بأسمائهم...)(9) - تلك آلأسماء ألمقدسة أيّ(مُحمّد و أهل بيته) - سرعان ما تنازلوا عن موقفهم و قالوا: " سبحانك لا عِلمَ لنا إلّا ما علّمتنا إنّك أنتَ آلعليم آلحكيم", ثمّ سجدوا لآدم جميعاً إجلالاً لتلك آلخلافة ألخاصة آلتي ستظهر من نسل آدم(ع)! إلّا إبليس(ألشيطان) أبى و إستكبر و لم يَسجد رغم إنّهُ كان رئيس آلملائكة و عَبَدَ الله آلافاً من آلسنين, و آلأعلم بأسرار آلوجود بعد آلله تعالى, حيث لم يشأ أن يرى في آلوجود مَنْ هم أقربٌ منهُ لله, ستتحقّق بوجودهم تلك آلخلافة الألهية الخاصة ألعظيمة في عموم ألخلق و آلكون, فإستكبر على أمر الله! و لو كانت آلملائكة تعرف من قبل أنْ يُنبئهم آدم بتلك آلخلافة ألمقصودة؛ بأنها خلافةٌ خاصةٌ تتعلّق بآلرسول و أهل بيته و ليست"عامة" لما كانت تعترضُ على الله بالقول: "أ تَجْعَلُ فيها منْ يُفسد فيها و يسفك آلدّماء ...", حيث لم يسبق للملائكة أن إعترضوا على أمرٍ أو شيئ فعله الله تعالى من قبل إلّا على هذا, و لذلك فأنّ غِيرة الملائكة و تَخَوّفهم كانت في محلّها لعدم إطّلاعهم على سرّ و أبعاد تلك آلخلافة ألجديدة(ألخاصّة) إبتداءاً .. بكونها لا تختصّ بكلّ آلخلق كما كان سابقاً! لكنّ آلباري تعالى و عِبرَ حِوارٍ هادئ و هادف و بنّاء؛ وضّح لهم كلّ شيئ خَتَمَها تعالى بالقول: " إنّي أعلم ما لا تعلمون ", بمعنى أنّ هناك خلافةٌ خاصة تختلف عمّا شهدّتموهُ منْ قبلْ, لا علم لكم بها, و سيقوم بتمثيلها هذه ألمرة أهل بيتٍ كرام طاهرين مُنتخبين من قبل, و إنّي لم أخلق هذا آلوجود إلّا بسببهم, كما ورد في حديث "ألكساء" عن ألمعصومين (ع)(10), و من هذا يُفترض أن تكون ألخلافة ألمقصودة من الله تعالى ذات معالم و مواصفات رفيعة جداً تُضاهي بل و تفوق مقام و مركز ألملائكة و آلجّن و آلإنس في آلكون, فهل يُعقل أنْ يُوجد في آلبشر خلقاً بتلك آلمُواصفات ألسّماوية بإستثناء أهل بيت ألنّبوة و معدن ألرّسالة ألطاهرين!؟

و ما يُقوّي إستدلالنا على آلخلافة "ألعامة" للبشرية ألآنفة و آلتي تختلفُ – كما وضّحنا - عن "ألخاصة"؛ هو قوله تعالى: " هو آلّذي جعلكم خلائِفَ آلأرض و رَفَعَ بعضكم فوقَ بعضٍ درجاتٍ ..."(11).

فهذا آلخطاب هو خطابٌ لكلّ ألبشرية و ليس لشخصٍ مُعَيّنٍ, و مهما حاولنا ألتّعمق في دلالة آلآية و تسّيسها فأنّها لا تُفسّر موضوعيّاً كونها جعَلَتْ أمرِ ألحكومة للنّاس عن طريق الشّورى, مع ما تقدّم من آلبحث إلّا بلزوم وجود ألقدوة ألصّالحة – كنموذج - كي يُحقّق ألبشر من خلالها ألتّدرّج آلطبيعي في ألسّير و آلسّلوك إلى الله للوصول إلى آلتكامل ألنهائي ألذي وصفه آلأمام ألباقر في حديثٍ مُتواترٍ رفيع لـ "جابر" شخّصَ فيه مُواصفات ألخليفة ألعامة ألتي تَتَمَثّل بالمُوالين لأهل آلبيت(ع) كي يتّصفوا بشيعة مُحَمّد و أهلِ بيته ألطاهرين(12).
و مِمّا يُؤكّد أيضاً .. أنّ كلِمةَ "ألخلافة" ألواردة في آيات عديدة من آلقرآن تُمثل آلخلافة ألعامة, كونهُا خطابٌ لكلّ آلناس و لا علاقة لها بآلخلافة ألخاصة و موقعها في آلأمة, كقوله تعالى أيضاً: "و لقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا, وجاءتهم رسلهم بآلبينات و ما كانوا ليؤمِنُوا كذلك نجزي آلقوم آلمجرمين ثم جعلناكُم خَلائفَ في آلأرض"(13).
في آلمقابل فأنّ {ألقرآن حينما يستعمل "ألخلافة" بمعنى آلقيادة, و آلحكم بآلخصوص, فأنّنا نرى أنّها لا تُنسب للبشرية و إنما تُنتسب إلى شخصٍ مُعيّنٍ, من قبيلِ قولهِ تعالى:" يا داوود إنّا جعلناكَ خليفةً في آلأرض فإحْكم بينَ آلناس بآلحقّ ..."(14)}(15), فالخلافة هنا إختصّت بآلحكم و بآلأسم, و لم تُنسب للنّاس – كما نُسِبتْ في آلآيات ألسابقة – و إنما نُسِبتْ إلى شخص داوود, و كذلك آلأمر في إمامة إبراهيم(ع).

أما بالنسبة للأحتمال ألثاني في "عدم إجتماع آلأمة على آلضلالة"؛ فلا نُريد طرح نظر آلشيعة, لأنّهم أساساً لا يُؤمنون بها و بأسانيدها, كونها لم تُرد بسندٍ صحيحٍ و تامٍ, فآلرّواة غير ثقاة في نظر مُحَدّثي ألشّيعة ألذين يُدَقّقون كثيراً في أبسط آلروايات

.. لكنّنا نريد بحث آلموضوع من خلال مدرسة ألسّنة, حيث إنّ هذه ألرّواية لم ترد في أيّ من آلصحاح ألسّت, و هذا يكفي للأستدلال على بطلانه, و حتّى لو ذكر في أحد ألصّحاح فأنّه غير مقبول فيه كون إخواننا ألسّنة يأخذون بآلحديث ألذي تَكَرّرَ في صحيح ألبخاري و صحيح مسلم, فكيف و آلحديث لم يُذكر أساساً في جميع صحاحهم!؟, و قد أثْبَتَ آية الله ألفقيه ألسيد ألحائري ضعف ألرّواية لأنقطاع سنده و عدم ثقة آلرّواة(16).

أما آلجانب ألتطبيقي لتلك آلرواية؛ فنتساءل: هل كان هناك إجماع – حقاً – على من "إنْتُخِبَ" كخليفةٍ للمُسلمين من بعد آلرّسول(ص)؟

فمن آلمعروف لدى آلفريقين أنّهُ لمْ يكنْ إجماعٌ أطلاقاً من قُريش(17) في خلافةِ أبي بكر, بل كادتْ ألسّقيفة أنْ تُؤدّي لفتنة كبيرةٍ. لعدم وجود أساس شرعيّ, أو نصّ قرآني أو حديثٍ عن آلرّسول(ص) بذلك آلخصوص؟ و أساساً لم تُجْرى أيّةُ إنتخابات حتّى بآلمعنى آلمُتعارف عليه آليوم, و إنّما إنفردَ بعضُ آلصّحابة في سقيفةِ بني ساعدة و تآمروا بينهم لتنصيب "ألخليفة", و إنّ أكبر قبيلتين في آلجزيرة ألعربية و هما "ألخزرج" و "بني هاشم" عارضتا بشدّة قرار ألسّقيفة, معَ عددٍ كبيرٍ من آلصحابة بقيادة آلأمام عليّ(ع) لكونها أحدثتْ شرخاً كبيراً في الاسلام و المسلمين و سبّبتْ إسالة دماء الكثير منهم!

و قد سبقتْ السقيفة تمهيدات عديدة و تخطيط مسبق من قبل عمر بن الخطاب و أبو بكر و غيرهما لتمرير مسألة انتخاب أبو بكر .. بدأت بوضوح من خلال منع عمر لرسول الله(ص) من كتابة الكتاب أثناء مرضه و كذلك رفض المجموعة ألتي شاركت في إجتماع السقيفة تنفيذ أوامر النبي (ص) ألنفوذ مع جيش إسامة ألذي غادر المدينة مُتوجهاً للشام, و لم تنفع معهم حتى آللعنة التي أطلقها الرسول(ص) على آلمتخلفين عن ذلك الجيش, حين قال: [لعن آلله من تخلف عن جيش أسامة]!

و آلحقيقة إن من أخطر النتائج ألتي خلّفتها تلك ألمدرسة, هي تخريج جماعات لا أخلاقية تؤمن بآلطبقية في الاسلام و ترى صحة التفريق في العطاء بين الناس, و أن المسلمون يختلفون في الحقوق, بآلأضافة لذلك فقد تطبّع أكثرية المسلمون على العنف و القسوة و إتخاذ الأسلام وسيلة للحصول على المناصب و الأموال, بحيث أدّتْ تلك الأتجاهات أللاأخلاقية لئن يصل المسلمون إلى حدٍّ قتلوا معه إبن بنت رسول الله(ص) الأمام الحسين(ع) و صحبه و أهل بيته ألذين حلّوا ضيوفاً على أهل العراق و بطلب منهم أنذاك!

و لو فرضنا وقوع آلأجماع – و هو يُخالف آلتأريخ و آلحقيقة و آلواقع – فهل هذا يُبرّر كون "إمامة ألمسلمين" تُثبتُ بالأجماع؟

هذا آلفرض ينافي ألنصوص ألواضحة بشأن "آلأمامة" بروايات و مواقف ألرّسول(ص) و آلأئمة آلأطهار(ع) أنفسهم! و فوقّ ذلك ما صرّح به ألقرآن ألكريم.

و نُشير إلى بعض ألآيات ألصّريحة و آلمُحكمة مع آلرّوايات ألواضحة ألمُتواترة ألتي حصَرَت ألرّئاسة و آلسّلطة (ألحكومة) ألشرعية ألأسلامية لله تعالى ثم رسوله(ص) ثم آلأوصياء ألأثني عشر ألطاهرين(ع) و من بعدهم للفقيه آلأعلم و آلأقدر من بين آلفقهاء كما سيأتي بيانه – في زمن ألغيبة ألكبرى التي نعيش ربما فصولها ألأخيرة مع بدء ألألفية الثالثة – و هي :

*" إنا أنزلنا إليكَ آلكتاب بآلحقّ لتحكم بين آلنّاس ..."(18).

*" أ فَغَير الله أبتغي حكماً و هو آلذي أنزل إليكم آلكتاب مُفصلاً "(19).

و بمتابعة آلآيات ألتالية للآية آلسابقة ؛ يُشير ألباري تعالى بدقّة و وضوح إلى بُطلان ألحكومات ألأرضية, حتّى تلك التي تتشكل عبر آلأنتخابات, بالقول: " ... و آلذين آتيناهم آلكتاب يعلمون أنّه مُنزّلٌ من ربك بالحقّ فلا تكوننّ من المُمترين, و تمّت كلمة ربّك صدقاً و عدلاً لا مُبدّل لكلماته و هو السميع العليم, و إنْ تُطِعْ أكثر من في الأرض يُضلّوك عن سبيل الله إنْ يتّبعون إلّا آلظن و إنْ هُم إلّا يَخرصون"(20).

*" لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط و أنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديد و منافع للناس و ليعلم الله من ينصره و رسلهُ بالغيب إن الله قويٌ عزيز "(21).

*" يأ أيّها آلذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي آلأمر منكم فأنْ تنازعتم في شيئ فردّوه إلى الله و آلرسول إن كنتم تُؤمنون بآلله و آليوم آلآخر ذلكَ خيرٌ و أحسنُ تأويلاً "(22).

ثم يُحَدّد ألباري تعالى موضوع آلحكم و آلقيادة و آلولاية بالأسم و آلعنوان بإتّفاق ألمفسيرين في آلمدرستين, حيث يُحصرها في ولاية و حكم الله أولا ..ً ثم آلرّسول(ص) ثانياً .. ثم أمير آلمؤمنين عليّ(ع) و أبنائه ثالثاً.

*" إنّما وليّكم الله و رسوله و آلذين آمنوا ألذين يُقيمون آلصلاة و يُؤتون آلزكاة وهم راكعون"(23).

و لا يتوقّف ألأمر عند هذا آلحدّ!

بل إنّ الباري تعالى حَكَمَ على جميع آلناس ألذين لا يَسْعَوْنَ لإقامة ألحكم آلألهي بالكافر و آلظالم و آلفاسق و لم يستثني أحداً من العالمين حتى أهل آلأديان ألسماوية ألأخرى كما ورد بنص القرآن, ولا أعتقدُ بأنّ هناك صفاتاً أدنى مرتبةً و إنحطاطاً من تلك الصّفات للذين لا يُريدون تطبيق آلحكم الأسلامي, لكونها- تلك الصفات ألثلاثة - تستجمع كلّ آلشّر و آلمنكر و آلضلالة بما فيها آلنفاق ألذي أصحابه في آلدّرك ألأسفل من آلنار, حيث يقول آلباري تعالى:

" و منْ لمْ يَحكم بما أنزل الله فأوْلئك هم آلكافرون "(24). و هم آلذين يُخفون آلحق!

" و منْ لمْ يَحكم بما أنزل الله فأوْلئك هم آلظالمون "(25). و هم آلذين يأخذون حق آلآخرين!

" و منْ لمْ يَحكم بما أنزل الله فأوْلئك هم آلفاسقون "(26). و هم آلذين يشيعون الفساد و المنكر بين الناس!

أمّا الأحاديث ألمتواترة و آلواضحة و آلصريحة(27) و آلّتي بيّنت مكانة ألعلماء عموماً بين آلناس - هي:
وَرَدَ في صحيح ألبحتري, عن أبي عبد آلله(ع) : { ألعلماء و رثة آلأنبياء }(28).
رواية إسماعيل بن جابر, عن أبي عبد الله(ع) : { ألعلماء أمناء آلرسل }(29).
رواية مرسلة ألفقيه, عن رسول الله(ص) قال : { ألّلهم إرحم خلفائي, قيل يا رسول الله, و من خلفاؤك؟ قال: ألذين يأتون من بعدي و يروون حديثي و سنّتي }(30).

رواية أبي حمزة عن أبي آلحسن موسى بن جعفر(ع) و فيها : { ألمؤمنون ألفقهاء حصون الأسلام؛ كحصن سورة المدينة لها}(31).
رواية ألسكوني : عن آلأمام ألصادق(ع) : { ألفقهاء أمناء آلرسل ما لم يدخلوا في آلدّنيا, قيل يا رسول الله و ما دخولهم في آلدنيا؟ قال إتّباع السّلطان, فأذا فعلوا ذلك فأحذروهم على دينكم}(32).

حديث قدسي : قال تعالى لعيسى(ع) : { عَظِّم آلعلماء و إعرف فضلهم, فأني فضّلتهم على جميع خلقي إلّا النبيين و آلمرسلين؛ كفضل آلشمس على آلكواكب؛ و كفضل آلآخرة على آلدنيا؛ و كفضلي على كلّ شيئ }(33).

و بشكل عام فإنّ جميع آلأحكام ألآمرة بآلرجوع إلى آلفقهاء و حكمهم واردة بآلدعاوى و آلقضاء بين آلخصوم, و آلفتوى في آلحوادث ألتي تقع في آلأمة(34).

أمّا ألأحاديث ألتي بيّنتْ خصوصياتِ و مسؤولياتِ ألعلماء و آلفقيه ألّذي لهُ حقّ ألتصدي لأمور و زعامة ألمسلمين خصوصاً و آلأنسانية عموماً و بالنصّ في زمن ألغيبة ألكبرى – فهي:

*ألتّوقيع ألرّفيع و آلمشهور ألذي وَرَدَ عن ألأمام ألحجة(عج) في حياة ألسفير آلثاني مباشرةً, و قد جاء جواباً على سؤآل آلفقيه ألشيخ أبو إسحاق ألكليني(رض) حول مسائل عدّة, ذكرها آلشيخ ألصدوق(رض) بالقول: حدّثنا محمّد بن يعقوب ألكليني عن إسحاق بن يعقوب؛ قال:{ "سألت محمّد بن عثمان ألعمري(رض) أنْ يُوصل لي كتاباً قد سألتُ فيه عن مسائل أشكلتْ عليّ, فوردَ في آلتوقيع بخطّ مولانا صاحب آلزمان(ع)": (... و أمّا آلحوادث ألواقعة فإرجعوا فيها إلى روّاة حديثنا

فإنّهم حجّتي عليكم و أنا حجّة الله عليهم)}, و في كتاب ألغيبة رواهُ آلشيخ ألطوسي بسندٍ لا بأس به .. و في آخرة؛ " ... و أنا حجّة آلله عليكم"(35).

*" مقبولة إبن حنظلة " {عن عمر بن حنظلة, قال: سألت أبا عبد الله(ع) عن رجلين من أصحابنا بينهما مُنازعة في دينٍ أو ميراث, فتحاكما إلى آلسلطان أو إلى آلقضاة؟ قال(ع): من تحاكم إليهم في حقّ أو باطل فأنما تحاكم إلى آلجبتْ و آلطاغوت ألمنهي عنه. و ما حَكَمَ لهُ به فإنّما يأخُذ سحتاً, و إنْ كان حقّهُ ثابتاً لهُ لأنّه أخذهُ بحكم آلطاغوت, و منْ أمر الله عزّ و جلّ أنْ يُكفر به, قال الله عزّ و جلّ: (يُريدون أنْ يتحاكموا إلى آلطاغوت و قد أُمروا أنْ يكفروا به)...}(36).

*" روايتي أبي خديجة - سالم بن مكرم "؛ عن أبو جعفر محمد بن علي بن ألحسين بن موسى بن بابويه ألقمي ألفقيه – روي أحمد بن عائذ عن أبي خديجة سالم بن مكرم ألجمال, قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمّد آلصادق(ع): "إيّاكم أنْ يُحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل آلجّور, و لكن إنظروا إلى رجلٍ منكم يعلمُ شيئاً من قضايانا, فأجعلوهُ بينكم, فأني قد جعلتهُ قاضياً, فتحاكموا إليه"(37).

*" رواية داوود بن ألحصين ", عن أبي بصير بسند تامّ عن ابي عبد الله(ع)؛ "قال في رجلٍ كان بينه و بين أخ له مُماراة في حقّ, فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه و بينه, فأبى إلا أن يرافعه إلى هؤلاء" كان بمنزلة آلذين قال آلله – عز و جل: أ لم تر إلى الذين يزعمون إنهم آمنوا بما أنزل إليك و ما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت و قد أُمروا أن يكفروا به"(38).

*" رواية ألأمام ألصادق(ع): "فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه, حافظاً لدينه, مخالفاً على هواه, مُطيعاً لأمر مولاه, فللعوام أنْ يُقلدوه "(39).

*" رواية أبو البختري "(40), و غيرها كثير, نكتفي بِما قَدّمنا.

و يُمكننا مُلاحظة مسألتان في غاية ألأهمية في آلروايات آلآنفة:

ألأولى: في آلتوقيع ألمشهور عن ألشيخ أبو إسحاق ألكليني(رض) في مفهوم (ألحوادث ألواقعة), حيث لم يَقصد به آلأمام قضايا العبادات و ألأحكام ألثابثة كالصوم و الصلاة و آلحج و آلميراث فقط, كونها كانت موجودة و مُشرّعة قبل ذلك التوقيع, حيث بيّن آلقرآن و آلرسول آلأكرم(ص) و آلأئمة آلأطهار(ع) أحكامها(41), و إنما عنى بها ألأمام ألحجة(ع) جميع آلمسائل آلّتي تتعلّق بحياة آلبشرية و تطوّرها.

أما آلمسألة ألثانية؛ تتعلّق بتعيّن مواصفات ألفقيه ألتي بيّنها الأمام كي يكون قادراً و مؤهلاً للتحكّم بآلحوادث ألواقعة و صياغتها و تفعيلها طبق آلمنهج آلأسلامي و أصول آلأستنباط آلأربعة(42), حيث أشار سلام الله عليه إلى وجوب و جود فقيهٍ واحدٍ من بين آلفقهاء يتصدّى للأمر, كما هو واضحٌ في عبارة (منْ كانَ من آلفقهاء ...) و ليس جميع الفقهاء!

كما إنّ وجوب آلأجماع من آلفقهاء على "ولاية ألفقيه" كإمامٍ يُمثل آلنيابة ألعامّة للأمام ألحجة(عج) لأدارة شؤون آلأمة ألأسلامية في زمن ألغيبة ألكبرى مسألة واضحة لا يختلف عليها عاقلان, لأنه بغير ذلك سيُفسح آلمجال أمام آلظالمين و آلمنافقين للتّحكم بآلناس و بآلحوادث آلواقعة, و بآلتالي نشر آلفساد و آلأنحراف و آلظلم ألذي نهى عنه سبحانه و تعالى, و أمرنا بمحاربتها و آلنهي عنها, و هذا ما عايشناه خلال حقبة سيطرة آلنظام ألبعثي ألهجين على ألعراق و آلمآسي آلتي خلّفها ذلك آلنظام ألمقبور, كما يُمكننا ملاحظة ألظلم و آلأنحراف بنسبٍ متفاوتة من خلال مواقف و برامج جميع حكومات آلأرض ألقائمة للأسف !

أما آراء ألفلاسفة و آلمفكريين ألأسلاميين, بشأن "ولاية آلفقيه" أو "ألحكومة ألاسلامية" بتعبير آلأمام الخميني ألراحل(قدس) فهي بإختصار:

إأجمع آلفلاسفة ألأسلاميّون و آلفقهاء ألكبار منذ بدء عصر الغيبة الكبرى بأنّ آلحُكم و آلقضاءَ لا بُدّ أن تكون بيد ألفقيه ألعادل .. كشيخ آلطائفة و آلعلامة ألحلي و آلمولى ألنراقي و صاحب ألجواهر و آلشيخ فضل الله آلنوري و آلسيد ألخوئي و

آلأمام ألخميني و آلشيخ ألمطهري و آلعلامة ألطباطبائي و آلأمام مُحمّد باقر ألصدر و آية الله ألكوراني و آية آلله ألآصفي, و آية الله ألسيد محمود الهاشمي و آية آلله ألسيد ألحائري, و قطب ألمرجعية ألدينية في آلنجف ألأشرف آية الله ألسيد ألسيستاني و آلذي يعتقد بإقامة ألدّولة ألأسلامية كونها فرض على آلفقيه ألعادل ألقادر على ذلك لو تهيأت ألفرصة و آلظروف ألمناسبة لإقامتها(43), فبدونها تضيعُ آلصلاة و آلصوم و آلتوحيد و آلمعروف و آلحقوق, و لم يختلف فيه أيّ فقيهٍ مخلصٍ واعٍ لحقيقةِ و روحِ ألأسلام سواءاً من آلمتقدمين أو آلمتأخرين, ربما كان آلخلاف من بعض ألآحاد – و هي إستثناآت - في مُستوى و مساحة ولاية ألفقيه في آلأمة, و لم يختلفوا في أصل إقامتها خصوصاً فيما يتعلّق بالأمور الحِسبيّة(44), و بما أن أساس آلبحث يتعلّق بالولاية ألتكوينية و آلتشريعية ألمنبثقة عنها كونهما أصل ألأصول في عقيدة ألمسلم ألذي يُريد ألأتصال بآلله عن طريقها آلمتمثل بذوي القربى(45) ألذين أوصانا بهم آلله تعالى بآلتمسك بولايتهم و محبّتهم, لأنهم آلمعيار ألذي من خلاله تُوزن آلأعمال و يتحدّد ألمصير, و بما أنّ هذه ألولاية إنحصرت في علماء آلحوزة آلعلمية ألتي أنشئت بداياتها بعد آلغيبة ألكبرى, كونها ألمدرسة آلتي تستجمع ألعلوم و أسرار ألرسالة آلأسلامية التي لا بُد من معرفتها للتصدي لزعامة آلأمة لنشر و تحكيم الأسلام, لذلك سنلقي آلضوء على هذه المؤسسة آلتي تُخَرّج و تُحَدّد لنا ألفقية آلذي على آلأمة إتّباعه و تقليدهُ لتحقيق آلغاية من خلق الأنسان و هو التكامل في كل شيئ .. هذا التكامل ألذي لا يتحقّق إلا من خلال ألحكم ألأسلامي الذي حدّده لنا آلباري تعالى عن طريق ألرسول(ص) فالأئمة الطاهرين(ع) فالفقيه ألمتصدي ألأعلم و آلأعدل و آلأعرف بزمانه و بآلمجتمع ألأسلامي منْ بين آلفقهاء, و يُؤكد وليّ أمر آلمسلمين ألأمام ألخامنئي على أهميّة آلدّولة نقلاً عن سيد قطب, بأنّ مجرّد إقامة ألحكومة ألأسلامية تعادل آلكثير(46), و بإعتقادي تُعادل كلّ ما قدّمه آلعلماء منذ شهادة ألأئمة ألمعصومين(ع) و بدء ألغيبة ألكبرى و إلى يومنا هذا بل و أكثر من ذلك!]

و أن الله تعالى يزع بآلسّلطان ما لا يزعه بآلقرآن.

لكنْ منْ هُم هؤلاء ألأمناء ألمخلصين ألواعين من آلفقهاء ألرّبانيين ألمثقفين؟ و ما هي مواصفاتهم و دورهم؟ و بِمَنْ يَتَمَثّل أليوم؟ و ما هو واجب ألمسلمين تجاههم؟ و هل يمكن أن تتعدّد آلولايات في آلحكم على آلأمة في آن واحد؟

قبل آلأجابة على ذلك, سنلقي آلضوء على هذا آلمنهج ألأمثل ألذي تأسّس على يد ألشيخ ألمفيد ثم آلشيخ ألطوسي رضوان الله عليهما و إستمرّ عليه كلّ آلمراجع ألعظام تِباعاً, بعد شروع ألغيبة آلكبرى(47) .. حيث رافقتها ظروف عصيبة و معاكسات آلسلطات ألتي إدّعت ظُلماً تمثيلها للأسلام إبتداءاً بآلعصر ألعباسي و آلعثماني ثم آلحكومات ألدكتاتورية آلتي إنبثقت بعدها في بلادنا آلعربية و آلأسلامية .. على مدى أكثر من عشرة قرون و إلى آليوم, و بسبب جهاد ألأئمة(ع) ضدّ آلحكومات, و مُقارعتهم لتلك آلسلطات ألجائرة, لذلك أدّى إلى إستشهادهم جميعاً, و كانت فاجعة كربلاء ألتي إستشهد فيها آلأمام ألحسين(ع) ألشهادة آلكونيّة ألكبرى على إنحراف آلحكام و ظلمهم, و قد مثّلت تلك آلشهادة ألكبيرة مأساة آلأسلام و آلأنسانية, لذلك غابَ آلأمام ألثاني عشر(ع) عن آلأنظار بإذن آلله ريثما يُمَهّد له آلطريق للظهور ألعلني لِيَرِثَ آلأرض و ما عليها, حيث لا يُمكن أنْ تخلو ألأرض من حجّة لله(48) ليتحقّق على يديه أليوم ألموعود, و هو يُخطط من وراء آلحجب, و يدعم بشكل أو بآخر و بآليات مُتطورة كلّ من يُمثّل "ألنيابة ألعامة" للفقيه ألمتصدي لأمر آلأسلام وآلمسلمين للتمهيد إلى ألحكومة ألعالمية ألعادلة بإذن الله.

يقول شيخ ألطائفة ألطوسي في ألنهاية من كتاب ألجهاد: "و أمّا آلحُكم بين آلناس و آلقضاء بين آلمُختلِفين فلا يجوز أيضاً إلّا لمن أذن له سلطان آلحقّ في ذلك, و قد فوّضوا ذلك إلى فقهاء شيعتهم في حال لم يتمكن آلأئمة من تولّيه بنفوسهم"(49).

و آلمعنى كما يشير لهُ ألشيخ محمد ألمؤمن ألقميّ؛ "قد خصّ ألقضاء بآلأئمة ألمعصومين(ع) من بعد آلرسول(ص), بحيث لا يجوز تولّيه حتى للفقهاء من شيعتهم إلّا في حال لم يتمكّنوا بأنفسهم منْ تولّيه, و معلوم في هذا آلزمن ثبوت ولايتهم خارجاً عن آلأمكان"(50).

و قال المُحقّق في كتاب القضاء من الشرائع: "و هنا مسائل؛ ألأولى: يشترط في ثبوت الولاية – يعني ولاية القضاء, إذن الأمام ألمعصوم(ع) أو منْ فوّض إليهِ آلإمام ... و مع عدم حضور ألإمام ينفذ قضاء الفقيه منْ فقهاء أهل البيت(ع)(51). فحكمه في نفوذ قضاء الفقهاء يكون في حال غياب ألإمام المعصوم, دليل على أنّ أمر آلقضاء مع فعلية ولاية آلأئمة عليهم السلام يكون إليهم.

و قال صاحب ألجواهر مُعلّقاً على قول صاحب ألشرائع: " في أنّه بلا خلاف عليه عندنا .. بل آلأجماع بقسميه؛ يشترط في ثبوت ألولاية في آلقضاء و توابعه إذن الأمام(ع), أو منْ فَوَّضَ إليه ألأمام ذلك لما عُرفت منْ أنّ منصب آلحكومة لهُ(52).

كما إن آلسيد آلخوئي(قدس), ذكر في كتاب آلجهاد ألملحق بمنهاج آلصالحين, بجواز ألجهاد آلأبتدائي في عصر الغيبة, حيث قال: "إنّ ولاية هذا آلجهاد و آلحاكم ألذي ينفّذ أمرهُ هو آلفقيه". و يُعتبر هذا آلرأي للسيد ألخوئي(رحمه الله) من آلأستثناآت في تأريخ آلمرجعية, حيث فاق جميع آلفقهاء في مساحة آلولاية ألتي من حقّ آلفقيه ألتصرف بها في زمن آلغيبة .. بإضافتهِ لمسؤولية ألجهاد آلأبتدائي ألذي هو من حقّ آلمعصوم(ع) إلى مسؤوليات وليّ آلفقيه ألمتصدي لزعامة آلمسلمين, لكون آلجهاد ألأبتدائي يخرج من دائرة "ألحِسبة" ألتي إتفق عليها فقهاء آلشيعة جميعاً.

و قد تبيّن من مجموع ما تقدم, أنه لا خلاف بين آلأعلام, لا في مبدء مشروعية تشكيل حكومة إسلامية في عصر آلغيبة, و لا في مبدء ولاية آلفقيه, و إنما آلنقاش في آلتفاصيل ألتي لا تؤثر على حقّ آلطاعة للفقيه في إدارة شؤون ألبلاد و حكم آلعباد, خاصةً إذا لاحظنا إنّ موارد آلحسبة تسمح بولاية واسعة حتى مع آلأقتصار على آلقدر ألمتيقن على ما أشرنا إليه سابقاً.

و لا بُد من ملاحظة هامة جدّاً, تتعلّق بالقضاء؛ حيث إن إجراء أحكام آلقاضي يحتاج إلى من يدعم هذا آلأمر و يُوفّر ألمكان و آلحقوق و آلأمكانات و آلأجواء و متابعين و مُحقّقين, و بعد صدور آلحكم أيضاً لا بُدّ من وجود من يُنفّذ ذلك آلحكم, بمعنى آلحرّاس و آلأمن و آلمدراء و آلموظفين, و هذا يجرنا ـ خصوصاً في هذا العصر ـ للأيمان بوجوب إقامة ألدّولة ألأسلاميّة لتأخذ على عاتقها إجراء تلك آلمراحل عملياً و إلّا إستحال آلقيام بذلك, و لو إعتمدنا رأي الفقيه الكبير ألأمام آلخوئي(رض) فأن تنفيذه يحتاج إلى وجود دولةٍ إسلاميّة قويّة تمتلك جيشاً عقائدياً مُتطوّراً و مُسلّحاً إلى حدٍّ كبير, و من هنا كان جهاد ألأمام الخميني(قدس) و معه مئات ألمجتهدين و آلعلماء و تياراً كبيراً من آلمثقفين و بإسناد و تضحيات ألأمة .. يَهْدفُ إلى تحقيق مضامين آيات آلحكم و آلروايات آلمقدسة, و إنّ ما قام بهِ ألأمام آلخميني(قدس) و خليفته بالحقّ ألأمام ألخامنئي كأمين مخلص للنيابة العامة للأمام ألحجة(ع) يعتبر فتحاً كبيراً لم يعدله شيئاً في تأريخ المرجعية الدينية, حيث نقلت ولاية الفقيه عبر آلحكومة آلأسلامية في إيران .. ألأمكان ألشرعيّ من حالة "ألأمنية" بالعدالة و كونهم – أيّ مراجع ألدين – صوت إعتراض دائم عبر آلقرون إلى موقع آلحكم بدولةٍ و سلاح و صواريخ و مناهج علمية و إجتماعية و صيغ حياة و ثقف سياسي عالمي! إنها تشبه تفجير آلذّرة في تأريخ آلأفكار.

أمّا ألملاحظة آلأهم في قيادة وليّ آلفقيه؛ فهي و إستناداً إلى ما روي في علل الشرائع ضمن رواية ألفضل بن شاذان؛ "فأن قيل: لِمَ لا يجوز أنْ يكون في آلأرض إمامان أو أكثر في وقت واحد, أو حتى(شورى للفقهاء) – لقيادة آلدولة؟ قيل لِعِلّةْ:" ... و منها أنه لو كان إمامَين لكانَ لكلٍ من ألخصمين أنْ يدعو إلى غير آلذي يدعو إليه آلآخر في آلحكومة, ثم لا يكون أحدهما أولى بأنْ يتبع صاحبهُ من آلآخر, فتبطل آلحقوق و آلأحكام و آلحدود"(53), و تقرير دلالته على آلظاهر منه, أنّ آلأمامة مُلازمة للمرجعية لفصل ألخصومات, لأنهُ لو كانَ هُناكَ إمامَيّن, و كلّ خصمان رجعا مُنفردين إلى إمامين مُختلفين, يعني توجّه أحدهما إلى إمام و آلآخر إلى إمام آخر, فربما لا ينحسم نزاعهما, و بذلك لا يتحقّق قضاء, فقد يحكم أحد آلأمامين بحكم, و آلآخر بحكم مخالف له, فلا يصلان إلى حُكمٍ فاصل للخصومة, بسبب آلأختلاف في إستنباط آلحكم, فكان من لوازم تعدد آلأئمة (ألفقهاء ألمتصدين للقيادة في دولةٍ إسلاميّةٍ) في آن واحد بُطلان ألأحكام, و مثلها ألحدود(54).

و قد حقّق ولاية آلأمام آلخميني(قدس) عمليّاً إقامة آلحكومةٍ ألأسلامية على آلأرض, و إعتبر آلحفاظ عليها و آلدفاع عنها من أهمّ آلعبادات .. و هو تعبير قوى على أهمية وجود ألحكومةٍ ألأسلامية ألتي بقيامها تُقام ليس فقط ألصلاة و آلصوم و آلعبادات ألأخرى بل تكون ضامنة لإجراء كلّ ألحدود ألأسلامية و تحقيق آلعدالة و كرامة آلأنسان و عزّة آلمسلمين و آلخلاص من هيمنة ألمستكبرين, إن نجاح آلدّولة آلأسلامية و تقدمها هي أُمنية كلّ المحبين و آلمفكرين و آلمخلصين لِدِينِ آلله و لرسوله و لأوليائه عليهم السلام!

و قد كان آلعالم الرباني و آلفقيه الفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس) و جمعٌ من تلامذته ألفقهاء كآية الله ألحائري و آية آلله ألسيد محمود ألهاشمي و آية آلله محمد باقر ألحكيم "قُدّسَتْ أسرارهم" .. منْ آلذين كانوا يُخططون و يسعون لتحقيق مثل تلك آلثورة ألعملاقة(55) في آلعراق, و كانوا من أوائل ألذين أدركوا بعمقٍ أبعاد و مكانة و أهميّة آلثورة ألأسلامية منذ إنتصارها عام 1979م, و كان و لا يزال شخصية ألأمام ألخميني(قدس) في نفوسهم كبيرة و عزيزة, فقد قال أستاذنا ألشهيد ألفيلسوف(قدس) قُبَيْلَ إستشهاده بسبب موقفهِ ألمبدئي في تأئيّد مشروع ولاية آلفقيه(ألحكومة آلأسلامية) قوله:

{لو كلّفني ألأمام آلخميني لأنْ أكون مُمثّلاً عنهُ في قريةٍ من قرى إيران ألنائية لقبلتُ آلأمر بفخرٍ و إعتزاز}.

و قال أيضاً قولتهُ آلمشهورة:

{ذوبوا في آلأمام ألخميني كما ذاب هو في آلأسلام}!

و قال(قدس): {إنّ آلأطروحة ألمباركة (ولاية آلفقيه) ألتي رفع سماحة آية الله آلعظمى ألخميني رايتها قد أنعشت قلوب آلمسلمين جميعاً, و أنارتْ نفوسهم}(56).

و يُؤكد أستاذنا آلفيلسوف على وجوب ولاية الفقيه كنيابةٍ شرعيّة عامّة للأمام ألمعصوم(ع) بالقول:"كان آلأئمة(ع) يهيئون أجيالاً مؤمنة عالمة قادرة على فهم ألرسالة بشكل كامل تقريباً .. و صحيح, و خلق قادة للمستقبل و آلتأكيد عليهم, و هم العلماء, لتهيئة ألأمة إلى المرحلة الجديدة ألتالية, و يُمكن أنْ نستكشف من آلغيبة ألصغرى أنها كانت تربية و تهيئة عملية للأمة للأنتقال إلى المرحلة ألجديدة, و هي قيادة آلعلماء, و في آلمرحلة ألثالثة حيث تنضج ألأمة, و تصل ألرسالة بكل أبعادها إلى شخصيات متعددة من آلأمة, فأنّ آلقيادة سوف لن تحتاج حينئذٍ إلى أكثر من توفّر عنصر ألنضج ألرسالي ألكامل .. زيادةً على الشروط التي يفرضها منصب ألقيادة, و في هذه آلمرحلة يأتي دور ألعلماء لقيادة آلأمة, و قد صنف آلقرآن ألكريم ألشهداء – ألقادة – إلى ثلاثة أصناف في آلآية التالية:

" إنّا أنزلنا آلتوراة فيها هدىً و نور يحكم بها آلنبيون ألذين أسلموا للذين هادوا و آلربانيّون و آلأحبار ..."(57),
و من هنا أمكن آلقول بأنّ خط آلشهادة(يقصد خط آلشهادة على آلناس و قيادتهم) يتمثّل:
أولاً: بألأنبياء.
ثانياً: بألأئمة ألذين يُعَدّون إمتداداً ربّانياً للنبيّ في هذا آلخط.
ثالثاً: بألمرجعية ألتي تُعدّ إمتداداً رشيداً للنبيّ و آلإمام في خط آلشهادة"(58).
و بآلتالي فأنّ ولاية الفقيه هي ولاية الله على الناس.

ولاية ألفقيه هي ولاية الله على آلناس:

بعد ما أثبتنا أن ولاية آلأنسان على آلناس و آلتي تتحدّد عادة من خلال آلأنتخابات آلديمقراطية(ألشورى) لا تُحقّق هَدَفَ آلرسالة آلأسلامية, بل عادةً ما يقع آلعكس و كما أثبت الواقع! لكونها خلافة دنيويّة تتحدّدُ من خلال إنتخاب آلنّاس للنّاس, حيثُ تكمنُ فيها كلّ بواطن آلخطر آلجدّي على مُستقبل الأسلام و أخلاق آلمسلمين بسبب غَريزة ألتّسلّط و التكبر ألّتي جبل عليها البشر و آلتي ما نجى منها حتّى آلمُتّقين و كبار ألصّحابة, و حبّ آلأنسان للتسلط و للمال و آلشهوات ألتي تستبطنها آلرئاسة, و بآلتالي حتميّة آلأنحراف عن خط آلرسالة آلألهية بآلنسبة للأنسان آلعادي ألذي لا يتّبع أوامر وليّ آلفقيه كإمامٍ و مُرشدٍ حتى لو كان مُتخصّصاً في مجالٍ مُعَيّن فآلأمانة و آلأخلاص و آلاخلاق هي آلمقدمة على كل صفة أخرى في الحاكم الأسلامي و أوّل و أهمّ مصداق لها هو لقمة الحلال و العيش كما يعيش أفقر الناس في المجتمع؛ لذلك لم يبق أمامنا نحن آلذين نُحب آلله و رسوله و أهل بيته ألأطهار و آلأسلام ألذي هو دين آلحقّ .. سوى آلرّجوع إلى ولاية آلمرجعية ألدينية(ولاية آلفقيه) لتوثيق أمانة من يُريد آلتّصدي للرئاسات آلثلاث(ألتنفيذية, ألقضائية, ألتشريعية) و آلمراكز الهامة في قيادة الجيش و آلأعلام, لكونه – أيّ وليّ آلفقيه - آلحُصن ألحصين و آلأتقى و آلأعلم من بين آلعباد بخفايا و أسرار ألرسالة آلألهية ومصالح آلأمة آلأسلامية و آلأنسانية, ولأنّه أوّلاً وأخيراً يَهْدِفُ إلى تطبيق آلأسلام ودحر آلحكومات ألمستكبرة ألظالمة للتمهيد إلى ظهور ألمصلح ألكبير ألأمام آلحُجّة(عج).

كما إنّ قيادة آلأمام ألخمينيّ(رض) ألتي قادت ألجمهورية ألأسلامية بعد نجاح ثورتها .. و برهنت على مبدئيتها و إخلاصها في تبني خط و أخلاق أهل البيت ألطاهرين .. ذلك المنهج ألذي هو منهج ألرسول(ص) رغم آلأعصار و آلمؤآمرات ألكبرى و تكالب قوى ألكفر ألعالمي و الدولي و المحلي عليها بقيادة أمريكا و ألوهابية ألسعودية(59) ألّذين يُنفّذون و يُدْعمون بأعمالهم و مواقفهم .. منهج الأستكبار العالمي لضرب آلجمهورية ألأسلامية و إجهاض نهضتها و مشروعها آلعالمي ألّذي إنْبَثَقَ من أرض سلمان "ألمحمدي"(رض).

هذا وسنكمل الحديث في الحلقة القادمة و هي الأخيرة حول سبب إطلاق كلمة الجمهورية مع آلأسلامية على الدولة الأسلامية ألمعاصرة, و لا حول و لا قوّة إلّا بآلله العلي العظيم.

---

(1) راجع عوائد آلأيام للشيخ ألنراقي, و كذلك نظرية ولاية الفقيه و تداعيتها في آلفكر, لشفيق شقير,(2001م). مجلة ألمعرفة – ملفات خاصة.
(2) راجع كتاب ألحكومة الأسلامية, و كتاب البيع, و خطبه على مدى أكثر من نصف قرن في آلمسائل و آلأمور ألمتعلقة بآلحكومة ألاسلامية للأمام ألخميني(قدس).
(3) ألحائري, كاظم (1995م).الأمامة و قيادة المجتمع, مطبعة باقري, ص32, ط1.
(4) ألشورى / 38.
(5) آل عمران / 159.
(6) أشار لهذا آلموضوع ألأمام الشهيد ألفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس) في مؤلفاته ألعديدة و نخصّ منها ؛ كتاب خلافة ألأنسان و شهادة الأنبياء(4)؛ لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الأسلامية(1) في سلسلة ألأسلام يقود آلحياة, و كذلك؛ منابع القدرة في الدولة الأسلامية؛ رسالتنا؛ إقتصادنا؛ منطقة الفراغ في التشريع الأسلامي؛ تدّخل ألدولة و مسؤوليتها؛ صلاحيات ألحاكم ألشرعي؛ كما بحث هذا آلموضوع؛ ألمفكر الفيلسوف محمود آلهاشمي في بحوثه حول الولاية, و تجدر ألأشارة إلى أنه تحمل مسؤولية ألسلطة ألقضائية في آلدولة ألأسلامية على مدى عشرة سنوات(1998 – 2008م)؛ و كذلك ألسيد آية الله كاظم الحائري(عضو مجلس ألخبراء في آلدولة ألأسلامية) في كتابه : أساس ألحكومة ألأسلامية؛ و كذلك ولاية آلأمر في عصر آلغيبة؛ و ألأمامة و قيادة المجتمع, هذا بالاضافة إلى محاضراته آلعديدة حول آلموضوع, و يُعتبر ألمفكران الكبيران آية آلله ألهاشمي و آية آلله ألسيد ألحائري من أبرز تلامذة ألأمام ألفيلسوف محمد باقر ألصدر(قدس).
(7) ذكر آلحديث صاحب ألمستدرك, ألنيشابوري, ألمجلد الأول,ص 115 – 117, طبعة دار المعرفة بيروت, 1985, ط1.
(8) عبر آلفيلسوف ألفقيه محمد باقر آلصدر عن آلخلافة آلألهية في آلأرض بالقول:"إنّ آلملائكة لاحظوا خط آلخلافة بصورة منفصلة عن آلخط ألمكمل لهُ بالضرورة فثارتْ مخاوفهم, و أما آلخطة آلرّبانية فكانت قدْ وضعتْ خطّين جنباً إلى جَنبْ : أحدهما؛ خطُ آلخلافة, و آلآخر؛ خط آلشهادة ألذي يُجَسّدهُ شهيدٌ ربانيّ يحملُ إلى آلناس هدى آلله و يعمل من أجل تحصينهم من آلأنحراف, و هو آلخط آلذي أشار إليه آلقرآن آلكريم في قولهِ تعالى:"قُلنا إهبطوا مِنْها جَميعاً فإمّا يأتِيَنّكم منّي هُدىً فمنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَليهِمْ وَ لا هُم يَحْزَنونَ"(ألبقرة). للمزيد من آلتفاصيل راجعْ:
ألصدر, محمد باقر(1979م). خلافة آلأنسان و شهادة آلأنبياء – سلسة ألأسلام يقود آلحياة (4) – دار آلتعارف للمطبوعات, بيروت – لبنان, ص19, ط2.
(9) ألبقرة / 32.
(10) يقول آلحديث ألمتواتر بسندٍ معتبر عن جابر بن عبد آلله آلأنصاري, عن فاطمة آلزهراء(ع) بنت رسول آلله, قال: سمعتُ فاطمة(ع) أنّها قالت:"... فهبط آلأمين جبرئيل, فقال: ألسلام عليك يا رسول الله .. ألعليّ ألأعلى يُقْرِؤك آلسلام, و يَخُصّكَ بالتّحية و آلإكرام, و يقولُ لك: و عزّتي و جلالي إنّي ما خلقْتُ سماءاً مَبْنيّةً و لا أرضاً مَدْحيّةً, و لا قمراً مُنيراً, و لا شمساً مُضيئة, و لا فلكاً يدور, و لا بحْراً يجري, و لا فُلكاً تسري إلّا لأجلكم ...".
ألجوهرجي, محمد صالح (1989م). ضياء آلصالحين, مكتبة آلألفين, ألكويت, ص543, ط3.
أما المصادر التي دوّنت حديث الكساء ونصّت على نزول آية التطهير في الخمسة الذين شملهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بردائه .. فهي كثيرة جداً ، نقتصر على ذكر بعضها من مصادر العامة :

ـ مسند أحمد بن حنبل1: 331 و3: 259، 285 و4 : 107 و6 : 292 ، 296 ، 298 ، 304 ، دار الفكر ـ بيروت .
ـ فضائل الصحابة | أحمد بن حنبل 2 : 66 ـ 67 | 102 وغيره ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط1 .
ـ التاريخ الكبير | البخاري 1 : القسم الثاني : 69 ـ 70 و 110 ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
ـ صحيح مسلم 4 : 1883 | 2424 ، دار الفكر ـ بيروت ط2 .
ـ الجامع الصحيح للترمذي 5 : 351 ، 352 ، 663 ، 699 ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
ـ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام | النسائي : 37 ، 49 وغيرها ، مكتبة المعلا ـ الكويت ط1 .
ـ المعجم الكبير | الطبراني 3 : 46 | 2662 و3 : 47 | 2666 و3 : 49 | 2698 ، وغيرها كثير ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ط2 .
ـ المعجم الصغير | الطبراني 1 : 135 ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
ـ أنساب الأشراف | البلاذري 2 : 104 ، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ط1 .
ـ مصابيح السُنّة | البغوي 4 : 183 | 3796 ، دار المعرفة ـ بيروت ط1 .
ـ معالم التنزيل | البغوي 4 : 464 ، دار الفكر ـ بيروت .
ـ الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان 9 : 61 | 6937 ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط1 .
ـ مشكل الآثار | الطحاوي 1 : 332 ، دار صادر ـ بيروت ط1 .
ـ العقد الفريد | ابن عبد ربه الاندلسي 4 : 311 ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .
ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري 2 : 416 و3 : 133، 146 ، 147 ، 158 ، 172 ، دار الفكر ، بيروت .
ـ أسباب النزول| الواحدي: 203، دار الكتب العربية ـ بيروت ط1 .
ـ الاستيعاب في معرفة الصحابة | ابن عبدالبر 3 : 1100 ، دار الجيل ، بيروت ط1 .
ـ تاريخ بغداد | الخطيب البغدادي 10 : 278 | 5396 ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .
ـ تفسير الخازن 5 : 259 ، دار المعرفة ـ بيروت .
ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة | ابن الأثير 2 : 10 ، 13 ، 19 ، 21 و4 : 46 ـ 47 و4 : 110 و5 : 407 و6 : ـ 79 ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
ـ جامع الاصول | ابن الأثير الجزري 9 : 155 | 6702 و6703 و6705 ، دار الفكر ـ بيروت ط2 .
ـ أحكام القرآن | الجصاص 3 : 529 ، المكتبة التجارية ـ مكة المكرمة .
ـ أحكام القرآن | ابن عربي 3 : 1538 ، دار المعرفة ـ بيروت .
ـ تذكرة الخواص | سبط ابن الجوزي : 233 ، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام ـ بيروت .
ـ الكشّاف | الزمخشري 1 : 369 ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ط3.
ـ مفاتيح الغيب | الرازي 8 : 71 .
ـ ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق | ابن عساكر ، تحقيق محمد باقر المحمودي 1 : 273 ـ 274 | 322، دار التعارف ـ بيروت ط1.
وترجمة الإمام الحسين عليه السلام: 61 ـ 77، مؤسسة المحمودي ـ بيروت ط1 .
ـ منهاج السُنّة | ابن تيمية 3 : 4 و4 : 20 ، المكتبة العلمية ـ بيروت .
ـ تاريخ الإسلام | الذهبي 3 : 44 و 5 : 95 ـ 96 ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ط1 .
ـ سير أعلام النبلاء | الذهبي 2 : 122 وصححه ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط1 .
ـ البداية والنهاية | ابن كثير 7 : 338 ، دار الفكر ـ بيروت ط3 .
ـ الاصابة في تمييز الصحابة | ابن حجر 4 : 270 ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد | الهيثمي 7 : 91 و9 : 119 ، 121 ، 146 ، 167 ـ 169 ، 172 ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ط3 .
ـ تهذيب التهذيب | ابن حجر العسقلاني 2 : 297 ، حيدرآباد ـ الهند ط1 .
ـ الاتقان | السيوطي 4 : 277 ، منشورات الرضي ـ قم ط2 .
ـ الدر المنثور | السيوطي 5 : 198 ، 199 ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي ـ قم .
ـ الصواعق المحرقة | ابن حجر الهيتمي : 139 ، 143، 144، 229، مكتبة القاهرة ـ مصر ط2 .
ـ كنز العمال | المتقي الهندي 13 : 163 | 36496 وغيره ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط5 .
ـ فتح القدير| الشوكاني 4 : 349 ـ 350 ، دار المعرفة ـ بيروت ط2 .
ـ جميع كتب مناقب أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير .
وهناك مصادر أخرى كثيرة يطول المقام بذكرها جميعاً ، وهي بمجموعها تؤكد أن أهل البيت هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وهو ما أطبق على روايته الشيعة الامامية وأجمع عليه كافة علمائهم (1)، ورواه العامة في صحاحهم وسننهم ومسانيدهم وأجمع عليه مفسروهم وأيدته الغالبية العظمى من علمائهم كما تقدم من ذكر رواة الحديث ومصادره .

(11) ألأنعام / 165.

(12) روي عن الأمام الباقر(ع): "يا جابر أ يكتفي من ينتحل التشيع, أن يقول بحبنا أهل البيت(ع), فوالله ما شيعتنا إلّا من إتقى الله و أطاعه, و ما كانوا يُعرفون يا جابر إلّا بالتواضع و التخشع و آلأمانة, و كثرة ذكر الله, و آلصوم و آلصلاة, و البر بالوالدين, و آلتعهد للجيران من الفقراء و أهل المسكنة, و آلغارمين و آلأيتام, و صدق الحديث و تلاوة القرآن".

(13) يونس / 13 – 14.

(14) ص / 26.

(15) ألحائري, كاظم (1995م).الأمامة و قيادة المجتمع, مطبعة باقري, ص48, ط1.

(16) للمزيد من التفاصيل راجع آلمصدر السابق, ص49 -53. (17) لمعرفة التفاصيل راجع آلكتب التالية: ألغدير؛ ألسقيفة؛ ألأحتجاج؛ ألألفين؛ ألمراجعات؛ نهج البلاغة.

(18) ألنساء / 105.

(19) ألأنعام / 114.

(20) ألأنعام / 115 - 116.
(21) ألحديد / 25.
(22) ألنساء / 59.
(23) ألمائدة /55.
(24) ألمائدة / 44.
(25) ألمائدة / 45.
(26) المائدة / 47.
(27) صنف العلماء ألأحاديث إلى آلأقسام ألتالية:
- ألمتواتر: هو آلحديث الذي أخبر عنه جماعة, يمتنع عند العقل تواطئهم على الكذب في كل طبقة.
- ألآحاد: هو بخلاف المتواتر, حيث لا يمتنع عند العقل ألتواطؤ فيه على الكذب.
- ألمستفيظ: هو الذي يخبر بها ثلاثة أو أكثر.
- ألمشهور: هو الذي يوجد في جميع الأصول(من كتب الحديث), و قيل في آلأكثر.
- ألشاذ: هو بخلاف المشهور ألذي لا يوجد في أكثر الأصول, بل يوجد في بعض آلأصول.
- ألمردود و آلمنكر: هو الذي لا يوجد في جميع الأصول.
- ألصحيح: ما إتصل سنده إلى المعصوم(ع), بنقل المؤمن العدل عن مثله في جميع الطبقات.
- ألمُوَثَّق: ما كان كلّ من رواه ممّن نصّ آلأصحاب على ثوثيقه في خبره, و إن كان مناقشاً في عقيدته.
- ألحسن: ما إتصل سنده بالمعصوم(ع) بإماميّ ممدوح من غير نصٍ على عدالته و توثيقه.
- ألضعيف: ما لا تجتمع فيه شروط أحد الثلاثة المتقدمة؛ بأن يشتمل طريقه على مجروح بالفسق و نحوه, أو مجهول الحال, فأن إتصال السند إلى المعصوم يعبر عنه بالمتصل ألضعيف من جهة عدم وثاقة رواته.
- ألموقوف: م إتصل سنده إلى غير المعصوم ممّن صاحَبَ المعصوم(ع).
- ألمقطوع: ما إنقطع سنده من الوسط.
- ألمرفوع: ما حذف فيه أحد الرواة, أو كان أحدهم مجهولاً.
- ألمرسل: ما حذف فيه الرواة جميعاً, أو ذُكر مجهولاً.
و آلأنواع الأربعة الأخيرة مشتركة بالضعف, و لا يمكن العمل بها.
(28) ألكافي: ج1, ص32, ط3, دار الكتب الأسلامية في طهران – إيران, عام1388هـ ق.
(29) ألكافي: ج1, ص33, ح5.
(30) من لا يحضره الفقيه: ج4, ص302.
(31) ألكافي: ج1, ص38,ح3.
(32) ألكافي: ج1, ص46, ح5.
(33) منية المريد, ص36.
(34) وسائل الشيعة: ج18, ص101, ح9.
(35) ورد الحديث في مصادر عديدة منها: و سائل الشيعة: ج 18, أبواب صفات القاضي, ب11, ح9.
كما ذُكر الحديث في كمال آلدين و تمام النعمة للشيخ الصدوق؛ ج2, ص483. و كتاب ألغيبة للشيخ الطوسي؛ ص176.
(36) ورد تفاصيل آلحديث في كتاب ألأحتجاج للطبرسي (1983م). منشورات آلأعلمي للمطبوعات, بيروت, ج2, ص355 – 357, بيروت ط2. و قد إعتبره الشهيد ألثاني من الثقاة, و قبله جميع الأصحاب, و نص الرّواية:{عن عمر بن حنظلة, قال: سألت أبا عبد الله(ع) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث, فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة؟ قال(ع): من تحاكم إليهم في حقّ أو باطل فأنما تحاكم إلى الجبتْ و آلطاغوت ألمنهي عنه. و ما حكم له به فإنما يأخذ سحتاً, و إنْ كان حقّه ثابتاً له لأنه أخذه بحكم الطاغوت, و منْ أمر الله عز و جل أنْ يكفر به, قال الله عزّ و جلّ: (يريدون أنْ يتحاكموا إلى الطاغوت و قد أُمروا أنْ يكفروا به), قلت: فكيف يصنعان و قد إختلفا؟ قال: ينظران منْ كانَ منكم ممّن روى حديثنا, و نظر في حلالنا و حرامنا و عرف أحكامنا, فليرضيا به حكماً, فقد جعلتهُ عليكم حاكماً, فأذا حكم بحُكمٍ و لم يقبله منهُ, فأنّما بحُكم الله قد إستخف و علينا ردّ, و آلرادّ علينا كافر و رادّ على الله, و هو على حدّ من الشرك بالله.
قلتُ: فأنْ كان كل واحد منهما إختار رجلٌ من أصحابنا, فرضيا أنْ يكونا ألناظرَيّن في حقّهما فيما حكما, فأنّ آلحكمين إختلفا في حديثكم؟ قال: إنّ آلحكم ما حكمَ به أعدلهما و أفقههما و أصدقهما في الحديث و أورعهما, و لا يلتفت إلى ما حكم به الآخر, قلت: فأنهما عدلان مرضيان, عُرفا بذلك لا يُفضل أحدهُما صاحبه؟ قال: ينظر الآن إلى منْ كان من روايتهما عنّا في ذلك الذي حكما, ألمجمع عليه بين أصحابك, فيؤخذ به من حكمهما و يترك الشاذ ألذي ليس بمشهور عند أصحابك, فإنّ آلمجمع عليه لا ريب فيه, و إنّما الأمور ثلاث: أمرٌ بيّن رشده فيُتبعْ, و أمرٌ بيّنٍ غيّه فيُجْتَنبْ, و أمرٌ مشكلٌ يردّ حكمهُ إلى الله عز و جلّ و إلى رسولهِ, حلالٌ بيّن, و حرامٌ بيّن, و شُبهاتٌ تتردّد بين ذلك, فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات, و من أخذ بالشبهات إرتكب المحرمات و هلك من حيث لا يعلم, قلتُ: فأنْ كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما ألثقات عنكم؟ قال: ينظر ما وافق حكمه حكم الكتاب و آلسنة و خالف العامة فيؤخذ به, و يترك ما خالف حكمه حكم الكتاب و السنة و وافق العامة, قلتُ: جُعلتُ فداك أ رأيت إنْ كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب و آلسنة, ثم وجدنا أحد الخبرين يوافق العامة, و آلآخر يخالف, بأيهما نأخذ من الخبرين؟ قال(ع): ينظر إلى ما هم إليه يميلون, فأنّ ما خالف العامة ففيه الرشاد, قلتُ جعلتُ فداك! فأنْ وافقهم الخبران جميعاً؟ قال(ع): إنظروا إلى ما تميل إليه حكّامهم و قضاتهم, فإتركوا جانباً و خذوا بغيره, قلتُ: فأنْ وافق حكامهم الخبرين معاً؟ قال(ع): إذا كان كذلك فأرجه و قف عنده, حتى تلقى إمامكَ, فأنّ الوقوف عند الشبهات خيرٌ من الأقتحام في الهالكات, و الله هو المرشد.
يقول الطبرسي رحمه الله: جاء هذا الخبر على سبيل التقدير, لأنه قلّما يتفقْ في آلأثر أنْ يردَ خبران مختلفان في حكم من الأحكام, موافقين للكتاب و السنة!
(37) بن بابويه القمي, محمد (1404هـ). من لا يحضره الفقيه, منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم, إيران, ط1. كما ذكره الكليني في الكافي ج5, ص215. و في التهذيب, ج2, ص138, و في قاموس الرجال, ج4, ص297. و في كتاب وسائل الشيعة: ج18, ص4, ح5, و ص100, ح6.
(38) وسائل الشيعة: باب صفات القاضي, ج2ص3 و كذلك ج18, ص80, ح20.

(39) و سائل الشيعة, للحر العاملي, ج27, ص131, ب10, ح20.
(40) وسائل الشيعة: ج18, ص88, ح45.
(41) تجدر ألأشارة إلى أن الشهيد ألمرجع الكبير محمد باقر الصدر, عندما أصدر فتاواه(ألعبادات) أورد في بداية الكتاب توضيحاً بيّن فيه أنه لم يحتاج لا إلى العقل و لا إلى الأجماع لأصدار تلك الرسالة! و إنما إعتمد ألنصوص فقط, و هذا يُدلل على أن مجمل الأحكام العبادية لا جديد فيها تقريباً, و يعلم الجميع بأن أستاذنا ألأمام ألشهيد لم يكمل رسالته العملية في المعاملات, ربما كان يعتقد بأن بيانه للمنظومات الأسلامية ألمختلفة من خلال مؤلفاته القيمة؛ هي ألبديل ألأمثل لذلك, و الله أعلم.
(42) يعتمد ألأستنباط على أربعة مصادر هي: ألقرآن و ألسنة و ألعقل و ألأجماع.
(43) لا يوجد خلاف بين فقهاء ألشيعة على ألأقل حول ضرورة إقامة الدولة الاسلامية؛ بل هي مسألة لا يختلف عليها عاقلان, و إن آية الله السيستاني صرّح بوجوب ألحفاظ على ولاية الفقيه كونها تمثل عزّ ألأسلام و المسلمين في هذا العصر.
فقد أفاد رئيس ألأئتلاف الأسلامي الأيراني محمد نبي حبيبي بعد لقائه بالسيد السيستاني ألذي يمثل قطب المرجعية في النجف ألأشرف قوله: لقد بيّن السيد السيستاني في لقائنا معه بأن الذي يريد خدمة الأسلام و المسلمين عليه الألتفاف حول ألولاية, مشيراً إلى أن ألدولة الأسلامية بقيادة السيد الخامنئي أعرف بشؤون المسلمين و مصالحهم!
كما أعرب ألعَلاّمة ألسيد مرتضى ألكشميري صهر ألمرجع ألديني آية الله ألسيد ألسيستاني دام ظلّه و مُمثّله في أوربا و أمريكا بالقول في لقاء جمعنا و إياه في كندا عام2008م في مركز ألرسول ألأعظم بالقول: {لو تهيأت ألظروف ألمناسبة في ألعراق فأنّ ألسيد ألسيستاني سَيُعلن عن تشكيل ألحكومة ألأسلامية على غرار إيران, لكنّ ألوضع في ألعراق ألآن يختلفُ عن إيران و كما كانّ في زمن ألأمام ألخميني(قدس)}.
(44) للأمور ألحِسبيّة مَعْنَيَيْن: ألأول؛ يقصد بها شؤون الرقابة الأجتماعية و ألأمر بألمعروف و ألنهي عن ألمنكر, و هذا هو ألمعنى ألأشمل و ألمقصود من ولاية ألحِسبة في ألفقه الأسلامي. و ألمعنى ألثاني هو؛ ولاية الحسبة هي كل ما يطلبهُ ألشارع على نحو ألكفاية ممّا تقوم به حياة ألمجتمع و يختلّ من دونه ألمجتمع, و يدخل في قوله تعالى: " و تعاونوا على البّر و التقوى..."(إنظر : ألأجتهاد و التقليد, للشيخ الآصفي, ص198).
(45) قال تعالى: "قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا ألمودة في ألقربى"(ألشورى / 23). و قال تعالى أيضاً: " قل لا أسئلكم عليه من أجرٍ إلّا منْ شاء أنْ يتّخذ إلى ربهِ سبيلا"(ألفرقان / 57).
(46) يعتقد سيد قطب: {إنّ مجرد تشكيل حكومة إسلامية تعمل وفقاً للقانون الأسلامي في ناحية ما من هذا العالم الكبير, لهو قادرٌ على أنْ يترك من ألتأثير ما يفوق آلاف ألكتب, و آلاف ألمحاضرات, و آلآلاف من ألأفكار ألدقيقة ألهادفة إلى نشر ألدين}.
(47) تنقسم غيبة الأمام المهدي(ع) إلى مرحلتين: ألصغرى و ألكبرى, إستمرت ألصغرى 70عاماً(260هـ - 329هـ), و هي ألفترة ألتي كان يتّصل فيها ألأمام ألمهدي(ع) بألناس عن طريق ألسفراء الأربعة ألذين تمّ تعينهم من قبلهِ مباشرةً على التعاقب, و هم: ألشيخ ألموثوق به أبو عمرو(عثمان بن سعيد العمري), نصبه أولاً ألأمام أبو الحسن عليّ بن محمد العسكري(ع), ثم إبنه أبو محمد الحسن(ع), فتولى القيام بأمورها حال حياتهما(ع) بسبب ألظروف الأمنية و مضايقات الحكومة العباسية, ثم بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان(ع), و كان توقيعاته و جواب المسائل تخرج على يديهِ, فلما مضى لسبيلهِ, قام إبنهُ أبو جعفر(محمد بن عثمان ألعمري) مقامهُ, و ناب عنه في جميع ذلك, فلما مضى , قام بذلك أبو القاسم(حسين بن روح ألنوبختي) من بني نوبخت, فلما مضى هو, قام مقامه أبو الحسن(عليّ بن محمد ألسمري), و لم يقم أحد منهم بذلك إلّا بنصٍ عليهِ من قبل صاحب الأمر(ع), ونصب صاحبهُ الذي تقدم عليهِ, و لم تقبل الشيعة قولهم إلّا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر(ع), تدلّ على صدق مقالتهم, و صحة بابيّتهم, فلما حان سفر أبي الحسن السمري من الدنيا, قيل له: إلى منْ توصي؟ فأخرج إليهم توقيعاً نسختهُ؛ بسم الله الرحمن الرحيم .. يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك, فأنك ميّت ما بينك و بين ستة أيام, فإجمع أمرك و لا توصي إلى أحدٍ فيقوم مقامك بعد وفاتك, فقد وقعت ألغيبة التامة, فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره, و ذلك بعد طول الأمد و قسوة القلوب, و إمتلاء الارض جوراً, و سيأتي إلى شيعتي من يدعي المشاهدة, ألا فمن إدعى المشاهدة قبل خروج السفياني و الصيحة, فهو كذاب مفتر, و لا حول و لا قوة إلا بالله ألعلي ألعظيم.
فنسخوا هذا التوقيع و خرجوا, فلما كان اليوم السادس عادوا إليهِ, و هو يجود بنفسهِ, فقال له بعض الناس: من وصيّك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه, و قضى, فهذا آخر كلام سمع منهُ(رض). للتفاصيل راجع؛ ألجزء ألثاني من كتاب ألأحتجاج للطبرسي (1983م), مؤسسة ألأعلمي للمطبوعات, ص477 – 478, بيروت, ط2.
كما ورد في كتاب ألغيبة للشيخ الطوسي تفاصيل أخبارهم أيضاً.
(48) من منن الله سبحانه على ألخلق إرساله للأنبياء و الرسل و الأوصياء لهدايتهم, منذ أبينا آدم(ع) و إلى يومنا هذا, حيث لا يمكن أن تخلو الأرض من حجة لله تعالى, لئلا تبطل ألنواميس و العلل, لأن تماميّة الحجة متوقفه على وجود إمام يهدي إلى
التكامل, و قد وردت روايات كثيرة تؤكد على إستمرارية الحجة كونها تمثل العلة الغائية في الوجود, من أجل تحقيق ألخلافة الالهية ألموعودة في القرآن الكريم, لذلك يستحيل عدمها, لأنها تخالف نظرية المعرفة الأسلامية و أصل ألغاية من خلق ألأنسان و الوجود, و قد ورد في الحديث: " لولا الحجة لساخت ألأرض بأهلها", كما ورد عن الأمام الباقر(ع):"لو بقيت ألأرض يوماً بلا إمام مثا لساخت بأهلها, و لعذّبهم الله بأشدّ عذابه, و ذلك أنّ ألله تبارك و تعالى جعلنا حجةً في أرضهِ, و أماناً في ألأرض لأهل الأرض, لن يزالوا في أمان من أن تسيخ بهم ألأرض ما دمنا بين أظهرهم, فأذا أراد الله أن يهلكهم و لا يمهلهم و لا ينظرهم ذهب بنا من بينهم, و رفعنا الله, ثم يفعل الله ما يشاء(شاء) و أحبّ"(راجع كتاب الغيبة, للنعماني, ص218.
(49) ألنهاية, ص301.
(50) للتفاصيل:
http://www.alwelayah.net/welayah/index.php?sec=V1d4a1IySm5QVDA9⊂=V1cweFYwMHlUak5RVkRBOQ==&r=%7B000A31B4EA3/000067964D9603850E2B4/000000020/000067964D9603850E2B4/00000003/000067964D9603850E2B4/00000000D0077A702D4C10CC52F420304%7D&id=7139&act=show&Sectyp=493
(51) نفس المصدر السابق.
(52) ألجواهر: ج40, ص23. نقلاً عن المصدر السابق.
(53) علل ألشرائع, للشيخ الصدوق, ألباب 128, ص251 – 255, ألحديث9.
(54) في بداية الثورة الاسلامية عام1980م, حدث خلاف بين رأي أحد قضاة ألدولة الاسلامية و بين رأي أحد مراجع الدين(ألسيد شريعتمداري) بشأن مصادرة قطعة أرض زراعية كانت متروكة تعود لأحد ألأقطاعيين من مقلدي ألمرجع ألديني شريعتمداري, ألذي حكم للاقطاعي بخلاف حكم القاضي ألمخول من ولي الفقيه ألمتصدي للدولة الأسلامية, و كاد ألخلاف يتأزم, لولا دخول السيد ألأمام و حسم الموضوع لصالح رأي القاضي ألذي كان مجتهداً بالطبع, لأن جميع قضاة الدولة الاسلامية مجتهدون تقريباً.

(55) يقول ألفقيه ألفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس): {أن آلدولة آلأسلامية ليست ضرورة شرعيّة فحسب .. بل هي إضافة إلى ذلك ضرورة حضارية, لأنها آلمنهج ألوحيد ألذي يمكنهُ تفجير طاقات الأنسان في العالم آلأسلامي و إرتفاعٌ به إلى مركزهِ آلطبيعي على صعيد آلحضارة ألأنسانية لأنقاذه ممّا يُعانيه من ألوان التشتت و التبعية و آلضياع}. للتفاصيل؛ راجع منابع القدرة في آلدولة الأسلامية, ص5.
(56) ألصدر, محمد باقر(1979م). لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية ألأسلامية – سلسلة ألأسلام يقود آلحياة, دار آلتعارف للمطبوعات – شارع سوريا, ص11, ط2.
(57) ألمائدة / 44.
(58) ألصدر, محمد باقر(1979م). خلافة الأنسان و شهادة الأنبياء – سلسلة ألأسلام يقود آلحياة(4), دار آلتعارف للمطبوعات, بيروت, ص21 – 22, ط2.
(59) يعتبر آل سعود "رأس آلحربة" ألتي بيد ألصهاينة و آلغرب في آلشرق خصوصاً في منطقة آلخليج! فتاريخ آل سعود, بدأ مع بروز و نجاح حركة ألشيخ "محمد عبد آلوهاب" ألذي كان شاباً طموحاً للغاية , عصبيّ آلمزاج ناقماً على آلحكومة ألعثمانية, تعرّف عليه "ألمستر همفر" أحد وكلاء وزارة ألمستعمرات ألأنكليزية بداية ألقرن ألثامن عشر في مدينة البصرة ألعراقية, لقد أثّرتْ فيه كثيراً تلك "ألكلمة ألذهبية" ألتي قالها همفر لمحمد حين ودّعهُ بالقول: "إنّا إسترجعنا إسبانيا من آلكفار – يقصد ألمسلمين – بالخمر و آلبغاء, فلنحاول أنْ نسترجع سائر بلادنا بهاتين ألقوتين ألعظيمتين".
لقد جنّد "همفر" ألذّي تلبّس بالأسلام ألشيخ محمد في محلّ ألسيد عبد آلرضا ألخراساني ألذي كان مُلتقىً لأصدقائه ألناقمين على آلعثمانيين! و ناسبتْ تلك آلأجواء أهواء محمد, و لم يكن له شأنٌ بحكومة فارس, و لم يتعصّب ضد آلشيعة رغم كونهِ سُنّياً, و لم يتّبع أيّ مذهب من "آلمذاهب ألأربعة" لإعتقاده بأنها ما أنزل آلله بها منْ سلطان, و إدعى فهمه للقرآن و آلسنة, و طعن بآراء جميع ألمشايخ حتى آراء أبي بكر و عمر, إذ فهم من الكتاب على خلاف ما فهموه, و كان يقول: "إنّ آلرسول(ص) قال: إني مُخلّفٌ فيكم ألكتاب و آلسنة, و لم يقل إني مُخلّفٌ فيكم ألكتاب و آلسنة و آلصحابة و آلمذاهب".
يقول همفر(نقلاً عن ألوثائق ألتي جاءت في مذكرات ألمستر همفر ألجاسوس ألبريطاني في آلبلاد ألعربية/ألوثائق موجودة في آلطابق ألثاني في ألمكتبة ألمركزية بلندن – بريطانيا): "لقد رأيت ضالتي في هذا ألأنسان ألذي عليّ إعدادهُ للقيام بمهمة كبرى يتلخص في إعداد دين جديد مقابل ألدين ألأسلامي ألأصيل, ليكون هذا آلعمل بمثابة سقيفة جديدة أضيفت لتأريخ ألأسلام!
لقد بدأ مستر همفر ألذي كان يتقن عدة لغات(إنكليزية؛ عربية؛ فارسية؛ تركية) بالنفخ في محمد بإستمرار, و يُبَيّن لهُ أنّهُ أكثر موهبةً من جميع آلصحابة, و إنّ آلرسول(ص) لو كن حاضراً لإختارك خليفةً له) و كنت أقول له دائماً:(آمل من تجديد آلأسلام على يدك فأنك آلمنقذ آلوحيد ألذي يرجى به إنتشال آلأسلام من هذه آلسقطة), و كان محمد يسترسل في قبول آرائي خصوصاً في تفسير آلقرآن, ليظهر نفسه بمظهر آلمتحرر و ليجلب ثقتي أكثر فاكثر.
قلت له ذات مرّة: (ألجهاد غير واجب), قال: و كيف و قد قال آلله تعالى: (جاهد الكفار)؟ قلتُ: إن آلله يقول: (جاهد آلكفار و آلمنافقين), و إذا كان آلجهاد واجباً فلماذا لم يجاهد آلرسول ألمنافقين؟ قال: جاهدهم ألرسول بلسانهِ, قلتُ: إذاً فجهاد آلكفار أيضاً واجب باللسان, قال: لكن آلرسول حارب آلكفار, قلتُ: حرب آلرسول كان دفاعاً عن آلنفس, من حيث أن الكفار أرادوا قتل آلرسول فدفعهم, فهزّ محمد رأسهُ علامةٌ للرضا. و قلتُ له ذات مرّة(مُتعة آلنساء جائزة), قال: كلا, قلتُ فالله يقول: (فما إستمتعتم به فإتوهنّ أجورهنّ), قال: (عمر حرّم آلمتعة بقولهِ: متعتان كانتا على عهد رسول آلله و أنا أحرمهما و أُعاقب عليهما؛ متعة النساء و متعة الحج), قلت: أنت تقول أنا أعلم من عمر فلماذا تتّبع عمر, خصوصاً و إنّ عمر نفسه قال: إنّه حرّمهما و إن آلرسول حلّلهما فلماذا تترك رأي آلقرآن و آلرسول و تأخذ برأي عمر؟ فسكت, و لمّا وجدتُ سكوتهُ دليل آلأقناع, و قد أثّرت فيه آلغريزة آلجنسية, و لم يكن في وقتها متزوجاً, قلت له: أ لا تتمتع أنا و أنت معها؟ فهزّ رأسهُ .. علامة على آلرضا, و إغتنمتُ آلفرصة و قرّرتُ آلأتيان بإمرأة يتمتع بها, وكان هميّ كسر طوق الخوف من مخالفة الناس, و بالفعل زوجته إحدى المسيحيات آللواتي كنّ مُجنّدات من قبل وزارة المستعمرات لأفساد آلشباب ألمسلم, و نقلتُ لها كامل القصة, وجعلتُ لها إسم صفيّه! بعدها جرى حواراً طويلاً معه حول عدم تحريم الخمر, و قلتُ له أخيراً: لقد صحّ أنّ معاوية و يزيد و خلفاء بني أميّة و بني آلعباس كانوا يتعاطون الخمر, فهل من آلممكن أنْ يكون كلّ أولئك على ضلال و أنتَ على صواب؟ إنهم بلا شك كانوا أفهم لكتاب آلله و سنة رسولهِ ممّا يدُلّ على إنهم لم يفهموا التحريم و إنما فهموا الكراهة و آلأعافة!
و في آلأسفار المقدسة لليهود وآلنصارى .. إباحة آلخمر,فهل يعقل أنْ يكون آلخمر حراماً في دين و حلالاً في دين؟ و آلأديان كلّها من إله واحد! ثمّ إنّ آلرواة رووا أنّ عمراً شرب آلخمر حتى نزلت آلآية؛ (فهل أنتم منتهون), و لو كانت آلخمرة حراماً لعاقبهُ الرسول, فعدم عقاب الرسول دليل الحلية.
كان محمد يسمعني بكلّ قلبه, ثمّ تنهد و قال: ثبت في بعض الأخبار أنّ عمر كان يكسر آلخمر بالماء و يشربها, و يقول إنّ سكرها حرام .. لا , لا إذا لم تكن تُسكر. ثم أردف قائلاً: (و كان عمر صحيح آلفهم في ذلك), لأنّ آلقرآن يقول: (إنما يُريد آلشيطان ليوقع بينكم آلعداوة و آلبغضاء في آلخمر و آلميسر و يصدكم عن ذكر آلله و عن الصلاة), فإذا لم تسكر آلخمر, و لم تفعل هذه الأمور ألتي ذكرت في آلآية فلا نهي عن الخمر إذا لم تكن مسكرة.
أخبرتُ "صفية" بما جرى, و اكدتُ عليها أن تسقي الشيخ في هذه آلمرة خمرةً مغلّظة, ففعلت و أخبرتني بعد ذلك أنّ آلشيخ شرب حتى الثمالة و عربد و جامعها عدّة مرّات في ليلتها, و قد رأيتُ آثار النحول و الضعف عليه غداة تلك الليلة, و هكذا إستولينا على الشيخ إستيلاءاً كاملاً! بل وصل الأمر معه بترك إقامة صلاة الصبح في أكثر الأحيان, حتى بدا لا يهتم بأمر الصلاة, حيث كنت أسهر معهُ حتى منتصف آلليل لأنهاك قواهُ عند الصباح فلا يقوم للصلاة, يقول ألمستر همفر: و هكذا سحبتُ رداء الأيمان عن الشيخ, و اردتُ ذات مرّة أن أناقش محمد حول الرسول(ص) لكنه صمد في وجهي صموداً كبيراً, وقال لي: إن تكلمت بعد هذا عن الموضوع قطعت علاقتي بك! و خشيتُ أن ينهار كل ما بنيتهُ, لذلك أحجمتُ عن الكلام حول آلرسول.
لكنّي أخذتُ في إذكاء روحهُ ليتّخذ طريقاً ثالثاً لنفسهِ غير آلسنة و غير آلشيعة, و كان يستجيبُ لهذا ألأيحاء كلّ إستجابة, لأنهُ كانَ يملأ غرورهُ و تحرّرهُ و ظهوره بين آلناس, و كنتُ أتبعه في كلّ سفرٍ و حظر, و أهتمّ لأن تأتي آلشجرة آلتي غرستها أكلها, بعدما صرفتُ لأجلها أثمنُ أوقات شبابي.
بعد هذا ألأعداد آلرهيب, أظهر محمد عبد آلوهاب دعوتهُ سنة(1143هـ, 1727م) و جمع لهُ أنصاراً لا بأس بهم, و أظهر الدعوة بكلماتٍ مبهمة, و ألفاظٌ مجملةٌ لخواصّهِ, و بدأ يُوسّع رقعة آلدعوة, و تجمّع حوله عصابة شديدة آلمراس, زوّدناهم بالمال, و كنتُ أشدّ عزيمتهم كلّ ما أصابهم خور من أجل مهاجمة أعدائهِ, فأحياناً كان يُريد آلتراجع لكثرة أعدائهِ و ضغط آلشائعات ضده, لكني كنتُ أشدّ من عزيمتهِ, و أقولُ لهُ: (إنّ محمد آلنبيّ رآى أكثر من ذلك في سبيل دعوتهِ, و أنّ هذا هو طريق آلمجد, و كلّ مُصلِح لا بُدّ و أنْ يتلقى ألعَنَتَ و آلإرهاق.
بعد سنوات من العمل معه و بتوجيه خاص من قبل سكرتير وزير آلمستعمرات آلبريطانية, حيث أرسلت لي آلوزارة رسولاً يُبيّن ضرورة آلتعاون بينَ(ألمُحَمّدَيْنْ)؛ فمن مُحَمد عبد آلوهاب .. آلدّين, و منْ مُحَمد بنْ سعود .. ألسلطة, ليستولوا على قلوب آلناس و أجسادهم, فالتأريخ أثبت أنّ آلحكومات ألدينية أكثر دواماً و أشدّ نفوذاً و أرهبُ جانباً!
لذلك إتّخَذنا و آلكلام لـ (مستر همفر) كما جاء في مذكراتهِ؛ (ألدرعيّة) عاصمة للحكم و (آلدين ألجديد), و آلوزارة كانت تُزوّد آلحكومة ألجديدة سِرّاً بالمال آلكافي و آلسّلاح, و كانت ألحكومة قد إشتَرَتْ عدداً من آلعبيد صاروا منْ خيرة ضباط آلوزارة ألذين تعَلّموا آللغة آلعربية و آلحروب آلصحراوية,فكنتُ و إياهم(عددهم أحد عشر) نتعاون بوضع آلخطط ألللازمة لتحقيق ذلك آلمشروع ألكبير!

كان (ألمُحَمَدان) يسيران على ما نضع لهما من آلخطط, و قد تزوّجنا جميعاً من بنات آلعشائر آلعربية, و أُعجبنا بإخلاص ألمرأة آلمسلمة لزوجها. و قد ساعدني في إنجاح مهمتي ما وجدتهُ في كتاب:(كيف نُحَطّم آلأسلام؟) و كانَ أفضل برنامج لعملي في آلمستقبل, مع مجموعة مدربة وصلت عددها إلى خمسة آلاف عضو في ذلك آلوقت, و كانت ألوزارة تريد إيصال آلعدد إلى مائة ألف, حيثُ كانت تعتقد بأنّ تجنيد مثل ذلك العدد يحقق إستيلائنا على بلاد آلمسلمين كافةً, و نكون بذلك قد نسفنا آلأسلام و بلادهُ نسفاً كاملاً, و قد قال له سكرتير ألوزارة كما جاء في مذكرات همفر ص74؛ إني أُبشرك بأنّ أقصى مدّة تحتاجها آلوزارة لتكميل هذه آلخطة قرنٍ من آلزمان, و إنّ أبنائنا سيرون ذلك بأمّ أعينهم, إن حكومتنا تفكر .. بعد ما رأتْ عدم جدوى الحروب الصليبية, كما إنّ
آلمغول لم يقدروا في قلع جذور آلأسلام لأن عملهم كان إرتجالياً بدون حكمة و تخطيط و يعتمدون على القوة العسكرية, لذا فأنهم إنحسروا بسرعة – لكلّ ذلك فأننا نفكر بهدم آلأسلام من داخلهِ عبر خطةٍ مدروسة دقيقة و بصبرٍ طويل و نهائي, و قد نحتاج للحسم آلعسكري أخيراً لا اكثر, لكنه يأتي في آلمرحلة آلأخيرة, حيث نكون قد أنهكنا بلاد آلأسلام بعد ما ضربنا جذورهُ بالمعاول في كل جوانبه, و قد فتحوا آلمدارس لتربية أولادهم, و أسسوا حتى آلكنائس في أوساطهم, و نشروا بينهم آلخمر و آلقمار, و شككوا شبابهم في دينهم, و أثاروا آلنزعات بينهم, و ملؤوا بيوت كبارهم بالحسناوات ألمسيحيات, حتى ضعفت شوكتهم و قلّ تديّنهم و وهنت وحدتهم و ألفتهم, فسهل السيطرة عليهم.
كما ضمّت تلك آلوثائق أخطر وثيقة مكونة من خمسين صفحة, تتعرض للخطط آلرامية إلى تحطيم آلأسلام و آلمسلمين خلال قرن واحد, حتى يكون آلأسلام خبراً بعدَ حقيقة, و آلوثيقة كانت موجهة إلى آلرؤساء ألعاملين في حقل آلوزارة, لأجل هذا الشأن, و كانت مركّبة من 14 بنداً, و حذّرت من إفشائها لكيلا يطّلع عليها آلمسلمون؛ يرجى للذي يهمّه مراجعة ذلك حيث طُبعتْ تلك آلوثائق تحت إسمٍ مستعار, و عنوان الكتيب هو " مذكرات ألمستر همفر "للدكتور ج . خ.
لقد كانت تلك آلبنود مشروحة شرحاً وافياً, و مزوّدة بالخرائط و آلصور و آلأشكال. كما إنّ آلوزارة أكدّت للمستر همفر بأنها حصلت على مختلف آلتقارير آلواردة إليه من آلعملاء .. مفادها؛ أنّ آلشيخ محمد عبد آلوهاب هو أفضل شخصٍ يمكن آلأعتماد عليه ليكون مطيّةً لمآرب آلوزارة. ثم قال سكرتير آلوزارة: لقد تكلّمنا مع آلشيخ عن طريق عملائنا بصراحة, و قبلَ آلشيخ ألعرض, على شرط آلحفاظ عليه من كيد آلحكومات و آلعلماء ألذين لا بُدّ و أنْ يُهاجموه بكافة آلسبل حينما يعلن للملأ آراءهُ و أفكارهُ, و أنْ يُزوّدوهُ بالمال آلكافي و آلسلاح أللازم إذا إقتضى آلأمر ذلك, و أنْ نجعل له إمارة و لو صغيرة في أطراف بلاد (نجد) أي آلسعودية ألحالية, و قد قبلتْ آلوزارة كلّ ذلك, و فرِحَتْ لذلك آلنبأ, و قلت للسكرتير عندما كنتُ متواجداً في لندن: فما هو آلعمل آلآن؟ و بماذا أكلف آلشيخ؟ و من أين ابدأ؟ قال آلسكرتير: لقد وضعت آلوزارة خطة سداسية محكمة و دقيقة و هي: أولاً؛ تكفير كلّ آلمسلمين و إباحة دمائهم و سلب أموالهم و هتك أعراضهم و بيعهم في أسواق آلنخاسة, و حلّية جعلهم عبيداً و نسائهم جواري. ثانياً: هدم آلكعبة بذريعة أنها آثار وثنية إنْ أمكنْ, و منع آلناس عن آلحج, و إغراء آلقبائل بسلب آلحجاج و قتلهم. ثالثاً: ألسعي لخلع طاعة آلخليفة, و آلأغراء لمحاربته و تجهيز آلجيوش لذلك, و محاربة أشراف آلحجاز بكل آلوسائل آلممكنة, و التقليل من نفوذهم. رابعاً: هدم آلقباب و آلأضرحة و آلأماكن ألمقدسة عند آلمسلمين في مكة و آلمدينة و سائر آلبلاد آلاسلامية آلممكنة, بدعوى أنها وثنية و شرك بالله و إستهانة بشخصية آلنبيّ(ص) و خلفائهُ و رجال الأسلام. خامساً: نشر آلفوضى و آلارهاب في آلبلاد حسب آلأمكان. سادساً: نشر قرآن فيه آلتعديل ألذي ثبتَ في آلأحاديث من زيادة و نقيصة. ثمّ قال السكرتير في ختام اللقاء؛ لا يهولنك هذا آلبرنامج آلضخم, فالواجب أنْ نُبذِر آلبذرة و آلأجيال آللاحقة ستكمل آلمسيرة, و حكومة بريطانيا إعتادتْ على النفس آلطويل, و السير خطوة .. خطوة. للمزيد من آلتفاصيل: راجع كتاب ؛" مذكرات مستر همفر – ألجاسوس آلبريطاني في آلبلاد آلعربية. د. ج . خ(إسم مختصر لمترجم آلوثائق ألتي جاءت في (مذكرات همفر), و لم يذكر إسم آلمطبعة أيضا.

ألسّياسة و آلأخلاق .. مَنْ يَحْكمُ مَنْ!؟ ألقسم ألخامس
ولاية الفقيه في آلعراق بين ضرورات ألواقع ومانعة آلمُغرضين:

قال ألأمام ألفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس): [ولاية ألفقيه؛ هي آلنّيابة ألشّرعيّة ألعامّة للأمام ألمعصوم(ع)](1).

و قد أجمع ألفلاسفة آلأسلاميّون و آلفقهاء ألكبار و آلمُفكرين منذ بدء عصر ألغيبة ألكبرى بأنّ ألحكم و آلقضاء لا بُدّ و أنْ يكون بيد ألفقيه ألعادل في بلاد المسلمين على الأقل .. كشيخ ألطائفة و آلعلامة ألحلي و آلمولى ألنّراقي و صاحب ألجواهر و آلشّيخ فضل الله ألنّوري و آلسّيد ألخوئي و آلأمام آلخميني و آلفيلسوف مطهّري و آلعلامة ألطباطبائي و آلفيلسوف محمد باقر ألصدر و آية الله ألكوراني و آلشّيخ آلآصفي و آلفقيه ألفيلسوف محمود ألهاشمي و آلسّيد ألحائري و آية الله محمّد باقر ألحكيم و آلسيد ألسّيستاني(2) و غيرهم من مفكري و علماء الأمة.

و في إطار الدولة الأسلاميّة وحدها تتكامل إنسانية الأنسان و يتمّ تحقيق مكارم الأخلاق, و قد قال الرّسول(ص) إنّما بُعثتُ لأُتَمّم مكارم الأخلاق!
و هل تُعرف الشعوب إلّا بمقياس ألأخلاق, و قد أبْدَعَ أمير ألشّعراء بآلقول:
إنّما آلأممُ ألأخلاق ما بقيتْ .. إنْ هم ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

و إتفق جميع الفقهاء البارزين ألمخلصين على وجوب إقامة الدولة الأسلامية كونها فرضٌ على آلفقيه ألعادل ألقادر على ذلك لو تهيأت الفرصة و آلظروف ألمُناسبة لأقامتها, فبدونها تضيع آلصلاة و آلصوم و آلتوحيد و آلمعروف و آلحقوق و القيم و الأخلاق الفاضلة فيما لو تُركت الأمور بأيدي السياسيين الوضعين الذين لا يؤمنون بآلقيم و المثل و الأخلاق و التواضع, و لم يختلف في ذلك أي فقيه مخلص واع لحقيقة و روح الأسلام سواءاً من آلمتقدمين او ألمتأخرين, ربّما كان الخلاف من بعض ألآحاد في مساحة الولاية – و هي إستثناآت – في مدى و مستوى ولاية ألفقيه في آلأمة, و لم يختلفوا في أصل إقامتها, و السؤآل ألمطروح أليوم هو:

من هو المرشح لهذا المنصب الالهي ألمصيري ألحساس في عراق المآسي أليوم و في الدول العربية المغلوبة على أمرها بسبب فساد ألحكام و الوهّابية ألسّلفية ألتكفيريّة!؟

بلا شك لا يختلف عاقلان مخلصان لله و لرسوله و للأئمة خصوصاً في أوساط ألرّساليين؛
بأنّ ألسّيد محمود ألهاشمي ألشاهرودي(3) هو آلمرشح بلا منافس لهذا آلمقام ألشّريف ألرّفيع لأسباب أهمّها:

لقد بيّنا تفصيلاً في آلمباحث ألسّابقة و كذلك في كتابنا"مستقبلنا بين الدّين و الدّيمقراطيّة"؛ مواصفات الفقيه التي بينها الأمام ألمعصوم(ع) كي يكون معروفاً و متميّزاً و قادراً و مؤهّلاً لأدارة و توجيه (ألحوادث ألواقعة) ثم صياغتها و تفعيلها طبق المنهج الاسلامي و قواعد و أصول الأستنباط ألأربعة لتتحقق مرضاة الله تعالى عن طريق هداية الأمة, و إجراء ذلك يتطلّب وجود فقيه واحد من بين مجموع آلفقهاء يتصدى لذلك, و كما هو و اضح في عبارة؛(من كان من الفقهاء...) و ليس جميع الفقهاء, و تلك المواصفات تنطبق على السّيد محمود ألهاشمي كما سيأتي بيانه إن شاء الله لزعامة العراق!

خصوصاً بعد ما تبدّدتْ كاريزما ألمرجعية ألشيعية ألتقليدية بشكلٍ واضح لعدم تبنيها عملياً لمسألة الحكم و القضاء كنيابة عامّة عن الأمام الحجة(عج) بين آلناس.

إعتماداً على ما أوردناه آنفاً؛ فقد تشوّهت صورة المرجعية الشيعية التقليدية لدى ألرأي العام و حتّى بين ألأكثرية الشيعة وعموم أهل السنة, و لعلّ فتحها الأبواب على مصراعيها منذ 2003م خصوصاً؛ لتدخل ألسياسة ألأستكبارية في ردهاتها و غرفها بقوّة و بحسابات دقيقة و بتوجيه من الشيطان الأكبر(أمريكا) .. بمعنى حالة الغزو ألمُبطن لتلك المرجعية ألتي كانتْ بإمكانها أن تدخل هي و بقوة ردهاتها و غرفها و مؤسساتها و بكل ثقلها لتُجري عملية التغيير و آلتأثير من جانبها و ليس العكس كما حدث, و حين إنتبهت تلك المرجعية لذلك .. لكن بعد فوات الأوان؛ إنسحبتْ بحياء لتُغلق أبوابها من جديد بوجه كلّ آلسّياسيين – إسلاميين و علمانيين - لتضع طوق الموت الاصفر بإرادتها هذه المرّة حول رقبتها و لتدخل في غيبوبة القرون الغابرة مرّة أخرى بلا رجعة, لتستقر كما كانت من جديد .. على وضعها ألمُتراخي ألهادئ ألبعيد عن(الحوادث

الواقعة) و ألخالي من آلمشاكل و آلمسؤوليات الحقيقية التي كان من المفترض أن تتحملها تلك المرجعية ألعتيدة ألّتي تتصدى لهذا الموقع الألهي ألمقدس(4).

و بعد ما تشقّقتْ وحدة الشيعة و المسلمين في العراق, تَيَقّن ألكثير من آلواعيين و آلمثقّفين العراقيين بأنّ هناك خطة متقنة تمتد خيوطها خارج أروقة الحوزة النّجفية .. ألهدف منها تجهيل ألشّيعة و سلخهم عن ثقافتهم ألحسينية و إبعادهم عن الثورة الاسلامية و بالتالي عن ألنيابة الحقّة للولي الفقيه الذي ينوب عن ألأمام المعصوم (عج) بحق, تلك الأستراتيجية التي توضّحت ملامحها بوضوح حين هجم النظام البعثي الجاهلي على الجمهورية الاسلامية بإيعاز من الصّهاينة و آلمستكبرين و الذي دلّل بوضوح على وجود مُخطط إستكباري جديد .. قديم بدأ آلعمل به بكثافة بعد إنتصار الثورة الأسلامية في إيران عام1979م, و قد حَصَلتُ في وقتها على بيان كان قد صدر من بعض ألدّعاة الأصدقاء في لندن بعنوان"هاتف ألحق", يُحذّر ألمسلمين من مخطط خبيث أعدّتهُ المخابرات ألأنكلو أمريكية و بتنسيق مع وزارة الخارجية ألبريطانية عبر سفارتها بطهران للأتصال بمجموعة من المراجع التقليديّن و المعارضين العلمانيين في إيران كآية الله السيد صادق الروحاني و شريعتمداري وعلي طهراني و تلامذتهم للخروج من إيران و الألتحاق بحوزة و مرجعية النجف لتشكيل جبهة مواجهة لخط (ولاية الفقيه) ألتي قادت الثورة الاسلامية و تزعّمت العالم الاسلامي و وقفت بوجه المصالح الأستكبارية, و قد تيقّنتُ من ذلك بعد آلحوار ألصريح الذي جرى بيني و بين أحد أبناء ألسّيد ألخوئي(رحمه الله) في المدينة المنورة عام 1984م أثناء سفري للحج, حين تهجم على الدولة الأسلامية بعنف و ألقى بآللائمة على قيادة آلثورة؛ كونها – أي القيادة الأسلامية - لا تريد إيقاف الحرب ألعراقية - ألأيرانية و إن الوضع ألأقتصادي في إيران متدهور و إن تفكك ألوضع الشيعي يرجع إلى سياسة إيران, لكنّي و من دون جميع الذين حضروا في مجلسنا من أعضاء (ألمجلس الأعلى و الحركات الأسلامية العراقية المعارضة) – من دونهم جميعاً واجهته و دحضت مزاعمه الباطلة, و قلتُ لهُ: هل أنت مُوفد حقّاً من قبل المرجعية في النجف!؟ إنّ أمرك لمُريب لأنّ ما تقوله يا سيدنا يصبّ في خدمة الأستكبار و نظام صدام ألّذي قتل المؤمنين و بدأ الحرب و آلهجوم على الثورة الأسلامية, و عليك يا سيدنا أن تُراجع أفكارك و معتقداتك و تُبلّغ مرجعيتك(والدك) بذلك, فأنا في شكّ من دينك و مذهبك! و للأسف بَدَلَ أن يناصرني إخواني ألحاضرين من الدعاة في وقتها كآلأديب و الجعفري و الشوكي(رحمه الله) و أبو نور و غيرهم؛ لكنهم سكتوا! بل وقفوا ضدّي, حتّى همس أحدهم في أذني قائلاً لي بلا حياء: (لقد حَرَمْتَ نفسك من آلعطاء بهذا الموقف) إلتفتُ إليه و قلت: أي عطاء تقصد؟

قال إن الأخوة سيستلمون مبالغ مالية من أموال الخمس و الزكاة و العطايا من قبل ألمرجعية التي يمثلها هذا آلسيد ألذي دحضت آراءه!
لكنّي قلت له: إن هذه الأموال حرام و مُحرّم على كلّ مسلم و مسلمة و لعن الله من يتعامل بها!
إنّها قوت و دماء الفقراء الشيعة المظلومون, و يا ليتني أستطع وضع حدّ لهذه المأساة!؟
و عند إنتهاء اللقاء و خروجنا من القاعة, قال لي ألسّيد(...) ما لك و هذا آلكلام!؟
قلتُ له على الفور:[يا سيدنا ما هكذا الظن بك .. و آلسّاكت عن الحقّ شيطان أخرس].
و منذ ذلك آلحين تيقّنتُ بأنّ مصير شيعة العراق في خطر .. إنْ لم ينتخبوا ولاية المرجعية الصالحة ليسيروا على خط الرسالة الالهية من خلال من يُمثل هذا الخط بصدقٍ و إخلاص, ذلك الخط ألأصيل ألذي لا يُمثله سوى تلامذة الفيلسوف الفقيه محمد باقر الصدر(قدس) ألذي ضحى بدمه في سبيل الأسلام و المسلمين تحت ظل ولاية الفقيه .. و أبرزهم ألسيد الفقيه آية الله محمود الهاشمي, و أن التوطن على هذه المرجعية يُعدُّ وفاءاً لذلك آلشّهيد ألشّاهد ألمظلوم.

فمن هو السيد محمود الهاشمي ألشاهرودي؟
و هل غيره من يستطيع قيادة العراق إلى سواحل الأمن و السلام و آلرّفاه؟
ما هي مؤلفاته؟
و مؤهلاته؟
و تأريخــه؟
و مواقفــه؟
ولادته: ولد السيد محمود الهاشمي في شهر ذي القعدة عام 1367هـ ألموافق لسنة1948م في آلعراق في مدينة النّجف الأشرف, في بيت العلم و الفقاهة.
نسبهُ:
يرجع إلى الأمام الحسين(ع) و بذلك يكون اصله عربياً من سلالة بني هاشم, و بسبب آلظلم الذي لحق بأجداده الطاهرين من الحاكمين .. لذلك هاجروا من مواطنهم إلى بلدان أخرى للتّخلص من بطش ألسّلطات ألأموية و العباسية حيث إستقر المقام

بأجداده في أرض فارس, و قد سافر جدّهُ ألسيد عليّ ألأكبر ألهاشمي ألشاهرودي من مدينة شاهرود إلى العراق و سكن في مدينة كربلاء المقدسة بجوار مرقد آلأمام الحسين(ع), و كان بيتهُ ملتقى للعلم و العلماء و مقرّاً للزّوار و العلماء, أمّا أبوه آية الله السيد عليّ الحسيني ألشاهرودي فقد حصل على درجة الأجتهاد بإمتياز من آلحوزة العلمية في النجف, و كان أوّل من كتب تقريرات في البحوث الفقهية و الاصولية على دروس الفقه والاصول لآية الله السيد الخوئي(رحمه), و طُبعتْ بعنوان: [دراسات في علم الأصول], و كذلك: [محاضرات في الفقه الجعفري], و قد مدح السيد الخوئي والد السيد محمود الهاشمي الشاهرودي بعد وفاته عام 1974م بآلقول:

[لقد بحث و قرّرَ بإسلوب فنّي و علميّ و بدقة عالية و بعمق جميع المسائل الفقهية .. و كان مرشحاً لنيل القيادة المرجعية في النّجف لولا وفاته في سنّ ألشباب للأسف ألشديد.

و الدتهُ كانت إبنة ألمرحوم آية الله ألسيد ألحاج عليّ ألمددي ألموسوي ألنائيني من أكابر علماء خراسان, حيث تتلمذ في ألحوزة الدينية في خراسان ثم التحق بحوزة النّجف و حصل على درجة الأجتهاد من قبل ألمرحوم ألميرزا الشيرازي, ثم اصبح يشرف على الدراسة الحوزوية في خراسان بعد تركه للنجف, و في زيارته الأخيرة للعراق وافاه الأجل في مدينة النّجف الأشرف و دُفن في صحن الأمام عليّ(ع).

صفاته:

أهم آلصّفات ألبارزة في شخصيته؛ هي قدرة ألأستلهام و آلأبتكار من أفكار أساتذته الكبار أمثال ألأمام ألخميني(قدس) و الأمام الفيلسوف محمد باقر ألصدر(قدي), حيث كان يضفي للمباحث و الدروس التي يكتسبها منهما ابعاداً جديدة و رؤى متطورة تتناسب مع الزّمان و المكان بإتجاه خدمة ألقضية الأسلامية و الدولة الأسلامية المباركة, و كان من أبرز تلامذه الأمام الخميني(قدس) و الشهيد الفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس), و كان يحضى بعناية خاصة من قبلهم.

من أهم ألملاحظات البارزة في علمية آلسيد محمود الشاهرودي؛ هي أنّ الشهيد الفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس) كان دقيقاً و حريصاً في مسألة إعطاء درجة الأجتهاد لطلابه, و يُذكر أنّه لم يعطي درجة الأجتهاد رسمياً و كتابياً إلى للسيد محمود الهاشمي الشاهرودي(5), ليكون الوحيد الذي حصل على درجة الأجتهاد على يد الأمام محمد باقر الصدر(قدس) عام 1397هـ, و كان في سن ألسادسة و العشرين من العمر, ليكون ثاني شخصية علمية في تأريخ الحوزة النجفية بعد أستاذه يحصل على درجة الأجتهاد!

نشاطه السياسي:

لم ينتمي السيد محمود الهاشمي لاية حركة إسلامية, لكنه لم يكن بعيداً عنها, و بسبب علاقته مع الأمام الفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس) و لأنه كان يشرف على توجيه الدعاة فقد كان السيد الهاشمي على علم بكل تفاصيل التحرك الأسلامي في العراق, و كان ألذراع الأيمن للأمام الشهيد الصدر الأول, حيث كان يكلفه بمهام كثيرة, و أصبح عضواً في ألقيادة النائبة التي شكلها الأمام الصدر الأول عام1979م, لذلك تعرض للاعتقال و الملاحقة من قبل النظام البعثي البائد.

قبل إنتصار الثورة الأسلامية في إيران .. هجم النظام البعثي الجاهلي عام 1974م على الحوزة العلمية في النجف و إعتقل الكثير من العلماء الأيرانيين الذين كانوا يحضرون حلقات البحث الخارج للأمام الشهيد الصدر(قدس) بحجّة آلتبعية الأيرانية, و كان السيد محمود الهاشمي من الذين تمّ إعتقالهم انذاك, و تعرّض للتعذيب الجسدي و الرّوحي من قبل جلاوزة البعث الجاهل, و بعد توسط المرجعية التقليدية لدى السلطات البعثية في وقتها تمّ إطلاق سراحه.

عند إنتصار الثورة الأسلامية عام1979م , خرجت مظاهرات عديدة في أنحاء العراق و بغداد تأييداً لتلك الثورة خصوصاً في النجف الأشرف, و قد صدر أمر إلقاء القبض على السيد محمود الهاشمي الشاهرودي من قبل سلطات الأمن العراقية, لكن بسبب لجوئه إلى إيران بأمر من الفقيه الفيلسوف ألأمام الصدر الأول ليكون ممثلاً عنه لدى الأمام الخميني فقد ألقى النظام البعثي القبض على ثلاثة من أخوته(ألشهيد السيد هادي الهاشمي, ألشهيد ألسّيد محسن الهاشمي, و آلشّهيد ألسّيد مصطفى الهاشمي), و تمّ إعدامهم من قبل سلطات البعث المنحط بدلاً عن السيد محمود الهاشمي.

حال وصول السيد إلى الجمهورية الأسلامية إتصل بآلأمام الخميني(قدس) ألذي كلّفه للتنسيق بين قيادة الثورة الاسلامية و القوات المعارضة للنظام البعثي في خارج العراق و داخله, و قد قدّم الكثير في هذا المجال بدون كلل أو ملل, و بأمر من الأمام الخميني و بآلتنسيق مع آية الله السيد الخامنئي تسلم السيد محمود الهاشمي ألشاهرودي قيادة حركات التحرر الأسلامية و حركة العلماء المجاهدين و المجلس الأعلى العراقي لثلاث دورات متتالية.

من وصايا الأمام الخميني للسيد محمود الهاشمي الشاهرودي:

يعود معرفة الأمام الخميني بآلسيد الهاشمي الشاهرودي منذ وجود الأمام الخميني في العراق خلال سني الستينات و السبعينات, لذلك كانت معرفة الأمام الخميني بهذه الشخصية العبقرية دقيقة.

حيث قال الأمام الخميني(قدس) للسيد محمود الهاشمي حين لقائه و أعضاء المجلس الأعلى العراقي في بداية الثمانينات من القرن الماضي قوله:

[عليك بآلتدريس في الحوزة العلمية في قم, خصوصاً في آلمباحث المتعلقة بفقه آلحكومة الأسلامية فهو مقدم على كل آلمباحث الأخرى لأحياء الأسلام عن طريق إستنباط آلأحكام الجوهرية ألمتعلقة بذلك].
و يعتبر السيد الهاشمي الشاهرودي من أوائل المدرسين للبحث الخارج في مدرسة القضاء العالي في قم.
و من أهمّ الكتب الفقهية – ألأصولية ألتي تمّ دراستها في دروس البحث الخارج – للمجتهدين – هي:
- ألحقوق الجزائية في الأسلام (فقه الحدود و التعزيرات).
- كتاب الخمس(مُجلّدين).
- كتاب ألأجارة, ألبيع, ألقضاء, ألشراكة, ألمُساقاة, ألمُزارعة, ألصوم, و غيرها.
- كما إعتمد آلسيد الشاهرودي في بحوثه لطلاب البحث الخارج على تقريرات آلأصول للشهيد الفقيه الفيلسوف الصدر الثاني, حيث طبعت في سبعة مجلدات بعنوان: (بحوث في علم الأصول).

ألنشاطات الفقهية و الثقافية للأمام السيد الهاشمي الشاهرودي:
أقدم على عدّة مشاريع فقهية لكونه كان مجمعاً للعلوم الفقهية العصرية التي كانت حاجة ضرورية لتحكيم الاسلام كنظرية للحكم بدل النظريات الوضعية التي كانت سائدة من قبل, و أهم النشاطات الرئيسية في ذلك:
- إحياءه لمؤتمر علميّ بعنوان؛ دور ألزّمان و المكان في نظرية الأمام الخميني(قدس) في المسائل المستحدثة من قبيل:
ألضمانات ألمالية لهبوط أسعار العُملة.
ألديات ألأربعة.
علم القاضي ألشخصي.
ألمُحارب و المفسد في الأرض.
ألأستقلال في إستيفاء القصاص.
و يعتبر هذا المؤتمر هو آلأول من نوعه في دائرة المعارف الفقهية الأسلامية طبقاً لمذهب اهل البيتْ(ع), بحيث اصبحت البحوث التي تمّت دراستها و عرضها كأساس للحوزة العلمية و الجامعات الأكاديمية.
- مؤتمر البنك ألأسلامي في جدّة, حيث كان مُوفداً من قبل آلأمام الفقيه الفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس) عام1398هـ.ق, بناءاً على الدّعوة التي وجّهت لهم من قبل القائمين على المؤتمر لتقديم ألحلول الشرعية لقضايا البنك الأسلامي اللاربوي, حيث شارك في المؤتمر جمع غفير من علماء و متخصصي الأمة الاسلامية, حيث كان البحث المقدم من قبل السيد ألهاشمي الشاهرودي يتعلق بآلأموال المُودّعة في البنوك الأجنبية و آلحلول الفقهية للفوائد ألعائدة من الأيداعات المالية في تلك البنوك طبقاً لنظرية مذهب أهل البيت(ع).
و قد أُعجب جميع المشاركين بآلحلول الفقهية ألتي أعدّها و عرضها السيد الهاشمي في المؤتمر, و قد شكر رئيس بنك ألتوسعة الأسلامية و كذلك ألعلامة الدكتور مصطفى الزّرقا تلك الجهود المُميّزة التي تمّ إعتمادها في سياسة بنك التوسعة الاسلامية, و من آلجدير بآلذكر بأنّ عمر السيد محمود الهاشمي الشاهرودي لم يكن أنذاك يتجاوز الثلاثين عاماً, و قد تمّ طبع آلبحث ألموسوم في مطابع الدولة ألأسلامية بعد إنتصار الثورة الأسلامية في إيران, و تمّ العمل به أيضاً في المعاملات المصرفية.

تقرير قائد المسلمين ألسّيد ألخامنئي بحقّ الفقيه الفيلسوف محمود الهاشمي ألشاهرودي:
[نظراً للمؤهلات العلمية الواسعة لجنابكم و لكونكم من أبرز العلماء ألعاملين البارزين في آلفقه و العلوم الأسلامية, فقد قرّرنا إيكال مسؤولية تأسيس و إدارة مؤسسة المعارف ألفقهية ألأسلامية].
و بآلفعل أصبحت تلك الدائرة من أهم آلأركان المعرفية لتوجيه و إدارة الدولة الاسلامية طبقاً لمذهب أهل البيت(ع) و بأمر من زعيم المسلمين آية الله السيد الخامنئي, و قد قدّمت "دائرة المعارف الاسلامية" بإشراف آلسيد محمود الهاشمي الشاهرودي عشرات المباحث ألفقهية الفريدة لوزارات و مؤسسات ألدولة الأسلامية و للعالم الاسلامي ككل كمناهج لإدارة المجتمع الأسلامي.
كما بدأت تلك الدائرة المعرفية الواسعة من إصدار مجلّتين بعنوان؛
[فقه أهل البيت(ع)] بآللغتين؛ الفارسية و العربية, و كذلك؛
[ألمنهاج].
و تهتم ألمجلتين بجميع الأمور المستحدثة و المتعلقة بشؤون ألدولة و الأمة الأسلامية.
كما تمّ تعيين آلسيد ألهاشمي الشاهرودي رئيساً لهيئة القضاء الأعلى في الدولة الأسلامية, طبقاً للمادة 157 من دستور الجمهورية الأسلامية بأمر من قائد المسلمين السيد الخامنئي على مدى عشر سنوات, حيث ذيل الأمر الصادر من قبل آلقائد بقوله:

[أنّه من نعم الله ألكبرى علينا أن يتصدى شخصية علمية مجتهدة و عالمة بأمور الزمان و المكان لهذا المنصب الحساس].

ألمسؤوليات العلمية للسيد محمود الشاهرودي(دام ظله).
منذ بداية دخوله للجمهورية الأسلامية بدأ بتدريس آلبحث الخارج, حيث إستمر بذلك على مدى ربع قرن, و كان في آلاثناء يتحمل بآلأضافة لذلك مسؤوليات اخرى منها:
- عضو مجلس الخبراء.
- عضو مجمع تشخيص مصالح البلاد العليا.
- نائب رئيس جمعية أساتذه الحوزة العلمية في قم.
- عضو مجلس شورى الفقهاء في الدولة الأسلامية.
- رئيس سابق لمجلس القضاء الأعلى في الدولة الاسلامية.

أهم مؤلفات آية الله ألهاشمي الشاهرودي:
- بحوث في علم الأصول(سبعة مُجلّدات) و هي ألأصول ألمتعلقة بآلبحث الخارج و التي قررها السيد الشهيد الفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس).
- كتاب الخمس: و هي تقريرات بحوث الخارج التي كان يلقيها على طلابه في المدرسة الفيضية في قم المقدسة(مُجلدين).
- قاعدة الفراغ و التجاوز: تقريرات الفقه لطلاب البحث الخارج
- قرآآت فقهية معاصرة(مجلدين).
- ألأجارة: (مجلدين).
- أضواء و آراء(3 مجلدات).
- منهاج الصالحين(مجلدين).
- مناسك الحج, و هو كتاب يحوي تعليقات السيد الهاشمي على فتاوى الأمام الخميني(قدس).
- مناسك الحج, و تحوي الفتاوى الخاصة المتعلقة بآلسيد الهاشمي الشاهرودي.
- ألتفسير الموضوعي لنهج البلاغة.
- تفسير آية المودة.
- ألحكومة الاسلامية.
- ألاسلام.
- ألصوم تربية و هداية.
- ألأمام علي: عطاء حضاري متواصل.
- مقالات علمية مختلفة نشرت في المجلة الأختصاصية لأهل البيت(ع).
- ألنظرة الكونية.
- مصدر التشريع و نظام الحكم في الأسلام.
- محاضرات في الثورة الحسينية.
- مجموعة ألبيانات(خمسة مجلدات) نشرت في صحيفة العدالة.
- ألحدود و الديات.
- نقد فلسفة الحقوق.
- الاقتصاد الاسلامي.
- شرح كتاب المضاربة, ألمُزارعة, ألمساقات, ألشراكة, بحوث من العروة الوثقى.
- ألبيع.
- ألأحكام العامة للعقود و المُعاملات.
- تعارض الأدلة ألشرعية.
- مجموعة من الكتيبات ألمتوسطة في مجال العقائد و المفاهيم ألأسلامية تحت عنوان(طريق الهدى), كانت تلقى بشكل مُحاضرات في المناسبات المختلفة.

---

(1) يقول ألفقيه ألفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس) أيضاً: [إن إقامة ألدّولة ألأسلامية ليستْ ضرورة شرعيّة فحسب .. بل هي إضافة إلى ذلك ضرورة حضاريّة, لأنّها ألمنهج ألوحيد ألذي يُمكنهُ تفجير طاقات ألأنسان في العالم و ألأرتفاع به إلى مركزه الطبيعي على صعيد ألحضارة ألأنسانية لأنقاذه ممّا يُعانيه من ألوان ألتّشتت و ألتّبعية و الأستغلال], لتفاصيل أكثر, راجع؛ منابع القدرة في الدولة الأسلامية, ص5.

و يستند الأمام على آلأدلة القرآنية بجانب الرّوايات العديدة المتواترة على ولاية الفقيه, حيث يقول: صنف القرآن الكريم ألشهداء – القادة – إلى ثلاث أصنافٍ في الآية التالية:
إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى و نور يحكم بها النبيون ألذين أسلموا للذين هادوا و الرّبانيّون و آلأحبار..."(المائدة44), و من هنا أمكن القول: بأنّ خطّ " ألشهادة(يقصد خط الشهادة على الناس و قيادتهم) يتمثّل:
أوّلاً: بآلأنبياء.
ثانياً: بآلأئمة ألذين يُعدّون إمتداداً رشيداً للنبي و الأمام في خط الشهادة, للمزيد, راجع؛
ألصدر, محمد باقر(1979م).خلافة الانسان و شهادة الأنبياء – سلسة الاسلام يقود الحياة(4), دار التعارف للمطبوعات بيروت – شارع سوريا, ص11, ط2.
ثالثاً: بآلمرجعية ألتي تعدّ إمتداداً رشيداً للنبي و الأمام في خط الشهادة, للمزيد, راجع؛
ألصدر, محمد باقر(1979م). خلافة الأنسان و شهادة الأنبياء – سلسلة الاسلام يقود الحياة(4), دار التعارف للمطبوعاتو بيروت , ص21و 22, ط2.
(2) يعتقد الأمام السيستاني بإقامة الدولة الاسلامية كونها فرض على الفقيه العادل ألقادر على ذلك لو تهيأت الفرصة و الظروف ألمناسبة لاقامتها, فبدونها تضيع الصلاة و الصوم و التوحيد و المعروف و الحقوق, و لم يختلف في ذلك أي فقيه مخلص واع لحقيقة و روح الأسلام سواءاً من المتقدمين او المتأخرين, ربما كان الخلاف في بعض الآحاد – و هي إستثناآت – في مساحة و مستوى ولاية الفقيه في الأمة, و لم يختلفوا في أصل إقامتها كنظام للحكم.
(3) كتبت هذا البحث قبل 20 عاماً, و لهذا قدمت السيد الفقيه محمود الهاشمي كمثال و ممثل عن الصدر الأول لقيادة العراق, لكنه توفى للأسف قبل عامين رحمه الله عليه.
(4) لقد وصل الأنفصال الرّوحي بين سواد الشيعة و تلك المرجعية ذروتها حين داستْ على كرامة الفقراء و طارت فوق جراحهم النازفة إلى لندن, بينما كان العراقييون يئنون من وطأة الفقر و الحرمان و الأمراض و الأحتلال و القصف عام 2004م حيث إستقلت تلك المرجعية طائرة خاصة إلى لندن و هي تتفرج من فوق على المأساة الحقيقية ألتي حلّتْ بآلعراقيين, و لا أدري كيف يمكن وصف هكذا مرجعية بآلدّينية وهي تصرف مئات الآلاف من الدولارات على وعكة صحية كان يمكن علاجها في أي مستشفى في الدول الاسلامية ألمجاورة كإيران بل حتى في العراق نفسه, بينما الأمام الخميني ألذي كان يمتلك إمبراطورية عظيمة و أشرف على الموت و لم يفعل ذلك, كل ما فعله الفريق الطبي الأسلامي المعالج له في وقتها أثناء مرضه هو دعوة طبيب فرنسي لأيران و بدون علم الأمام الراحل الذي كان في غيبوبة في حينها للتأكد من النتائج التي توصل إليها الفريق الطبي الاسلامي لا أكثر!
(5) يقول الأمام الفيلسوف محمد باقر الصدر في وصفه للسيد محمود الهاشمي قوله: [أسأل الله تعالى أن يحفظه ذخراً للشريعة و الأسلام], و في وصف آخر له قال أستاذه الأمام الصدر الأول: [إنّ إبني ألعلامة السيد حجة الأسلام و المسلمين ألسيد محمود ألهاشمي دامت بركاته قد قضى معظم عمره في تحصيل علوم الفقه و الاصول و العلوم الشرعية, و إن الله تعالى أيّده و وفّقه حتّى نال درجة الأجتهاد بإقتدار, و اليوم يعتبر من المجتهدين ألذين يعقد المسلمون عليه الآمال](تصريح الأمام الفيلسوف الصدر بتأريخ 27 ربيع الأول عام1399هـ).

ألسياسة و الأخلاق .. مَنْ يحكم مَنْ!؟ ألقسم السّادس
ألأسلام كنظام حُكم للدولة:

حين يفقد ألمجتمع – أيّ مجتمع - ألحريّة, بسبب سياسة ألقهر و آلفساد و آلأستبداد من قبل ألمُتسلّطين تتعرّض ألمنظومة ألأخلاقيّة - ألرّوحية بشكلٍ طبيعيّ إلى آلتبدّد و آلتّغيير و يتوقف ألأبداع و آلأنتاج و يموت ألوعي لأن جلّ همّ ألمواطن بتلك ألأجواء ينحصر في آلحصول على لقمة ألعيش و آلحاجات ألطبيعيّة بكل وسيلة ممكنة, كآلسّكن وآلغذاء و الأمكانات ألأخرى, و من آلطبيعيّ أن تتعرض كرامته للأهانة على يد ألمحتكرين للسّلطة و آلمال و آلأمكانات الذين تجرّدوا عن القيم الأخلاقية و المثل و التواضع و المحبة ألتي يأمر بها آلدّين وحده فسببوا تلك الأوضاع, و قد تصل آلأمور مع هكذا وضع إلى حدٍ يصعب معه حتى الحصول على لقمة الخبز إلا ببيع ألمواطن لكرامته, خصوصاً في بلادنا و حتّى الدول الغربية ألتي يميل فيها القانون عادةً لمصلحة الأغنياء و أصحاب البنوك و الشركات ألتي لها الحقّ حتى في وضع القوانيّن الخاصة بهم لضمان مصالحهم ومن دون مراعاة حقوق ألعاملين لتتعرض ألمنظومة الأخلاقية كلّها للتغير و التبدل وآلمسخ , و هذا ما حصل في كل دول العالم تقريباً و بوضوح!

و بناءاً على تلك القاعدة و آلتي تُبيّن منشأ آلفساد و آلأنحراف في آلمجتمع ألأنسانيّ و الذي سببه فصل ألسّياسيين للدّين عن وقائع ألحياة و ماهيّة ألقوانين ألوضعية .. بناءاً على هذا؛ نصل إلى نتيجة هامّة حرّي بكل عامل و مثقف وإعلامي في مجال السياسة و الأدارة و الحكم و بكل مفكر و أكاديمي؛ ألتّأمل فيها و إدراك أبعادها, بخصوص تحكيم مبادئ السماء في سنّ الشرائع و القوانين, و بغير ذلك فأنّ المآسي و الحروب و الظلم ستستمر و ستكبر الفجوة بين الغني و الفقير حتّى يعمّ ألفساد في كلّ الأرض و على كل صعيد!

ألمطلوب بشكل أوضح هو (الوقاية خير من العلاج) أي تشريع ما من شأنه منع وقوع الحوادث و الكوارث: و ذلك عبر تحليل مبادئ ألأسلام و فلسفة الأحكام و غاياتها لأستنباط القوانين العادلة منها كدستور, و عدم التوقف كما هو حال معظم – إن لم نقل كل – المسلمين و علمائهم, على شكليات الأحكام و ظواهرها و آلتي تُبين في أفضل الحالات بُعداً واحداً من أحكام الرسالة الأسلاميّة .. هذا النهج ألذي إستمرّ عليه المرجعيّة الدينيّة التقليديّة و لقرون طويلة تصل لأكثر من عشرة قرون, حتّى نأتْ بنفسها جانباً بعد ما تركت ألأمّة تتلوّى في آلامها و مآسيها و جراحها على أيدى الطغاة و طلاب الدنيا من آلحاكمين و السّياسيين وآلأحزاب!

و لأجل تطبيق مبادئ الأسلام التي تنتهي بآلعدالة و الأنصاف و آلرحمة و آلتواضع و حب الخير و محبة الناس و مشاركتهم في كلّ شيئ و ضمان كرامتهم و كما بيّنا؛ يتطلب منّا ألأيمان بولاية الفقيه المتصدي لأمر الأسلام والمسلمين, تلك الولاية التي همّها الأول و الأخير نشر العدالة و المساواة و الحرية و الرفاه بين أبناء المجتمع! لكونها هي الولاية الأمينة على شرع الله لتحقيق مبادئ الأسلام في هذا العصر من خلال الدولة (ألجمهورية) ألأسلامية, لكون الولي الفقيه فَقِهَ جميع أحكام ألأسلام و يُريد تطبيقها من خلال المؤسسات و الوزارات الرسمية المنظمة ألكفوءة, هذا بجانب وجود ممثل عن آلولي الفقيه في تلك المؤسسات و الوزارات للأشراف المباشر على سير القرارات و تنفيذها.

لعلّ آلبعض يتساءَل لماذا كلمة "ألجمهوريّة" سبقتْ "ألأسلامية"؟ و هل يُجيز الأسلام كمنظومة متحركة و متجدّدة بذلك؟ أو أساساً؛ هل طابع الجماهيرية ألمسلمة يعني خروجاً عن ألحاكمية ألأسلامية أم بآلعكس دعماً لتلك آلحاكميّة؟
وآلجواب: هو لا فرق بين مسمى الدولة ألأسلامية أو الجمهورية الأسلامية, و ألأهمّ من ذلك هو ملاحظة مدى تطبيق أحكام الاسلام من خلالها و هوية المتصدين فيها و مستوى معيشتهم و ظاهرهم و دخلهم ألسنوي, أمّا بشأن المصطلحات فإنّنا نعرف بأن كلمة "ألجمهورية" هي نسبةً للجمهور و تجمهر(1) – أي إجتمع القوم - أو الناس ألمتواجدين في مكان مُعيّن من الأرض, و الجمهورية ضد آلحكم ألملكي أو الوراثي أو ولاية العهد , و تعني جمهور (آلناس) أو آلشعب ألذي ينتمي إلى بلدٍ أو أرض مُعيّنة تربطهم معاً روابط إجتماعيّة و دينيّة و تأريخيّة مُشتركة, و لكن دولة آلجماهير عندما تُقَيّدُ بصفةٍ رئيسيةٍ معينةٍ فأنّها تُعَبّرُ عن هويتهم ألأساسية ألبارزة من بين جميع ألأنتماآت و ألصّفات آلأخرى آلتي يتّصف بها شعباً من آلشعوب؛ كالقومية و العرقية و الوطنية و المناطقية, و من هنا نرى إن قوى آلأستكبار ألعالمي حاولت أنْ تُضفي صفة ألدّيمقراطية على آلأقل بجانب ألجمهورية ألأسلامية بُعيد إنتصار الثورة الاسلامية كتجربة جديدة و جهّزت لذلك الكثير من الأموال والأمكانات, لذلك إضطر قائد الثورة و وليّ أمر آلمسلمين إجراء إستفتاءٍ شعبيّ أساسيّ من آلجماهير لتحديد هويّة ألثورة و آلدّولة و من آلبداية, و كان آلخيار واضحاً بين ["نعم" و "لا" للجّمهورية ألأسلاميّة], و لم يكن ذلك آلأستفتاء إلّا

بسبب ضغوط آلقوى و آلتيارات ألتي إرتبطتْ بآلمستكبرين ألّذين كانوا يأملون تغيّير مسار تلك ألثورة و عنوانها بعد أنْ عجزوا على إجهاضها و دحرها!

لقد كان آلتصويت على آلهوية ألأسلامية ألأيرانية ألجديدة بعد إنتصار الثورة بدل ألأمبراطورية و الملكية و الصّفوية كنموذج؛ مرحلةً مصيريّةً و منعطفاً هاماً في مسيرة الشعب الأيراني المسلم, حيث أصدر ألمجلس ألقيادي للثورة بأمرٍ من آلأمام ألخميني(قدس) و رقةً إنتخابيةً تحتوي على مُربّعين:
ألأول: (نعم للجمهورية ألأسلامية) باللّون ألأخضر.
ألثاني: (لا للجمهورية ألأســلامية) باللون ألأحمر.

و كان ألتصويت سرّياً لكلّ منْ بلغ سن ألسادسة عشر, حيث بيّنت نتائج آلتّصويت, إبداء آلناس برأيهم لصالح آلأسلام بنسبة ألغالبية ألعظمى!و قد رفض زعيم ألمسلمين آية آلله آلعظمى ألخميني(قدس) رأي ألمهندس مهدي بازركان(2) و مؤيّديه حول إضافة كلمة ألديمقراطية(ألشورى) إلى عنوان "ألجمهورية ألأسلامية" مُستدلاً برأيه على عدم صلاح و جواز فرض آلآراء على آلناس بحصرهم و توجيههم من خلال خيارين فقط هما (نعم) و (لا)! بل لا بُدّ – حسب رأي تيار بازركان – من فسح ألمجال أمام آلناس ليختاروا ما يُريدون خصوصاً في آلمستقبل ألذي سيختلفُ وضعه كثيراً عمّا نحن عليه آلآن.

لكن آلأمام ألخميني رَفَضَ هذا آلرأي خصوصاً كلمة ألدّيمقراطية(ألشّورى) مُبيّناً؛ بأنّ آلدّيمقراطية و آللّيبرالية و آلوطنية و ما شاكلها, لا تُمثل حقيقة ألأسلام ألمُحمّدي ألأصيل – إشارة إلى إسلام رسول الله و أهل بيته – و إنّ آلدّيمقراطية هي علامة آلغرب ألبارزة من أجل نفوذهم و سيطرة شركاتهم علينا عبر عولمتهم و عنجهيتهم, و خيارنا ألوحيد هو "ألجمهورية ألأسلامية"أو "ألدولة ألأسلامية" لا أكثر و لا أقل(3). و ما إجراء آلأنتخابات ألشرعية في أوقاتها سوى مظاهرةً شعبيّةً أمامَ آلعالم كدعمٍ لحركةِ و هويّة ألثورة و قيادتها .. كيّ لا يَتّهموا ولاية آلفقيه بتُهمٍ رخيصة, أو يستغلّوا آلموقف للتصيّد في آلماء آلعكر.

كما بيّن آلأمام ألذي عاش كفقراء آلأمة متخلّقاً باخلاق الرسول(ص) و وصيه ألأمام علي(ع) حيث لم يترك شيئاً بعد وفاته لعائلته سوى البيت القديم الذي ورثه و أخوته من أبيه رغم إمتلاكه لأمبراطورية عظيمة كإيران؛ لتبقى كبيان صارخ تلك آلعلاقة ألرّوحية و آلمصيريّة بين آلأمة و آلقيادة ألأسلامية, حيث بيّن ذلك في خطابٍ لهُ عام 1979م عُقيب إنتصار ألثورة ألأسلامية على آلشّاه ألمقبور, و هو يُرّغِّب ألشعب ألأيراني ألمسلم من أجل ألتصويت للجمهوريّة ألأسلامية بالقول: [أيّها آلشعب ألأيراني ألمسلم؛ أنتمُ أحرارٌ في إنتخابكم لنوع آلحكومة, و بإمكانكم أنْ تنتخبوا ما تشاؤون من آلأنظمة و آلحكومات, لكنّي أُصوّتُ لصالح حكومة ألأسلام, ففيه خلاصنا من آلظلم و آلتبعية, و به تتحقّق سعادتنا و مُستقبلنا](4).

و جاءت نتائج ألتصويت لصالح آلأسلام بالغالبية ألعظمى 93%, حيث لعب ألأمام ألخميني دوراً قياديّاً بارزاً في إنجاح ألثورة ألإسلامية و صمودها بوجه ألمُخططات ألأستكبارية التي حاولت ألمستحيل لتحريف مسارها, مُستخدمةً كلّ وسائلها آلعسكرية و آلسياسية و آلأقتصادية و آلأمنية؛ إبتداءاً بشنّ ألحروب ألعسكرية .. كالحرب ألعراقيّة – ألأيرانيّة, و آلسياسيّة .. عبر دعم آلوجوه و ألحركات آللّيبراليّة و آلعلمانيّة بقيادة ألتيارات و آلتنظيمات ألمختلفة كمنظمة مجاهدي خلق و آلشخصيات ألسياسية آلليبرالية كبني صدر و قطب زادة و قبلهما شاهبور بختيار, و عبر آلضغوط ألأقتصادية .. كآلحصار ألأقتصادي و آلعلمي عبر منع تخصيب أليورانيوم و آلبحوث ألذرّية و آلفضائية و إغتيال عُلماؤها آلأكاديميون, لكنّ جميعها فشلتْ تاركةً ورائها جروحاً دامية, و لولا ألأمداد ألغيبي و صمود ألشعب ألأيراني و قيادته ألرّبانية ألمتمثلة بولاية ألفقيه ألّتي تُمثّل حُكومة الله على آلناس .. كلّ آلناس, لما كانت آلثورة آلأسلامية باقيةً إلى آليوم!

و ما زالت ألمواجهات آلأستكبارية ألعالمية و آلدّولية ضد هذه آلثورة مستمرة على كلّ صعيد, لمحاصرتها و منع إنتشارها, و لا تقتصر تلك ألمواجهة على آلصعيد آلسّياسي و آلأعلاميّ, بل آلمواجهة شاملة , و تُكلّف آلجمهورية آلأسلامية في كلّ مرّة .. ألكثير من آلأموال و آلأرواح و آلطاقات و هي وحدها في ساحة الصراع, فكلّما أرادت أن تبدأ بمشروع – أيّ مشروع - على صعيد مُعَيّن - بعد إعداد و إستكمال مخططاته و مُقدّماته .. يَخلق ألأعداء آلكثير من الصعوبات أمامهم فجأةً في محاولة لعرقلة ذلك آلبرنامج بدعم و تخطيط من آلغرب و أذنابهم من حكومات آلمنطقة و ألطابور آلخامس.

فليس سهلاً على آلدّولة ألأسلامية ألوحيدة في آلميدان و بقدراتها آلذاتية ألبسيطة قياساً مع آلغرب و توابعها في أكثر من 230 دولة؛ أن تُواجه كلّ تلك آلمخططات ألشّيطانية, لولا تسديد ألأمام ألحجة(عج) بإذن من آلله تعالى .. فآلأقمار ألصّناعيّة

آلتي صنعتها إيران و أطلقتها في آلفضاء .. و تخصيبها لليورانيوم و آلمفاعلات ألنووية .. و تصنيع ألطائرات و آلسيارات و آلصّواريخ و آلأعمار و غيرها .. كلّ ذلك ما كانت لتكون- لولا ألأمداد ألغيبي آلألهي و حكمة و تقوى و إستقامة قائدها ألمُسدد بالله و بمؤآزرة ألشّعب ألأيراني ألمُسلم ألّذي ما بَخَلَ بعطائهِ في طريق الله يوماً تحت قيادة ألدولة ألأسلاميّة .. بآلمال و آلرّوح و آلفكر و آلأبداع, و لكن ما زال أمامهم ألكثير لِتحقيق ألأهدافِ ألكبرى, فعلى آلرّغم من كلّ آلحروب و آلمعاكسات ألشيطانية ضدّها و قصر عمرها آلزمني و مُحاصرتها من قبل آلغرب و آلشرق .. لكنّها حقّقت ما لمْ تتمكّن أيّة حكومة أخرى - ليس في آلعالم ألأسلامي فحسب بل في كثيرٍ من دول آلعالم من تحقيقها, حتّى من آلدّول ألغربيّة ألتي تنعّمتْ بآلأمن و آلأستقرار و آلدعم على مدى أكثر من ثلاثة قُرون - منذ عهد ألرّينوسانس(ألنهضة ألأوربية), و يمكننا القول بأن ما قطعه الغرب و توصل إليه في مضمار التطور ألمدني و التكنولوجي بعد ثلاثة قرون؛ قد قطعته إيران خلال ثلاثين عاماً فقط, و لك أن تتعرّف على هذا السر العظيم في هذه المفارقة!

أنّ آلسّر يكمن في أن قيادة الثورة الاسلامية قيادة ربّانية تحلّتْ بآلأخلاق الفاضلة, و إن رواتب المسؤولين في الدولة كاعضاء مجلس الشورى لا تتعدى رواتب الموظفين العاديين في معظم دوائر و قطاعات الدولة, و لعل رواتب بعض الفنيين اكثر من رواتب أعضاء الحكومة و البرلمان.
أما أسباب تأخّر ألمسلمين في آلدول ألأخرى فهي كثيرة؛ نُضيف لما أشرنا في مُقدّمة هذا آلبحث ألتالي:
- تسلّط ألأستعمار ألذي روّج للدّيمقراطية و آلعولمة و الميوعة و نصَبَ علينا حكوماتٍ وضعيّةٍ و أحزاب قوميّة و وطنيّة ظالمة همّها؛ نهب خيرات أوطاننا و تقسيمها مع آلمستعمرين و حرمان أكثريّة آلأمة منها.

- محاربة ولاية و فكر أهل آلبيت ألكرام ألذي يُمثّله آليوم ألمرجعيّة ألدّينيّة بقيادة وليّ آلفقية .. كنيابةٍ عامّة لأمامِ آلعصر و آلزّمان (عج) و ألمُمتدة من ولاية آلأئمة آلأطهار و ألرّسول(ص) ألتي هي ولاية آلله تعالى, و قد لعب و يلعب الوهابيون دوراً مباشراً في ذلك عبر تكفير المسلمين, و إشاعة الأرهاب و آلمؤآمرات و تأجيج نار الطائفية بين مذاهب المسلمين.
- ألحروب ألدّاخلية و آلأقليمية و آلشبه عالمية ألتي أنهكت قوّتها و إستنزفت إمكانيتها, ممّا مهّد آلسبيل للغرب كي يستعمر بلداننا مع (آلأمتنان و آلشكر!)
- تدنّي ألمستوى آلفكري و آلثقافي و آلعلمي في آلأمة, لتدني مستوى آلجامعات و آلمعاهد ألعلمية و خطّها آلفكري بسبب ألتعاطي ألخاطئ مع آلمبادئ و آلهدف من كسب آلعلوم و الغاية منها لدى آلنخب ألأكاديميّة, و علاقة إختصاص معيّن مع آلأختصاصات آلأخرى و كيفيتها من جانب آخر, و إنشغال آلعموم بالكسب و تأمين لقمة آلمعيشة ألتي لم تَعُد سهلةَ آلمنال بسبب ألأختلاسات و التزوير, ممّا أفْقدَ آلمواطنين ألتّمتع بالهدوء و آلراحة و آلكفاف و آلكرامة و بالتالي صعوبة ألتّفرغ لكسب آلعلوم و آلمعارف و آلتأمل في آلوجود و آلآفاق, و ألتي بها تتحقّق كل آلخير و التقدم و آلأزدهار.
- إستغلال آلحكومات في دولنا للشعوب ألمقهورة بهدر و سرقة حقوقها من أجل مصالحها و مصالح آلدّول ألمهيمنة عليها, ممّا يجبر ألمُواطن العادي على آلعمل ألمضاعف لتأمين مُتطلّبات ألمعيشة, فَفَقَدَ آلشعب بسبب ذلك؛ ألأمان و آلراحة و ألفرصة و الثقة بالقائمين على حكوماتهم .. و لذلك إنعدم ألتفكير و آلأبداع و آلتقدم!
- فقدان آلأمن و آلحرية و آلكرامة آلتي معها يفقد آلأنسان ألقدرة على آلتأمل و آلبحث و آلتعاون من أجل آلأبداع و آلأبتكار و آلعمل ألمخلص ألدؤوب, و بالمقابل إنتشار آلظلم و آلدكتاتورية في جميع مرافق المجتمع, إبتداءاً بالبيت ثم آلمدرسة ثم آلعشيرة ثم آلدائرة و حتى رئاسة آلحكومة!
- ألنقل آلأعمى للتكنولوجيا من آلغرب, من دون معرفة أوّليات و أسس تلك آلتكنولوجيا, ممّا أدّى إلى إبقاء ألتبعية و آلأعتماد على آلغرب في كلّ صغيرةٍ و كبيرةٍ في تلك التكنولوجيا ألمستوردة, و عدم ألأعتماد على آلنفس و على آلأمكانات و آلطاقات ألذاتية .. ممّا أفقدت شعوبنا فرصة آلتطور و آلتقدم ألحقيقي.
و لولا ثروة آلنفط ألتي يعتاش عليها آلجميع , لكان حال دولنا أسوء بكثير من حال عموم آلشعب آلهندي و آلباكستاني و آلشعوب آلأفريقية ألمغلوبة على أمرها!

و بالنظر للأسباب و آلعلل آلآنفة .. علينا أنْ نُفكّرَ و نتأمّل بِجدٍ بمصيرنا و مصير أبنائنا و آلأجيال آلقادمة فيما لو نَضَبَ آلنفط بعد أربعة عقود من آلآن و نحن على هذا آلحال يتحكم فينا ألسياسيون الذين لا يراعون و لا يؤمنون بحقيقة الاسلام و أحكامه على الرّغم من أن بعضهم يدعي آلدين و الدعوة له!؟

و لا مُستقبل لنا ؛ لا في الدنيا و لا في آلآخرة إلّآ مَعَ الأسلام ألمُحَمّدي ألأصيل بقيادة ألولي الفقيه, و لا حولَ و لا قوّة إلّا بالله آلعليّ آلعظيم.
ألفيلسوف الكونيّ

---

(1) ألمنجد في اللغة و آلأعلام, دار المشرق بيروت, ص102, ط26.
(2) يعتبر ألمهندس مهدي بازركان أحد أهمّ ألشخصيات ألبارزة ألتي قادت حركة المعارضة ضد الشاه منذ خمسينيّات ألقرن ألماضي, فقد أسّس "حركة تحرير إيران", و كانت أوّل حركة شيعيّة في آلعالم ألأسلامي بعد آلحركات ألثورية ألمسلحة التي إنبثقتْ بقيادة ألمجاهدين و العلماء كآلميرزا كوجك خان, ثم حركة ألسيد نوّاب صفوي و غيرها, و بسبب إبتعاد ألمهندس بازركان و أقرانهِ عن مسار ولاية الفقيه لذلك لم يتركوا أثراً كبيراً في مسار الثورة آلأسلامية, سوى تسلّمه لرئاسة أول حكومة إسلامية مؤقته بعد نجاح الثورة الاسلامية عام 1979م.
(3) ألمصدر:
http://www.khabaronline.ir/news-139972.aspx
(4) نفس ألمصدر ألسابق.

ألسّياسَة و آلأخلاق؛ مَنْ يَحْكُمُ مَنْ ؟ ألقسم ألسّابع و آلأخير.
نظريات ألعلاقة بين آلسّياسة و آلأخلاق

بعد ستّة مقالات عن (جدليّة وحيثيات ألسّياسة و آلأخلاق) و أسباب محننا, وردتني إستفسارات عديدة من بعض ألدّعاة و آلمُتابعين للموضوع تركّزت حول مدى جدّية علاقة ألأسلاميين ألسّياسيين كحزب ألدعوة بفلسفة آلأخلاق و دورها في عملية ألتّغيير و آلبناء في "مرحلة إستلام ألسلطة" و غيرها من آلمُداخلات ألّتي أظهرتْ جليّاً غياب ألفكر ألأسلاميّ ألأصيل في العراق و سطحيّة ألنّظرة ألعقيديّة عند آلدّعاة و آلحركيين لفقدان دور و مكانة ألأخلاق ألعملية في آلبناء و آلتنمية في العراق الجديد لتحقيق ألدّولة العادلة و آلمجتمع ألأسلاميّ ألزاهر, و عدم إنتباه ألبعض لأهمّية ذلك, بل و إقصائهم لها جهلاً أو تجاهلاً بسبب ألغرور وألشّهوات و النفس بدل قانون الله وضمور ألوعي بآلنسبة لدور و وجوب ألأخلاق في سلّم ألتّنميّة ألأسلاميّة و آلبناء ألحضاريّ للأمة و آلبشريّة, وأنّ أكثرهم على ما يبدو؛ إختلطت عليه ألغاية من إعمال ألأخلاق ودورها في آلتنمية على كل صعيد لسعادة آلمجتمع؛

ـ فهل هي لبناء ألدّولة و إستلام ألحكم ونهب آلخيرات و آلتّسلط على آلنّاس عبر آلتّحالفات و آلتّجاذبات بإعتبار ألغاية؛(مناصب و رواتب و شهوات) تُبرّر ألوسيلة؛(ألكذب و آلسّرقة و آلأستغلال و التكبر) مُعلّلين ذلك آلفساد بإعمال نظريّة "ألتّزاحم" ألأصوليّة(1) بآلنسبة للمتأسلمين ونظريّة "ميكافيللي" للمتغربين(2) ألعلمانيين؛ و التي أجازت للطرفين نهب الأموال بإعتبارها مجهولة المالك, بينما المرجعية ردّت عليهم بوضوح وفنّدت مدّعاهم!

ـ أم هي لبناء ورفاه ألأمّة على أساسٍ شرعيّ وإنسانيّ عادل تتحكّم بأوضاعها مكارم ألأخلاق طبقاً لمنهج ألأسلام؛

هذا بجانب غياب ألآليات ألشّرعيّة و آلعمليّة ـ ألشخصيّة منها و آلتنظيميّة و آلأجتماعيّة ـ لتحقيق محاسن ألأخلاق و التواضع ألذي يعتبر مقدمة للمحبة و لمكارم ألأخلاق لنيل آلسّعادة في آلدّارين!

و قد شغل هذا آلأمر عقول ألأسلاميين ألسّياسيين ألمخلصين قبل و بعد سقوط ألبعث ألجاهلي حين إستلموا أو كادوا ـ ألحكم في العراق ألجديد و شابها ألكثير من آلأهمال بقصدٍ أو بغير قصدٍ, و أمّا غيرهم فقد بدى عليهم غياب هذه ألحلقة تماماً في مسارهم و تعاملهم حتى تحوّلت ألسّياسة عندهم إلى مهنةٍ للمتاجرة للحصول على آلمناصب و الأمتيازات بكلّ آلوسائل و آلأساليب ألألأخلاقيّة ألمُمكنة!

ألذي أوقع ألكثير من إخواننا بوضوح في دوائر ~ لذلك سيتركز آلكلام في نهاية هذا آلموضوع ألأهمّ على ألإشْكال ألأساسي ألشّبهات و آلحرام و يتلخّص إبتداءاً علّة آلعلل بـ: إنقطاع حبل ألولاية في مسيرة و شخصيّة ألداعي للأسلام و في عموم آلأوساط و آلمستويات ضمن ما أسموه بآلعملية ألسّياسية, و رأيتُ لزاماً عليّ أنْ أتوسع أكثر في هذا آلبيان لتكون بمثابة ألمُؤشر لعملية إنتخاب ألمُرشح ألأصلح(3) على آلأقل في آلدّورات ألأنتخابيّة و آلرّئاسيّة ألقادمة لتلافي ألأخطاء و آلتّجاوزات و آلمظالم ألتي وقعتْ و آلتي تقع بسبب سوء ألأنتخاب و عدم آلدّقة في تحديد ألأتقى و آلأنسب لغياب ألموازيين ألصحيحة في عقول المسلمين و آلعراقيين على آلرّغم من إتباع ألغالبية ألعظمى منهم للمرجعية الدينية في آلنّجف المعروفة بدقتها في مُراعاة حقوق الناس.

أربعة نظريات تُحَدّد آلعلاقة بين آلسّياسَة و آلأخلاق(4):
1. نظريّة فصل ألأخلاق عن ألسّياسة. وهذا ما حدث في الأنظمة الغربية و نتائجها واضحة قد فصلنا الكلام فيها!
2. نظريّة خضوع ألأخلاق للسّياسة. وهذا ما مطبق اليوم في كل آلأنظمة فإزداد الفقر و الحرب والعنف والخصام.
3. نظريّة تساوي ألأخلاق مع آلسّياسة. وبها لا تتقدم الحكومة بشكل طبيعي, وتتعاظم مشاكلها وتقل نتاجها!
4. نظريّة وحدة ألسّياسة و ألأخلاق؛ و هذا ما طبّقه الأمام عليّ الذي كان راتبه كراتب ألفقير رغم رئاسته للدولة!

وفيما يلي نبحث إجمالاً ألنّظريات آلأربعة:
1. نظريّة فصل ألأخلاق عن ألسّياسَة:
ألدّعوى ألأساسيّة في هذه ألنّظريّة تنحصر في وجوب فصل كلّ ما يتعلّق بمحاسن ألأخلاق و مكارمه عن كلّ ما يتعلّق بآلقضايا ألسّياسية, فآلقواعد ألأخلاقية في هذه ألمدرسة تتضارب مع آلمستلزمات ألسّياسيّة على أساس ألواقع ألذي يرسم

ملامحهُ ألمنافع و آلمصالح ألتي تُحدّد نوع ألموقف ألسّياسي ألذي يهدف إلى تحقيق مصالح ألحاكمين و مُنظريهم ألتابعين لّلوبيّات ألأقتصاديّة ألعالميّة بآلدّرجة ألأولى و من بعدهُم أحزابهم و مُقرّبيهم بآلدّرجة ألثانية, ثمّ عموم ألشّعب ألّذي يبقى عادةً رهين تلك آلمصالح و آلمُخططات!

و على أساس هذا آلتعريف ألذي يُسمّى بـ"آلواقعيّة ألسّياسيّة" و بآلنّظر لدور ألمؤثّر ألأخلاقيّ في تحديد ألنّهج ألسّياسي؛ فأنّ سقوط ألأخلاق في هذا آلوسط أمرٌ حتميّ في سلوك ألسّياسيين و تعاملهم .. تلك آلأخلاق ألتي فصّلناها في حلقاتٍ سابقةٍ و آلتي تتعاكس مع نظريّة "ألواقعيّة ألسّياسيّة" لكون ماهيّة ألأخلاق و آلمبادئ ألأنسانيّة في آلأسلام تتطلّب منّا في كثير من آلأحيان أنْ نكون حتّى ضد أنفسنا حين إحقاق ألحقّ و آلعدل و آلمُساواة وأنْ لا نقل إلّا آلحقّ أثناء تعاملنا مع آلرّعيّة خصوصاً في مسألة ألأموال و آلموارد ألأقتصادية و آلحقوق.
إنّ آلأخلاق تمنعنا من آلتعامل مع الأنسان و كأنّه تابعٌ ذليلٌ وآلةٌ صمّاء لأستغلاله و إستحماره, و علينا أن نستقيم مع آلعدل مهما كانت ألنّتائج وأن لا نكذب و نُزوّر و نخادع ألناس أو نُخفي ألحقائق عنهم, و من هنا يتحدّد ألخط ألفاصل بين ألعلمانيّ و آلأسلاميّ!

إنّ آلحال ألّذي نُشاهده في عالم ألسّياسة أليوم هو آلعكس تماماً, فقد غسل آلسّياسيّون أيديهم من كلّ ما هو أخلاقيّ بحيث باتَ أيّ عملٍ سياسيّ مُتزامناً مع مُعاداة كلّ ما هو أخلاقيّ .. بلْ و دحر ألقيم و آلأسس ألأخلاقيّة عمداً, حتّى أُشيعَ بين آلنّاس بما فيهم ألمُثقّفون وَ كَسُنّة رائجة؛ بأنّ أيّ عملٍ سياسيّ لا يُمكن إلّا على أيدي آلجُناة ألّذين تلطّخت أياديهم بحقوق ودماء ألأبرياء و آلظلم و آلكسب آلحرام على كلّ صعيد!

يُذكر أنّ تعبير ألأيادي ألمُلطّخة ذكره لأوّل مرّة "جان بول سارتر" في مسرحيّته ألمعروفة, و من آلجّدير ذكره أنّ ألكتب ألسّماوية قد وضّحت ذلك ببيانات مُحكمة و واضحة؛ فآلأنجيل إستخدم هذا آلتّعبير بآلقول:
[ألأيادي ألمُلطخة بآلشّر], و كذا في مزامير داوود, حيث أوصى آلنّبي داوود(ع) في تلك الآية؛ [إبدأ و لا تتوكّل على روسا]! في إشارة إلى عدم ألأطمئنان للسّياسيين و آلحاكمين و أصحاب ألمال!
ألوحيد ألّذي يُمكننا ألأعتماد عليه هو آلملتزم بآلأخلاق عمليّاً و أصلها مقدار الراتب الذي يتقاضاه, فآلسّياسيون عطاشى لسفك ألدّماء و أكل حقوق ألنّاس و آلكيد بعضهم بآلبعض ألآخر لإصطياد فرائسهم في آلماء ألعكر .. ألرّؤساء يتآمرون و آلقضاة يرتشون و آلوزراء يخونون و هكذا!

أما آلقرآن ألكريم فقد تعدّى ألكتب ألسّماوية و بيّن هو آلآخر و بوضوح؛ وجوب مُحاربة ألمُفسدين و نعتَ آلّذين لا يعملونَ على إقامة ألعدل و آلقسط بين آلنّاس بأسوء ألصّفات كآلكافرين و آلمُنافقين و آلظّالمين!

و يكاد ألتّوحيد – أي آلخضوع لله فقط و آلعمل بموجب تعاليمه - أنْ يكونَ هو آلمحور ألأساسيّ في مُعظم .. إنْ لم أقل جميع آيات ألقرآن ألكريم و أحاديث أهل ألبيت(ع)(5), بل إعتبر آلّذين لا يحكمون بما أنزل الله بآلكافرين و آلفاسقين و آلظّالمين(6), لكن مع هذا نرى آلمسلمون و على رأسهم ألمرجعيّة ألتقليدية(ألعرفيّة) لا تُعِرْ أهميّةً لذلك و كأنّ آلقُرآن ألعظيم لا شأن لهُ بحياة ألنّاس و حركتهم في هذا آلوجود و على أهمّ ألأصعدة .. و لا أظنّ بأنّ هناك ظُلماً أكبر من ذلك بحقّ آلأسلام من قبل آلمُدّعين بتمثيلهم له كنظام سماوي قرّره ألباري تعالى للإنسانيّة أو على آلأقل لشعوبنا ألأسلامية في آلشّرق!

كما يُؤلمني ما يجري على آلعالم بسبب ألسّياسة ألغربيّة أيضاً من آلجهة ألأخرى و هي تُحاول فرض إرادتها بآلقوّة و آلصّواريخ و آلمؤآمرات و قتل و تعويق شعوباً بأكملها كما حَدَثَ في فلسطين و أفغانستان و آلعراق و آلصّومال و دول أفريقيا و غيرها(7), بلْ حتّى سياستها مع شعوبها داخل أوطانها .. عبر فرضهم للضّرائب ألعاليّة على آلمواطنين و تقويضهم بملايين ألقوانين و آلسِّلف و آلأعتبارات ألّتي تصبّ فوائدها آلكبرى في جيوب ألطبقة ألرأسمالية(8), إنّ تعبير ألمفكر ألفرنسي"سيمون دوبار" مؤشرٌ خطير طغى على آلسّياسة ألغربيّة ألدّيمقراطيّة للأسف, حيث يُعبّر على أسس ألتربيّة ألأخلاقيّة بآلقول:
[على آلرّغم من آلقصص ألأخلاقيّة ألتي يتغنّى بها آلصّغار؛ فأنّها فضيلةٌ بلا أجرٍ مادّيّ, ألقائد ألحقيقيّ هو من يملك آلقوّة وآلمال و آلمكر! و آلأساليب ألأخلاقية ما هي إلّا علامات تدلّل على آلضّعف].

و لعلّ إعتقاد"سيمون" مُشتقّ مِمّن سبقهُ من آلفلاسفة ألأوربيين أمثال"نيتشه" و قبله بقرون أفلاطون ألّذين إعتبروا

ألأخلاق ألفاضلة سلاح ألضّعفاء, بينما آلقوة و آلعنف و آلبطش بنظرهم سلاح ألأقوياء و يميلون للأصل ألثاني في تحقيق ألمجتمع ألأفضل و آلأمثل و كأن الأرض ساحة حرب لا سلام!

إنّ موضوع فصل ألأخلاق عن آلسّياسة عند "ميكافيللي" ألفيلسوف ألأيطاليّ يأخذ أبعاداً أكبر و أكثر خطورةً من حيث يُؤكد بكلّ صراحة على وجوب فصل ألأخلاق عن آلسّياسة و يعتقد بحسب ما جاء في كتابه "ألأمير":
[إنّ آلحاكم ألذي يُريد أن يحتفظ بآلأخلاق وسط كل هذه الفوضى و آللاأخلاقية فأنّ نهايتهُ ألفشل(9), لهذا فآلحاكم الذي يُريد ألأحتفاظ بسلطته عليه ألأعتماد على آليّات لا أخلاقيّة و عليه إن يستخدام آلوسائل ألغير إنسانيّة مع آلمحكومين, من هنا على آلحاكم ألّذي يُريد ألبقاء في آلحكم عليه أنْ يتعلّم كيف يتجنّب ألأخلاق و إعمال ما يُمكن إعماله من أساليب ألخداع و آلكذب في سبيل آلحفاظ على آلمنصب]!

2. نظريّة خضوع ألأخلاق للسّياسة:
هذا آلمفهوم هو نتاج ألنّظرية ألماركسيّة ألليننيّة في نظرتها لتقييم ألمجتمع و آلأخلاق و آلسّياسية, فآلتأريخ في نظر ماركس ليس إلّا نتاج آلصّراعات ألطبقيّة؛ تلك الطبقات ألّتي تظهر بسبب تطور وسائل آلأنتاج ألجّديدة, و آلّتي تتزامن معها ظهور ألنّقيض من ذات ألطّبقة, لتنتهي بشكلٍ طبيعيّ و يحلّ محلّها طبقة أرقى, و تكرار تلك آلعمليّة ألقسريّة بشكلٍ متناوب تتبعها تغييرات أخلاقيّة تتناسب مع كلّ مرحلةً!

لهذا فأنّ أيّة طبقة تتحرّك مع تطور ألتأريخ؛ هي حركة ثوريّة, أمّا آلطبقة ألتي تقف أمام ألتطور و آلأنتاج فهي طبقة رجعيّة و ضدّ آلثورة, و كلّ طبقة لها ظروفها و ملابساتها ألخاصة ألّتي تُمثّل شكل ألمجتمع و وضعه و مستوى ألأنتاج ألاقتصادي, و من هنا تعتقد ألماركسيّة بعدم وجود آلمطلق في آلوجود(10) و كلّ ما يتحرّك فيه و ينتظم يتمّ طبقاتيّاً!

من أهمّ ألمفاهيم ألأخلاقيّة و آلمباني ألحضاريّة بحسب هذه ألنّظريّة هي "آلفن" و "آلعلم" ألّلذان يُحدّدان آخر مراحل آلتاريخ و من خلالهما تتحدّد طرق ألأنتاج ألعام و مالكيّة وسائل ألأنتاج ألّتي تنحصر بآلدّولة, و هذه ألجدليّة من خلال تناقضها تستوجب بروز طبقة جديدة بإسم"ألبروليتاريا" أو ألكادحين ألّذين هم أساس ألأنتاج و دعامتها لكنّهم لا يملكون وسائل ألأنتاج, و تتمّ ألسيطرة عليها من خلال آلثورة لينتقل ألمجتمع إلى مرحلة ألاشتراكيّة و هي ألمرحلة ألأنتقاليّة ألّتي تنتهي بآلشّيوعيّة و آلّتي بتحقيقها ينتهي آلنّضال ألطّبقي, لأنّ ألأمة حينها لا تكون منقسمة إلى طبقتين .. من حيث ملكية وسائل ألانتاج و طرق ألأنتاج تكون عامّة!

هذا آلتّحول؛ من خلال ألنّظرة ألتأريخيّة ألتحليليّة غير قابلة للتأويل .. بلْ حتميّة, لهذا فأنّها تكون خارج ألسّيطرة ألأنسانيّة و بناءاً على ذلك فأنّ ألأخلاق و آلآداب و آلحقائق؛ ما هي إلّا ظواهر متفرّعة من آلمنافع ألطّبقيّة .. و من هنا فأنّ آلأخلاق و آلآداب ألأنسانيّة و آلعدالة و غيرها, ما هي؛ إلا نتاج مجموعة ألمنافع ألطبقيّة و آلتي ثَبَتَ أنّها تُسخّر آلنّاس و تُوجههم نحو آلعبوديّة, و إنّ مفهوم ألأخلاق و غيرها بحسب هذه آلنّظريّة هي من آلمظاهر ألأجتماعيّة ألّتي تتبع بدون قيدٍ أو شرطٍ ألسّياسة و آلعمل ألثوري و تتمثّل قيمتها و مداها من خلالها.

هذا و إنّ آلعمل ألسّياسيّ و آلثّوريّ تتّخذ قيمتها و محتواها من خلال ذلك – أيّ من خلال ألصّراع ألطّبقيّ و أساليب ألعمل ألثوريّ, حيث تقترب هذه ألنّظريّة إلى مفاهيم "ميكافيللي" و "نيتشه" في آلنهايّة!

يقول لينين بشأن ألأخلاق:
[ألأخلاق و آلمفاهيم ألأنسانيّة ألتي تأتينا من آلخارج لا إصالة و لا وجود و لا أهميّة لها في واقعنا لأنّها تهدف إلى إستغلالنا و إستحمارنا .. ألمعيار هو ما نحصل عليه من خلال ألصّراع ألطّبقي للبروليتاريا]!

"لينين" كميكافيللي و كنيتشيه؛ يرى وجوب ألفصل بين آلسّياسة و آلأخلاق فآلأخلاق – بحسب تعبيره – لها إصالة كما آلسّياسة و كلتاهما ذات منافع للأمة, و لكلٍ منهما مداره و خصوصياته و زمانه!
و لا يُجيز "لينين" إعمال قوانين طرف على آلطّرف ألآخر, و آلأخلاق و آلسّياسة ظاهرتان من ظواهر ألمجتمع لهذا لا يُمكن إعتبار أيّة إصالة لهما في آلمجتمع, و أخلاق كلّ طبقة تعود للظرف ألتأريخي ألذي تمرّ به ألطبقة, و من هنا يرى "لينين" بأنّ تصرّفاً معيناً من قبل طبقة معيّنة عملاً أخلاقياً, لكنّ هذا آلتصرف عينهُ قد يكون لا أخلاقياً و لا ثوريّاً من قبل طبقة أخرى!

هذا آلتناقض ألصّارخ في تقريرات"لينين" يتوضّح جليّاً من خلال و قائع و أحداث تأريخيّة معروفة, فحين دحر آلأمبراطور "نيكولاي ألثاني" عام 1905م ألمظاهرات ألسّلمية للشعب ألرّوسي إعتبره – أي لينين – عملاً غير ثوري و ظالم, بينما قمع ألمُظاهرات ألعُمّالية عن طريق "لينين" نفسه بعد آلثورة ألأشتراكيّة عام 1917م كان بعقيدته عملاً ثوريّاً و أخلاقيّاً و عادلاً, و طالما كان يفتخر بذلك في أوساط ألحزب ألشّيوعي!

لذلك فأنّ هذه ألنّظرية لا ترى أيّ عملٍ ثوريّ معاكس للأخلاق و إنّ أيّ عمل يقوم به آلحزب ألشّيوعي ألذي يُمثل طبقة "ألبروليتاريا" هو عين ألأخلاق و آلفضيلة و آلعدالة .. ممّا يعني علناً ألوقوف بوجه كلّ ألقيم ألأخلاقيّة بل يُحاول تجريد ألمبادئ و آلقيم ألأنسانية عن كلّ ما هو أخلاقيّ!

3. نظريّة تساوي ألأخلاق معَ آلسّياسَة.
تسمح هذه ألنّظريّة من إعمال بعض ألقيم و آلمفاهيم ألأخلاقيّة في آلسّياسة, و يُسمّي ألبعض من آلمُفكريين هذه ألنّظريّة؛ بـذوي(ألآليتين) كونها تُلزم ألسّياسيين ألعمل ببعض آلمبادئ ألأخلاقية في آلتّعامل ألسّياسي, أيّ تقبّل جانباً من آلأصول ألأخلاقيّة في آلعمل ألسّياسيّ و ترفض ألأصول ألأخرى, و على أساس هذه ألنّظريّة يُنْظر للأخلاق عِبرَ مُستويين؛
ألأخلاق ألفرديّة و آلأخلاق ألأجتماعيّة ألّتي يُؤثر فيها ألحاكمون .. رغم أنّ لكلّ منهما مشتركات مع آلآخر! لكنْ ليس لزوماً أن يكون ما هو أخلاقيّ على آلمستوى ألفرديّ أنْ يكون نفسهُ أخلاقيّاً على آلمستوى ألأجتماعيّ, على سبيل ألمثال؛ ألتّضحية ألفرديّة إيجابيّة بإمتياز, لكنّ ألتّضحية من قبل ألدّولة لأجل حفظ ألنّظام على حساب مصالح ألآخرين منفعةٌ رغم إنّه يتعاكس مع مصالح ألأمّة و حقوقها, و تُعدّ مسألة أخلاقيّة رغم تعارضه مع مصالح ألأمة.

ألفرد يُمكنه أن يهدي ممتلكاته لآخر, لكن ألدّولة لا يُمكنها أن تهدي ثرواتها لدولة أخرى, من هنا يخضع ألفرد للمعايير ألأخلاقية ألمطلقة, بينما آلأخلاق ألأجتماعية تتبع ألمصالح و آلمنافع ألعامّة للأمّة و ليستْ بآلضّرورة أن تكون أخلاقيّة!

من هنا نرى أنّ ألسّياسات ألمُتّبعة في آلعالم خصوصاً ألغربيّ و آلعربيّ لا تعتمد ألأخلاق و آلقيم في تعاملها مع آلمجتمع, بل تُجيز لنفسها ألكذب و آلسّطو و آلحرب و آلعنف و آلقتل و آلدّمار من أجل نهب ثروات ألشّعوب و آلبلدان ألأخرى ألّتي يتّصف ألحاكمون فيها بآلجّهل و آلتّبعية و آلخضوع ألمطلق لتلك ألسّياسات ألأستكباريّة بقيادة ألعفاريت ألأقتصادية ألكبرى في ألمنظمة ألاقتصادية ألعالمية عبر نظام معلومالي تحاول من خلالها آلسيطرة على كلّ منابع ألعالم من خلال إشاعة نظريّة فصل ألأخلاق عن آلسّياسة بين آلحكومات ألخاضعة و تحديد ألسّياسات ألعامة و حتى آلخاصّة لها في آلعلاقات ألأدارية و آلأنتاجيّة و آلمُعاملات ألماليّة, ليصبح ألنّاس أسرى شربة ماء صحيّ أو لقمة عيش كريمة يحلمون بها!
و عموماً ترى هذه ألنّظريّة بأنّ ألأخلاق ألفرديّة يجب أنْ تحكمها آلعواطف و آلمحبة و آلرّحمة و آلصّدق, لكنّ آلأمر يختلف في آلبعد ألأجتماعيّ و آلأقتصادي ألمحكوم بسياسة ألدولة و خططها و مؤسساتها ألضريبية .. فآلأخلاق هنا تهدف تأمين حقوق و مصالح رجال ألسّياسة و آلحاكمين ومَنْ ورائهم في المنظمة الأقتصادية و تكون ذات طبيعية إنتاجية بإتّجاه أهدافها ألمعلوماليّة ألماديّة ألتي تريد إخضاع الدنيا لسلطانها!

في النهاية نصل إلى نتيجة في هذه النّظريّة مفادها أن هناك نظامين أخلاقيين مُنفصلين عن بعضهما آلبعض في الظاهر و يرتبطان صميميّاً بإتّجاه تأمين منافع ألحاكمين من دون أنْ يعلم آلنّاس هذا آلسّر بسبب آلتوجيهات الأعلامية ألمغرضة و كثرة ألقوانين ألمدعومة بتقنيّات و أساليبٍ متطورةٍ جدّاً قلّما يدرك أكثر ألنّاس أبعادها و غاياتها!

فآلأنسان كفرد يتبع نظاماً أخلاقيّاً يتحدّد بموجبه حرّيته و سعيه و تأثيره داخل عائلته, بينما آلنظام ألأجتماعي يتّصف بنظام أخلاقيّ آخر قد يتضارب مع آلأصول ألأخلاقيّة للطرف آلآخر!

"أفلاطون" مُنظّر أوربا ألأوّل .. في آلوقت ألذي لا يُجيز ألكذب للفرد .. بلْ و يُحدّد جزاءاً لفاعله, لكنّه يُجيزه للحاكم! إذ يقول بهذا آلشّأن: [ألكذب يكون من حقّ ألحاكمين فقط حين تتطلّب مصالح ألدّولة ذلك, حيث يجوز ألتلاعب بآلحقائق و آلتّزوير و إستخدام ألدّعايات ألمُغرضة لتشويه ألحقيقة أمامَ آلنّاس ألمحكومين أو آلأعداء, و إنّ هذا آلحقّ لا يشمل أفراد ألمجتمع]!

"راسل" و كذا "مارتن لوثر" مؤسس ألبروتستانتيّة؛ "بل تليخ"؛ "راينهود بيبور"؛ "ماكس ويبر"؛ "هانس موركنتا", جميعاً من مؤيّدي هذه ألنّظريّة.

إنّ "ماكس ويبر" ألفيلسوف ألألماني ألّذي عاش في آلقرن ألماضي يُعتبر من أقوى ألمُؤثّرين في رسم ألسّياسة ألفكريّة ألغربيّة ألحديثة عبر ترسيم ألسّياسات ألأساسيّة ألمعاصرة في آلغرب و توابعها, حيث بيّن آرائه ألمعروفة في خطاب معروف بعنوان ؛"ألسّياسة كمهنة" مُبيّناً ماهيّة ألعمل ألسّياسي و إختلافه مع آلأخلاق و آلسّياسة ألفرديّة تماماً.
كما بيّن "ويبر" ألفرق بين آلأخلاق ألعامّة و آلأخلاق ألسّياسية بكونهما منفصلان عن ألبعض بحسب نظرته قائلاً:
[نحن نواجه نوعين من الأخلاق, ألأولى؛ عقائدية فرديّة, و ألثّانية؛ تخصّ ألمسؤوليين ألحاكمين, ألأخلاق ألعقائديّة تنبع من آلتعاليم ألأخلاقيّة ألمُطلقة للدّين و بشكل خاص ألمسيحيّة, و لا تخضع لأيّة مؤثّرات خارجيّة, فآلذي يحكم به ألأخلاق هو آلحكم و آلحلّ في حياة ألفرد ألخاصّة]!
و يرى بأنّ ألأساليب ألاخلاقيّة للحاكمين تتحدّد بآلنّظر للظروف و آلوقائع ألتي تقتضيها حادثةٍ معيّنةٍ أو ظرفٍ خاصٍ, و آلسّياسي يُخطّط و يعمل بما يراهُ مُناسباً في تلك آلحالة بإتّجاه مصلحة ألدّولة و آلحاكمين و لا يخضع في مقرّراته لأيّة مبادئ أخلاقيّة من حيث لا يُوجد إطلاقاً أيّ مبدأ أخلاقيّ!
بمعنى أنّ ألأخلاق ألسّياسيّة تأمرنا بآلعمل ضمن مقتضاه و لا شغل لنا بأيّة إنعكاساتٍ أو ظواهر تتبعها, و لا يُمكن إعمال ألمبادئ ألأخلاقيّة(ألدينيّة) في آلسّياسة!
"ويبر" يصل إلى نتيجة نهائيّة مفادها؛
[لا تصالح إطلاقاً بين آلقيم ألأخلاقيّة ألعقائديّة و آلأخلاق ألحكوميّة], ويُبرّر ذلك بآلقول:
[ألنّشاط ألسّياسي يُلزمهُ أساليب ألعنف ألّتي تُجيزها أخلاق ألحاكمين], و بناءاً على ذلك يُوصي:
[بوجوب غسل ألسّياسي يديه في ميدان ألعمل من كلّ ألمبادئ ألأخلاقيّة ألمطلقة, و هو آلشأن ألمناسب, من هنا ينفصل الأخلاق عن السياسة, و يجب بحث كلّ جانب من آلجّانبين ضمن دائرته و حدوده بمستوى واحد, و لو كان أحداً ملتزماً بآلأخلاق و القيم و ألمُثل فعليه ألأبتعاد عن ألسّياسة و عدم ألتّدخل فيه لتلافي تعريض ألرّوح على آلأخطار ألنّاجمة من حبائل ألسّياسة و نهجها, لكونها – أيّ ألسّياسة – تستلزم ألحيلة و آلخداع و آلدّجل و آلعنف, و علينا أنْ لا نعتبر ألسّياسة سلوكاً غير أخلاقي أو ذو منطق جامد تحكمها قوانين ألرّبح و آلخسارة]!

4. نظريّة وحدة ألسّياسة و آلأخلاق.
طبقاً لهذه ألنّظرية؛ فأنّ آلأخلاق و آلسّياسة تهدفان معاً إلى تحقيق ألسّعادة للأنسان , و لا يُمكن أن يتناقضا مع بعضهما لإتحادهما نحو تحقيق الهدف المشترك!

و هذا آلرّأي مُتفقٌ عليه بين كلّ ألعلماء ألمخلصين ألواعيين بأنّ ألأسلام هو (آلسّياسة و آلسّياسة هو آلأسلام) إذا كان آلهدف خدمة ألنّاس, فلو كان معنى آلسّياسة هو إصلاح أمور ألنّاس بحسب ألأصول ألعقلائيّة ألصّحيحة و آلعمل على تحقيق رفاهيتهم كما هو آلمعنى ألصّحيح للسّياسة فإنّ ألإسلام كلّه هو هذا و ليس هو غير السياسة و ليس للعلماء وظيفة غير هذه و أمّا إذا كان آلمقصود من آلسّياسة معنى آخر فإنّ هذا شيء غريب عن ألإسلام!

من أهمّ ألوظائف ألاساسيّة للسّياسيين هو تنمية ألجّانب ألمعنوي في آلأمّة , و حثّهم على آلتّعاون و آلأيثار في آلمجال ألأجتماعيّ و آلأحساس بآلام ألآخرين و رعاية حقوقهم و تلك لا تعني سوى الأخلاق الفرديّة في آلمجتمع, و من آلطبيعي بأن تلك آلمثل لا تتحقق إلّا من خلال تمسّك ألمسؤولين و آلحاكمين بذلك قبل الأمة .. بكونهم النموذج و القدوة و يمثلون رسالة الأسلام, و من هنا يجب أن تكون القواعد الأخلاقية هي الحاكمة في سلوك الحاكم و المحكوم بإسم الأسلام على حدٍ سواءٍ.

أساس هذه ألنّظرية تؤمن بوحدة ألأخلاق و تساويها مع آلسّياسة سواءاً ما كان يتعلّق بآلمستوى ألفرديّ أو ما يتعلّق بكلّ ألمنظومة ألأجتماعيّة و آلسّياسيّة و آلبرلمانيّة للنّظام ألحاكم!

و آلعكس صحيح أيضاً, بكون أيّ شيئ لا أخلاقيّ للفرد هو لا أخلاقيٌّ للحاكم نفسه, فلو كان ألكذب صفةٌ مذمومةٌ فأنّه مذمومٌ للحاكم أيضاً, و إذا كانت ألأخلاق تفرض على ألأفراد ألصّراحة و آلصّدق و آلإلتزام بآلعدل مع آلآخرين؛ فأنّها – أيّ ألأخلاق – تفرض آلشّيئ نفسه على آلسّياسيين و آلحاكمين, من هنا لا يُمكن لأيّة حكومة أن تُجيز لنفسها إرتكاب ألأعمال ألغير أخلاقيّة بدعوى أنّ آلسّياسة تلزمها ذلك, و أنّها من آلأمور ألمُعتادة في آلسّياسات ألجاريّة في آلعالم!

و من هذه ألقاعدة لا يُستثنى أحداً في آلنّظام أو ألمُنضوين تحته؛ لِكون ألأخلاق هي آلمقدّمة ألأساسيّة للسّياسة و نتاجها آلنّهائي, و آلسّياسة تعتبر وسيلةً لتحقيق ألفضائل ألأخلاقيّة!

"أرسطو" يرى و بحسب ما جاء في مقالة؛ (ألأخلاق و آلسّياسة):
[بأنّ آلأخلاق و آلسّياسة؛ ألدّولة و آلمجتمع؛ ألأقتصاد و آلسّياسة؛ ألأخلاق و آلسّياسة؛ ألدّين و آلسّياسة؛ ألثّقافة و آلسّياسة؛ لا فرق بينهما, فآلأصالة آلفرديّة تنبع من إصالة ألمجتمع و بآلعكس أيضاً, و آلأنسان هو آلمواطن, و كلّ عمل إجتماعي للمواطن يكتسب صفة سياسيّة, و آلمواطن من خلال ألعمل ألسّياسي يُحقّق طموحه و إنسانيّته و بآلتالي سعادته].
في نظامنا ألفكريّ ألكوني تتجلّى وحدة ألسّياسة و آلأخلاق بشكلٍ واضح , من خلال مقالاتِ و آراءِ ألعلماء و آلمفكرين و قبلهم ألأئمة و قبلهم جميعاً ألرّسول ألكريم محمد(ص) و آلنصوص ألقرآنيّة ألشّريفة!

"ألخواجة نصير ألدّين الطوسي" يُعرّف ألسّياسة بآلقول:
[ألسّياسة فنٌّ لتحقيق حياة مفعمة بآلأخلاق و آلمُثل](11).
من هنا يتبيّن بأنّ آلأخلاق أصلٌ و آلسّياسة فرع و وسيلة لتحقيقها, و منهجٌ للوصول إلى تحقيق مكارم الأخلاق و آلّذي بتحقّقه تتحوّل الأرض إلى جنّة بمعنى آلكلام.
إنّ آلأمام ألخميني(قدس) و آلفيلسوف محمد باقر الصدر(قدس) و كذا قائد ألمسلمين ألسّيد ألخامنئي أليوم لم ينسوا في كلّ خطاب ألتأكيد على وجوب ألحفاظ على الدولة الأسلامية ألمباركة كواجب شرعيّ يتقدّم حتّى على آلعبادات الفرديّة, هذا هو آلأصل ألأهمّ وألمفقود للأسف بين أكثر آلمسلمين و مراجعهم ألدّينيّة و آلفكريّة ألّتي ضلّتْ طريق ألهداية ألإلهيّة بعد ما حصرت ألأسلام ضمن دوائرها آلضيّقة و أهوائها و إنشغلتْ بقضاياها آلجانبيّة!

إنّ دور ألمرجعيّة ألدينيّة في آلأمّة و في آلعمليّة ألسّياسيّة في آلعراق – ألبلد ألثّاني ألمُرشّح للسير بإتّجاه تطبيق ألأسلام على غرار نظام ألدولة ألإسلاميّة في إيران - لم يكن تصدّياً علنيّاً مباشراً و لا حتّى غير مباشر – أي لم تمتلك خطاباً إسلامياً رصيناً و واضحاً - ممّا ساهم ذلك في آلتّشويش على ألمُكلفين ألشيعة و مقلّدي مراجع الدين و جعلهم في تيه حقيقيّ حيث إستخدمت مصطلحات فضفاضة إستغلها ألبعض من آلسّياسيين للحصول على أصوات ألنّاخبين, و لَعِبَ مُعتمدي و وكلاء المرجعيّة دوراً سيّئاً للغاية في ترجمة تلك آلمصطلحات إلى آلعوام و فسّروها على هواهم لا على مبتغى آلمرجعيّة ألدّينيّة ألتقليديّة ألعرفية حتّى ضمن سياقاتها التقليدية في التعامل مع قضايا آلمجتمع.
فمثلاً مصطلح (إنتخاب ألأصلح) في آلأنتخابات؛ مُصطلحٌ قابل للتأويل وآلتّحريف و فعلاً إستغلّ ألكثير من آلسّياسيين تأويله و تحريفه بما يتناسب مع مصالحهم و أحزابهم, و بسبب ذلك وصل آلبرلمان و الحكومة و القضاء كيانات و شخصيّات لم تكن مخلصة و شريفة لخدمة ألأسلام, بل كانت تسرق أموال ألفقراء و تذهب بها إلى الحجّ و تبني بها القصور فسبّبوا آلكوارث ألكبرى للأمة!
إنّ قيام ألمرجعية ألدّينيّة بدورها آلحقيقي في قيادة و توجيه ألأمّة مهمٌ للغاية في مستقبل ألعمليّة ألسّياسيّة, لكي لا نقع في آلأخطاء ألستراتيجيّة ألكبيرة ألتي وقعنا بها في آلسّابق و آلتي كلّفتنا آلكثير ألكثير .. و لكي يكون ألمُقلِّدُون على بصيرة من أمرهم من دون أنْ تتلاعب بهم أهواءَ مُعتمدي و وكلاء ألمراجع أو ألسّياسيّون فلا بُدّ من موقفٍ واضح و شفّاف لا يقبل ألتّأويل و آلتّحريف حتّى من آلشّخصيات ألّتي تُرشّح نفسها للمهام ألسّياسيّة و آلبرلمانيّة.

فآلنّظام ألسّياسي ألعراقيّ لا بُدّ و أنْ يترتب من جديد و كذا إعادة صياغة بنود ألدستور بما يتناسب مع آلأحكام و القواعد ألشّرعيّة و آلأخلاقيّة و بما يخدم مصالح ألمُسلمين كأمّة واحدة ضمن خط ولاية أهل البيت(ع) ألذي لا يختلف عليه مسلمان شريفان!
و هذا آلأمر لا يتحقّق إلّا بتدخل ألمرجعيّة ألدّينيّة من خلال خطاب إسلاميّ واضح و شامل تضع فيه النقاط على الحروف لتكون حدّاً فاصلاً بين آلمغرضين سواءاً ألأسلاميين ألحركيين أو آلمُعمّمين و الاحزاب ألتابعة للمراجع و آلذين يكيلون بمكيالين في تقرير الأمور و آلحكم على الأوضاع من خلال ألتلاعب بآلألفاظ و آلقرارات و آلحقوق بسوق فتاوي المرجيعة حسب مصالحهم ألشخصيّة و آلفئوية و آلحزبيّة(12).

إنّ آلموقف آلواضح و الصريح للمرجعية ألدّينية تجعل المُكلف أمام تكليفه الشرعي تجاه آلأوضاع السّياسية ألمعقدة في العراق, و عندها سيتحقّق إنتخاب ألأصلح و آلأتقى الذي يخدم مصالح آلنّاس و يحترم حقوقهم و يرفع ألحيف عنهم على الأقل و هذا شعار ألمرجعيّة كهدف لخدمة مصالح ألأمّة بشكلٍ عام و آلشعب ألعراقي بشكل خاصّ.

إنّ ألدّفاع و آلسّعي ألمُثابر لتعميم و ترويج هذه ألنّظريّة(نظريّة وحدة ألسّياسة و آلأخلاق) يُبرّر نفسه, بعكس آلنّظريّات ألسّابقة, حيث لا يُمكن توجيه أيّ نقدٍ لها, فلا يُوجد أيّ تعارض باطني أساسيّ فيها(13), و إنّ هذه ألنّظريّة بمأمنٍ كامل من آلأتّهامات و آلأشكالات ألتي تُحيط بآلنّظريات ألسّياسية ألأخرى ألتي بيّنها.

و بآلنسبة للعلاقة بين ألنّظرية ألثّالثة و آلرّابعة يتبيّن بوضوح لكلّ مفكر و مثقفٍ إسلاميّ؛ حاجتيهما إلى دراسات مُعمّقة للوصول إلى نتيجة مُوحدة أو ثنائيّة بتداخلهما فنّياً لتحكيم ألأخلاق في آلسّياسة و إعمالها بين آلنّاس, كلّ ألنّاس بإعتبار ألهدف ألنّهائي للرّسالة ألأسلاميّة هي إتمام مكارم ألأخلاق(14) لتحقيق سعادة ألدّارين و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ آلعالمين!
ألفيلسوف الكونيّ

---

(1) إعمال نظريّة ألتزاحم في آلواقع ألعمليّ لا يجوز إلّا بإذن ألولي ألفقيه ألمتصدّي لزعامة ألأمة ألأسلاميّة و آلأنسانية و ألمتمثل أليوم بآية الله ألعظمى ألسّيد ألخامنئي دام ظله على ألبشريّة و آلسّبب لأنّها تتعلّق بأموال و دماء و كرامة ألنّاس, لذلك لا بُدّ من وجود حكم شرعيّ مبرء للذمة و يُبرر ألمواقف و آلأعمال ألّتي عادةً مّا تدخل فيها مصلحة و مصير ألبلاد و آلأمّة من فوق.
(2) نظرية تعود للفيلسوف ألأيطالي ميكافيللي تُجيز إعمال كلّ ألوسائل ألمُمكنة أللاأخلاقية للحفاظ على آلسّلطة, و لعلّها آلنّظرية ألرّئيسية ألتي تتحكّم في آلسّياسة ألغربيّة .. بلْ كلّ حكومات ألعالم ألّتي إتّخذتْ "ألدّيمقراطيّة" درعاً للحفاظ على آلنظام بما يُؤمّن مصالح ألمنظّمة ألأقتصاديّة ألعالميّة, هذا على آلرّغم من وجود نظريات إنسانيّة عديدة لعلماء غربيّن آخرين كـ"ديكارت" لكنّها شبه مهملة على مستوى آلعمل و آلتّطبيق!

(3) مصطلح "ألأصلح" مصطلح عام و غامض و فضفاض إستخدمتها آلمرجعيّة ألدّينيّة في آلنّجف في معرض إجابتها على أسئلة ألمُقلّدين ألذين كانوا يأملون تطبيق ألأسلام في آلعراق, و كان ذلك آلجّواب عامّاً و مُلفقاً بكثير من آلتأويلات ألمُمكنة على آلسؤآل ألشّرعي ألواضح لأكثر من 70% من آلعراقيين ألتّابعين لتلك ألمرجعيّة ألعتيدة!
بينما آلأمّة ألأسلاميّة في بلاد فارس يتّم تحديد تكليفها آلشّرعيّ من كلّ صغيرة و كبيرة حتّى من دون سؤآل ألأمّة من مرجعيتها حول ذلك؛ حيث يُحدّد وليّ ألفقيه"ألشّخص ألأصلح" بإشارة و مواصفات واضحة للشخص و أحياناً بآلأسم مُبيّناً نقاط ألقوّة و آلضعف في آلمرشحين ليكونوا على بيّنة و وضوح من أمرهم لأداء أهمّ تكليف شرعيّ يتعدى أبعاده حدود ألعبادات و آلمعاملات ألشّخصية و آلطقوس آلدينيّة آلتقليديّة!
(4) لمعرفة معنى و فلسفة ألأخلاق؛ راجع ألحلقات ألسّابقة و آلتي بيّنا فيها بأنّ آلأخلاق ألعمليّة ما هو إلّا نتاج ألفكر ألنّظري ألذي آمنتْ به ألجّماعة ألسّياسية ألمُتصدية لمواقع المسؤولية في هيكلية ألنظام ألحاكم سواءاً كان آلشخص ألمتصدي مستخدماً أو عاملاً بسيطاً أو رئيساً للحكومة .. و قلنا بأنّ الأخلاق ألعمليّة تنعكس من خلال ألمظهر ألخارجيّ و مصدر الرّزق و آلحقوق(ألراتب ألشهري) ألحلال و آلمُخصصات و آلأمكانات و آلمسؤولية ألّتي يتمتّع بها آلعامل و آلرّئيس من خلال موقعه لخدمة عملية ألتنمية و آلبناء و آلانتاج في آلمجتمع لتحقيق ألسّعادة من خلال ألأمن و آلعدل و آلمساواة و تكافؤ ألفرص بين جميع أبناء ألمجتمع و على كلّ ألمستويات.
(5) للمزيد من آلتّفاصيل, راجع بحثنا ألموسوم بـ ؛ "ألمنهج ألأم في تفسير ألقرآن ألكريم", ألقسم ألثالث من برنامج ألمنتدى ألفكري.
(6) سورة ألمائدة / 44 و 45 و 47.
(7) أمريكا و معها قوى آلغرب لا ترضى بإستقرار و ثبات أيّة حكومة في دول ألعالم ما لمْ تتّبع سياستها و برامجها, و لهذا نرى أن عدوتها ألأولى اليوم في آلعالم هي إيران ألتي تحاول تطبيق آلعدالة ألأسلاميّة بعيداً عن آلدّوائر آلغربيّة و الأمريكيّة, لهذا يُحاول آلغرب كلّه ألقضاء عليها و محاربتها على كلّ صعيد.
(8) للمزيد من آلمعلومات راجع بحثنا: "مُستقبلنا بين آلدّين و آلدّيمقراطيّة".
(9) تجدر ألأشارة إلى نقطة هامّة جدّاً تبدو أنّها غابت عن عقول ألشّرقيين و حتى أكثر مواطني أهل الغرب ألذين تفككت في أوساطهم ألعلاقات ألأنسانيّة؛ من أنّ ألفلاسفة و آلمُنظّرون .. إنّما حدّدوا نظرياتهم لرسم آليات تنظيم ألقوانيين ألأجتماعيّة و آلمدنيّة – خصوصاً في آلمجالات ألسّياسيّة و آلأقتصاديّة إنطلاقاً من كون ألأنسان يستبطن آلشّر و آلأنا بداخلهِ بحسب تقريرات شوبنهاور و ميكافيللي و غيرهما, لذلك من آلصّعب بمكان و بحسب نظرتهم هذه للأنسان؛ آلتّعامل معه – ألأنسان ألمواطن - على أساس حسن ألظن أو آلمُسامحة في آلقوانين, و لعلّ هذه ألأمور أصبحتْ من آلبديهيّات ألمعرفيّة في آلفكر آلغربيّ ألحديث خصوصاً بعد ما أفسد ألكثير من آلقساوسة و رجال ألدّين ألمسيحيين إبان أحداث ألقرون ألوسطى ممّا شرّع لهم ألعقل طريقاً آخر للخلاص من آلظلم تبنّتهُ ألطبقة آلبرجوازيّة و أصحاب ألمال و آلبنوك حين شرعوا بوضع قوانين و مقرّرات طبقاً للواقع ألجديد ألذي سميّ إبتداءاً بعصر ألنّهضة ثم آلثورة ثم آلأصلاح حتّى آلعصر ألحاضر, و على الرغم من عدم دقّة ألأحكام خصوصاً في تحديد ألسّلوك ألأنسانيّ و ألأجتماعيّ بسبب تعقيدات و أسرار ألمُكوّن آلرّوحي و آلنّفسي و حتّى ألجسمي للأنسان طبقاً لرؤى ألكثير من آلعلماء و آلمفكريين ألغربيين كـ "ألكسيس كارل" و "آبرهام ماسلو" ناهيك عن أئمة و علماء الأسلام – لذلك لم يستطع آلنّظام ألغربيّ بوضع آلعلاج آلنّاجع لتحقيق سعادة ألأنسان ألغربي رغم تقدمه في آلمجال ألتكنولوجيّ و آلعمرانيّ, بلْ بدا بوضوح تشبثهم بآلأزمة تلو آلأخرى و علي كلّ صعيد خصوصاً في آلعلاقات الأنسانية و الأجتماعية و آلسّياسات آلماليّة و آلنظاميّة ناهيك عن إساليبهم ألأجرامية في قتل ألشّعوب و دحر القوى أو آلدول آلمتطلعة لغدٍ أفضل بعيداً عن محاورهم و برامجهم.
(10) إشارة إلى عدم وجود خالق مطلق للوجود, و من هنا يبدأ آلتّناقض و آلأشكال في أصل ألاصول في آلنّظرية ألماركسيّة آللينينية, و لا نريد هنا بحث هذا آلموضوع لأنّه يخرجنا عن أصل آلبحث, و للأطلاع على آلمزيد من آلمعلومات راجع كتاب "فلسفتنا" و " إقتصادنا".
(11) ألأمام آلخميني,(1985م). ألأخلاق و آلسّياسة, تدوين آلسّيد حسن إسلامي, مؤسّسة نشر آثار ألأمام آلخميني(قدس), مطبعة آلعروج – طهران, ط2.
(12) أكثر آلمسؤولين في آلعراق آلجّديد يكيلون بمكيالين؛ فحين يدعم آلشّرع مواقفهم و تصريحاتهم على سبيل المثال يتمسّكون به(كلمة حقّ يُراد بها آلباطل), حيث يرفعون عقيرتة و يتبجحون بآلدّين و آلسّنة و آلدّعوة, و لكنّهم يتبرّؤن من آلدّين و آلشرع و آلدعوة و الأخلاق حين تُدين مواقفهم و تصريحاتهم و نهبهم للأموال و آلرّواتب و آلمخصصات بأوامر من آلأستكبار آلعالميّ مع آلتّبجح بآلقوانيين ألوضعيّة!
(13) ملكيان, مصطفى(2001م). مجلة (آيين) ألمتخصّصة في آلسّياسة و آلأجتماع.
(14) قال رسول الله(ص)؛ [إنّما بُعثْتُ لأتَمِمَ مكارم ألأخلاق].